جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
لجنة إحياء التراث الإسلامي

السيرة النبوية

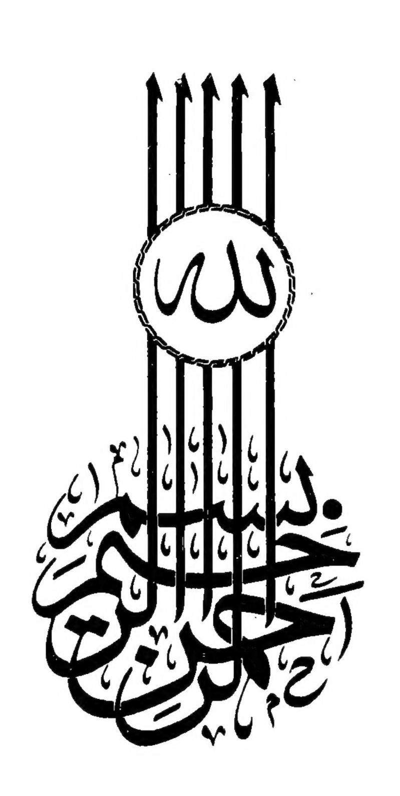
سبل الهدى والرشاد
في سيرة خير العباد

للإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢ هـ

تحقيق
الدكتور مصطفى عبد الواحد

الجزء الثاني

١٤١٨هـ / ١٩٩٧م


بسم الله الرحمن الرحيم

جِمَاعُ أَبْوَابِ صِفَةِ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ



أفرد الحافظ أبو الخطاب ابن دِحْية كتابا سماه : « الآيات البيّنات فيما فى أعضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات » وسأذكر خلاصته فى المعجزات مع زوائد كثيرة ، والمقصود منه هذا بيان صفة جسده الشريف صلى الله عليه وسلم فقط وقد أذكر شيئا من الآيات لزيادة الفائدة

الباب الأول

فى حُسْنه صلى الله عليه وسلم

اعلم رحمنى الله وإياك أن الله سبحانه وتعالى أنشأ النفوس مختلفة ، فمنها الغاية فى جَوْدة الجَوْهر ، ومنها المتوسط ، ومنها الكَدِر . وفى كل مرتبة درجات . فالأنبياء صلى الله عليهم وسلم هم الغاية ، خلقت أبدانهم سليمة من العَيْب فصَلحت لحُلول النفس الكاملة ، ثم يتفاوتون . فكان نبينا صلى الله عليه وسلم أصلح [1] الأنبياء مزَاجا وأكملهم بدَنا وأصْفاهم رُوحاً ، وبمعرفة ما نذكره من صفاته صلى الله عليه وسلم وأخلاقه يَتبين ذلك إن شاء الله تعالى .

روى الشيخان عن البَرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنهما قال : لم أرَ شيئا أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]

البَرَاء بفتحتين مخفَّفا .

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فإذا رجلٌ حسَن الجسم [3] .

وقالت أُمُّ مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجملَ الناس [وأبْهَاهُ] [4] من بعيد وأحْلاَهُ وأحسنه من قريب [4] .

رواهما البيهقى .

---

(١) ط : أصح .

(٢) صحيح البخارى ٢/٢١٩ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ ونصه : « ما رأيت شيئا قط أحسن منه صلى الله عليه وسلم » .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١ ٩٧ (تحقيق السيد صقر) والرواية عن رجل من بلعدوية قال حدثنى جدى .

(٤) من دلائل النبوة للبيهقى ١/٢٣٠

وقال جابر ابن سَمُرة – بسين مهملة مفتوحة فميم مضمومة فراء – رضى الله تعالى عنه : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى ليلة إضْحيان وعليه حُلَّة حَمْراء فجعلت أنظر إليه وإلى القمر [1] فلهو [2] أَحسن فى عينى من القمر .

رواه الترمذى والنسائى [3] .

وقال البرَاء رضى الله تعالى عنه : ما رأيتُ من ذى لِمَّة فى حُلة حَمْراء أَحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

رواه مسلم وأَبو داود [4] .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَحسن الناس صفةً وأَجْمَلَها .

رواه أَبو الحسن ابن الضحاك .

وقال طارق بن عُبَيْد رضى الله تعالى عنه : أَقبلنا ومعنا ظَعِينة حتى نزلنا قريبا من المدينة ، فأَتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت الظَّعِينة : مارأَيت وجهًا أَشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه صلى الله عليه وسلم

رواه إبراهيم الحَرْبى فى غريبه وأَبو الحسن ابن الضحاك فى الشمائل وابن عساكر .

وقال أَبو إسحاق الهَمْدانى – وهو بفتح الهاء وسكون الميم ودال مهملة – لامرأَة حجَّتْ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : شبِّهيه لى : قالت : كالقمر ليلة البَدْر ولم أَرَ قبله ولا بعده مِثْله .

رواه يعقوب بن سفيان [5] .

وقال أَبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر للرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ رضى الله تعالى عنها : صِفِى لى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا بنىّ لو رأَيته لقلت الشمس طالعة .

---

(١) غير ط : والقمر .

(٢) ص : فإذا هو . و ت م : فهو . وما أثبته من ط .

(٣) شرح شمائل الترمذى للقارى ١ ٥٦

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٥٢ وسنن أبى داود كتاب اللباس باب رقم ١٧

(٥) شمائل الرسول لابن كثير ص ٨

رواه الدارمىّ ويعقوب[1] .

قال الطِّيبىّ رحمه الله تعالى : قولها : « لقلت الشمس طالعة » أى لرأيت شمسًا طالعة ، جرَّدتْ من نفسه الشريفة شَمْسا[2] وهى هى ، نحو قولك لئن لَقِيتَه لتَلْقينَّ أَسَدا ، وإذا نظرت إليه لم تر[3] إلا أسدا .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : ما رأَيت شيئًا قط أَحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأَنَّ الشمس تجرى . وفى لفظ : تخرج . من وجهه .

رواه الإمام أَحمد والترمذى وابن حِبّان وبَقِىّ بن مَخْلَد . وسنده على شرط صحيح مسلم[4] .

قال الطِّيبىّ : شبَّه جرَيان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه صلى الله عليه وسلم . ومنه قول الشاعر :

يَزِيدك وجهُه حُسْنًا إذا ما زِدْتَه نَظَرا

وفيه أَيضا عكس التشبيه للمبالغة . ويجوز أن يقدَّر الخبر الاستقرار[5] ، فيكون من باب تناسى التشبيه ، فجعل وجهه صلى الله عليه وسلم مقرا ومكانا لها . ويحتمل أن يكون فيه تناهى التشبيه جعل وجهه مقرًّا ومكانا للتشبيه[6] .

ولله در القائل

لِمَ لا يضىء بك الوجودُ وليله فيه صَباحٌ من جمالك مُسْفِرُ
فبشَمْس حُسْنك كلُّ يوم مُشْرِقٌ وببدر وجهك كلُّ ليلٍ مُقْمِرُ

---

(١) شمائل الرسول لابن كثير ص ٨ . قال : ورواه البيهقى من حديث يعقوب بن محمد الزهرى عن عبد الله بن موسى التيمى بسنده .

(٢) كذا فى ط وفى بقية النسخ : نفسا .

(٣) ص ت م : لم أر .

(٤) مسند أحمد ٢/٣٥٠ ، ٣٨٠ وشمائل الرسول لابن كثير ص ١٥ . وشمائل الترمذى (بشرح ابن جسوس) ١/١٤٣ .

(٥) ط : ويجوز أن يكون محل الاستقرار .

(٦) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : للشمس

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لم يقم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع شمس قط إلا غلب ضوؤه ضوء الشمس ، ولم يقم مع سراج قط ، إلا غلَب ضوؤه ضوء السراج .

رواه ابن الجوزى [1]

وقالت أُم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وَسِيمًا قَسِيماً .

رواه الحارث بن أَبى أُسامة .

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : كلَّ شىء حَسَن قد رأَيتُ ، فما رأَيت شيئا قط أَحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر [2] .

وقال أَبو قِرْصافة – بكسر القاف وسكون الراء بعدها مهملة وفاء – واسمه جَنْدرة – بفتح [3] أَوله ثم نون ساكنة ثم مهملة مفتوحة – ابن خَيْشَنَة بمعجمة ثم تحتانية ثم معجمة ثم نون – رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن الوجه ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارع الجسم .

رواه ابن عساكر [4] .

تنبيهات

الأول : قال ابن المنيِّر والزركشى وغيرهما فى قوله صلى الله عليه وسلم فى يوسف : أُعْطى شَطْر الحسْن يتبادر إلى أَفهام بعض [5] الناس أَن الناس يشتركون فى الشطر الآخر . وليس كذلك ، بل المراد أَنه أُعطى شطر الحُسْن الذى أُوتيه نبينا صلى الله عليه وسلم ، فإِنه بلَغ النهاية ويوسف بلغ شطْرها . ويحققه ما رواه الترمذى عن قَتَادة والدارقطنى عن أَنس رضى الله تعالى عنهما قال : ما بَعث الله نبيًّا إلا حسَن الوجه حسَن الصَّوْت ، وكان نبيُّكم أَحسنَهم وجهًا وصوتًا [6] »

---

(١) الوفا لابن الجوزى ٢/٤٠٧

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٠ بمعناه .

(٣) ص ت م : واسمه جنده بضم أوله . وما أثبته من ط .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٣ .

(٥) ط : إلى أفهام الناس .

(٦) شرح شمائل الترمذى للقارى ٢/١٤٣

وقال نفطويه رحمه الله تعالى فى قوله تعالى : « يكاد زَيْتها يُضيء ولو لم تَمْسَسْه نارٌ » هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول : يكاد نظره يدل على نبوته وإن لم يَتْلُ قرآنا . كما قال ابن روَاحة رضى الله تعالى عنه :

لو لم تكن فيه آياتٌ مُبَيَّنة ... كانت بَدَاهته[1] تُنْبيك بالخَبرِ

وقال القرطبي رحمه الله تعالى قال بعضهم : لم يظهر لنا تمامُ حسنه صلى الله عليه وسلم لأنه لو ظهر لنا تمامُ حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم . ويرحم الله تعالى الشرف البوصيرى حيث قال :

فهو الذى تمَّ معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيبًا بارئ النَّسَم

مُنَزَّه عن شريكٍ فى محَاسنه ... فجوهر الحسْن فيه غير مُنْقسم

إلى أن قال رحمه الله تعالى :

أعيَا الورَى فهمُ معناه فليس يُرَى ... للقُرْب والبعد فيه غيرمُنْفَحِمِ

كالشمس تظهرللعينين من بُعْد ... صغيرةً وتُكِلّ الطَّرْف من أَمَمِ

وهذا مثل قوله رحمه الله تعالى :

إنمـــا مثَّلوا صِفَاتِك لِلناسِ ... كما مَثَّل النجومَ المَـــاءُ

ويرحم الله تعالى الشرف ابن الفارض حيث قال :

وعلى تَفَنُّن واصِفيه بِحُسْنه[2] ... يَفْنى الزمانُ وفيه ما لم يُوصَفِ

وسيدى على بن وفا[3] حيث قال رحمه الله تعالى :

كم فيه للأَبصار حُسْنٌ مُدْهش ... كم فيه للأَرواح راحٌ مُسْكرُ

سبحان من أنْشَاه من سبحَاته ... بشَرا بأَسرارِ الغيوب يُبَشِّرُ

---

(١) ط : بديهته .

(٢) ص : بوصفه .

(٣) غير ط : ابن أبي وفا . ولعلى بن محمد وفا ترجمة طويلة في طبقات الشعرانى ٢/٢٠ وهو ابن محمد وفا من أكابر العارفين . وسمي وفا لوفاء النيل ببركته .

قاسوه جَهْلا بالغــــزال تغَزلا هيهات يُشبهه الغزال الأَحْورُ

هـــذا وحقِّك ماله من مُشْبِه وأرى المشبِّه بالغزالة يكفرْ

يأْتى عظيمَ الذنب فى تشبيهه لولا لِرَبِّ جمالِه يَسْتغفـــرُ

فخر المِلَاحُ بحُسْنهم وجمَالهم وبحسنه كلُّ المحاسن تفخـــرُ

فجماله مَجْلىً لـــكل جميـــلة وله مُنار كل وجـــــه نَيِّرُ

جنات عَدْن فى جَنى وجنـــاته ودليله أن المراشف كوثـــرُ

هيهات أَلهو عن هواه بغيره والغير فى حشر الأَجانب يُحْشرُ

كتَب الغَرامُ علىَّ فى أَسفاره كُتُبا تُؤوَّل بالهوَى وتُفسَّـــرُ

فدَع الدَّعىَّ وما ادّعاه منَ الهوى فدَعِيُّه بالهُجْر فيه يُهْجَـــــرُ

وعليك بالعَلَم العليم فإنـــــه لخطيبه فى كل خَطْب مِنْبَـــرُ

* * *

الثانى : فى تفسير غريب ما سبق .

إضحيان — بهمزة مكسورة فضاد معجمة ساكنة فحاء مهملة مكسورة فمثناة تحتية : أى مقمرة مضيئة من أولها إلى آخرها .

اللِّمَّة : بالكسرشعر الرأس المجاوز شَحْمة الأُذن فإذا بلغ المنكبين فهوالجمّة والجمع لِمَم . الظَّعينة : قال فى النهاية : أَصل الظَّعينة الراحلة التى تُرْحل ويُظْعَن عليها أى يسار . وقيل للمرأة ظعينة لأَنها تَظْعن مع الزوج حيثما ظعَن ، أو لأَنها تُحمل على الراحلة إذا ظعنت . وقيل : الظعينة المرأة فى الهودج ، ثم قيل للهودج بلا امرأة ، أو للمرأة بلاهودج : ظعينة .

الرُّبَيِّع : بالتصغير والتشديد . مُعَوِّذ : بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الواو .

الوَسِيم : المشهور بالحسن كأَن الحسن صار له علامة . وقال فى النهاية : رجل قَسِيم الوجه أى جميل كله كأَن كل موضع منه أَخذ قسما [1] من الجمال .

والوسيم : الحسَن الوَضِىء الثابت.

---

(١) ط : أخذ شيئا .

الباب الثانى

فى صفة لونه صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَرَ الَّلون ليس بالآدَم ولا بالأَبيض الأَمْهَق .

متفق عليه [1] .

وفى رواية لمسلم : كان صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا بحُمْرة .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض كأَنما صِيغ من فضة .

رواه الترمذى [2] ورواه ابن عساكر من حديث أنس .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا حُمْرة .

رواه الإمام أحمد [3] والترمذى والبيهقى من طرق .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا حُمْرة .

رواه ابن عساكر .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهر اللون ليس بالأَبْيَض الأَمْهق [4]

---

(١) صحيح البخارى ٢ ٢١٩ (من حديث طويل) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١١٣ .

(٢) شمائل الترمذى ١ ٥٨ بشرح القارى . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣١٩

(٣) مسند أحمد ١ ١١٦ وشرح شمائل الترمذى ١/٣١ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٠ .

رواه ابن عساكر من طرق .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض اللون مُشْربا حُمْرة.

رواه ابن عساكر .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس لَوْنًا .

رواه ابن عساكر .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مُشْربا بحمرة .

رواه ابن سعد وابن عساكر .

وقال أبو أُمَامة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض[1] تخالطه حمرة.

رواه ابن عساكر[2] .

وقال أبو الطُّفَيْل رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مَلِيح الوجه .

رواه الإمام أحمد ومسلم ويعقوب بن سفيان .

وفى رواية لأحمد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض مَلِيحا مُقَصَّدا .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللون .

رواه البيهقى[3]

---

(١) ص ت م : رجل أبيض . ولعله تحريف . وما أثبته من ط .

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٢ ونصه : «تعلوه حمرة» .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١٥٣/

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس لَوْنًا .

رواه ابن الجوزى [1] .

وقالت أُمُّ مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر الوضاءة

رواه البيهقى .

وقال هند بن أَبِى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْوَر المتجرِّد .

رواه الترمذى[2] والبيهقى .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها أُهدِى لرسول الله صلى الله عليه وسلم شَمْلَة سوداء فلبسها ، وقال : كيف تَرَيْنها علىّ يا عائشة ؟ قلت ، ما أَحْسَنَها عليك يا رسول الله ! يَشُوب سوادَها بياضُك وبياضُك سوادَها .

رواه ابن عساكر[3] .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : روى الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان والبزار وابن حبان والحاكم وصححه الحافظ عن أنس رضى الله تعالى عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْمَر اللون[4] .

ورواه البيهقى من وجه آخر بلفظ : كان بياضه إلى سُمْرة [5] وعند الإمام أحمد بسند حسن : أبيض إلى سُمْرة[5] .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ٢/٤٠٥

(٢) شرح شمائل الترمذى للقارى ١/٤٨ .

(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٤ .

(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ١/٣٢٠ وقال : تفرد به خالد الطحان عن أنس .

(٥) ط : إلى السمرة .

وروى ابن أبي شَيْبة عن شيخه هَوْذة والإمام أحمد عن شيخه محمد بن جعفر وأبو نُعَيْم عن رَوْح قالوا أنبأنا عوف بن أبي جميلة عن يزيد[1] الفارسى رحمه الله تعالى قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فذكرتُ ذلك لابن عباس رضى الله تعالى عنهما فقال : صِفْه لى . فذكر الحديث : وفيه : أَسْمَر إلى البياض . قال ابن عباس : لو رأيته فى اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا[2] .

وروى أبو بكر بن أبي خَيْثمة عن شيخه هَوْذة ، وأبو نُعيم من طريق الحارث بن أبي أسامة عن شيخه رَوْح ، كلاهما عن عوف عن يزيد . وذكر الحديث ولفظه : أحمر إلى البياض.

قال الحافظ : وتبيَّن من مجموع الروايات أن المراد بالسُّمْرة : الحمرةُ التى تخالط البياضَ ، وأن المراد بالبياض المثْبَت : ما تخالطه الحمرة . والمنْفىّ ما لا تخالطه ، وهو الذى تكره العرب لوَنه وتسميه أَمْهَق .

وقال ابن أبي خيثمة : ولَوْنه صلى الله عليه وسلم الذى لاشك فيه : الأَبيض الأَزهر ، المشْرَب من حُمْرة وإلى[3] السمرة ما ضحَى منه للشمس والريح ، وأما ما تحت الثياب فهو الأَبيض الأَزْهر .

وتعقَّبه بعضهم بأَن أَنَسًا لا يخفى عليه أمرُه حتى يصفه بغير صفته اللازمة له لقُرْبه منه ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم ملازما للشمس . نعم لو وصفه بذلك بعضُ القادمين ممن صادَفه فى وقت غيَّرته الشمس لأَمكن ، فالأَوْلى حَمْلُ السُّمْرة فى هذه الرواية على الحُمْرة التى تخالط البياض ، أى كما سبق فى كلام الحافظ .

قلت . قوله إن أنسًا لا يخفى عليه . إلخ يقال عليه : قد وصفه أَنس بأَنه صلى الله عليه وسلم أَزْهر اللون ليس بالآدَم ، كما تقدم أول الباب ، وهو حديث أصح من هذه الروايات . وتابعه غيره على هذه الرواية .

---

(١) ص ت م : عند زيد . وما أثبته من ط .

(٢) مجمع الزوائد ٢٧٢/٨ . قال : ورجاله ثقات .

(٣) ص ت م : إلى السمرة . وما أثبته من ط .

وقال الحافظ أبو الفضل العِراقى : فى قوله : « أسمر اللون » : هذه اللفظة تفرَّد بها حُمَيْد عن أنس ، ورواها غيره عنه بلفظ « أَزْهَر اللون » .ثم نظَرْنا من روى صفة لونه صلى الله عليه وسلم غير أنس ، فكلهُم وصَفوه صلى الله عليه وسلم بالبياض دون السُّمرة ، وهم خمسة عشر صحابيًّا .

قلت : سمَّى أبو الحسن ابن الضحاك فى كتاب الشمائل منهم : أبا بكر وعمر وعليًّا وأبا جُحَيْفَة وابن عمر وابن عباس وهند بن أبى هالَة والحسن بن على وأبا الطُّفَيْل ومُخَرِّش[1] الكَعْبى وابن مسعود والبرَاء بن عازِب وسعد بن أبى وقَّاص وعائشة وأبا هريرة وذكر أحاديثهم وأسانيدهم[2] العشرة . ثم قال : وما رواه أنس مما يوافق الجمهور أَوْلَى وأصح وهو الذى ينبغى أن يُرْجع إليه ويعَوَّل عليه .

وأما رواية أبى يزيد الفارسى : أنه صلى الله عليه وسلم أسمر إلى البياض : **فخطأ** فى الرواية ، والصواب الرواية الثانية .

* * *

الثانى : وقع فى زيادات المسْنَد لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل ، عن على رضى الله تعالى عنه : أبيض شديد الوضَح . وفى حديث أبى هريرة عند البزَّار ويعقوب بن سفيان بسند قوى : كان صلى الله عليه وسلم شديد البياض . وهذا مخالف لقول أنس أول الباب : وليس بالأَمْهَق . ولرواية مسلم عنه : أبيض مُشْربا بحُمْرة : وهما أصح منهما . ويمكن الجمع بحَمْل ما ذكر على ما تحت الثياب مما لا يَلْقَى الشمس .

الثالث : وقع عند أبى زيد الْمَرْوَزِىّ أحد رواة الصحيح عن أنس : أَمْهَق ليس بالأَبيض

---

(١) هو مخرش بن سويد بن عبد الله بن مرة الخزاعى . ومخرش بالخاء والحاء . قال الزمخشرى : الصواب بالخاء . وانظر شرح المواهب للزرقانى ٤/٢٢٠ .

(٢) ط : بأسانيدهم .

واعترض الداودىّ الشارح هذه الرواية . وقال القاضى إنها وَهْم . وقال : لعل الصحيح رواية من روى أنه ليس بالأبيض ولا بالآدَم .

قال الحافظ : وهذا ليس بجيّد لأن ؛ المراد أنه ليس بالأبيض الشديد البياض ولا الآدم[1] الشديد الأدمة وإنما يخالط بياض الحمرة . والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر . ولهذا جاء فى حديث أنس أى السابق : كان صلى الله عليه وسلم أسمر .

قال الحافظ : وتبين من مجموع الروايات أن رواية المروزى : أمهق ليس بالأبيض» مقلوبة : على أنه يمكن توجيهها بأن المراد بالأمهق الأخضر اللون الذى ليس بياضه فى الغاية ولا سُمْرته ولا حمرته . فقد نُقل عن رُؤْبة أن المهَق[2] خُضْرة الماء فهذا التوجيه على تقدير ثبوت الرواية وقد جاء فى عدة طرق أنه صلى الله عليه وسلم كان أبيض.

* * *

الرابع : نقل القاضى عن أحمد بن أبى سليمان صاحب سحْنُون رحمهما الله تعالى أن من قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم أسود . يُقْتل . انتهى .

قال بعضهم : وهذا يقتضى أن مجرد الكذب عليه فى صفة من صفاته كُفْر يوجب القتل . وليس كذلك ، بل لابد من ضَمِيمة ما تشعر بنقص كما فى مسألتنا هذه فإن السواد مَفْضول .

* * *

الخامس: فى بيان غريب ما سبق : الأَزْهَر : الأبيض المستنير المشرق وهو أحسن الألوان أى ليس بالشديد البياض .

الآدم : الشديد السمرة .

---

(١) ط : أو الآدم .

(٢) ص ت م : أن الأمهق . وما أثبته من ط .

الأَمْهق : الشديد البياض الذى لا يخالطه شىءٌ من الحمرة وليس بنيِّر كلون الجصّ أو نحوه .

الإشراب : خَلْط لون بلون كأن أحد اللونين سَقى الآخر لونه ، يقال : بياض مُشْرب حُمْرة بالتخفيف . فإذا شُدِّد كان للتكثير والمبالغة .

المُقَصَّد : من الرجال الذى ليس بجسيم ولا طويل .

ظاهر الوَضَاءة : أى الحسن والجمال .

أنْوَر المتجرِّد : بجيم وراء مشددة مفتوحتين : ما كشف عنه الثوب من البدن ؛ يعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان مشرق الجسد نيِّر اللون فوضع الأنور موضع النير .

الباب الثالث

فى صفة رأسه وشعره صلى الله عليه وسلم

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس .

رواه البخارى[1] . ورواه أبو الحسن ابن الضحّاك عن جبير بن مُطْعِم . ورواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر . من طرق عن على رضى الله تعالى عنه . ورواه من طريق عنه بلفظ : عظيم الرأس .

وروى الترمذى عن هند بن أبى هالة والبيهقى عن على رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة رَجْل الشعر إن افترقت عَقِيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعْره شحمة أذنه إذا هو وفَّره[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بجَعْدٍ قَطط ولا سَبْط ، كان رَجْلا .

رواه الشيخان[3] والترمذى والنسائى .

وقال جبير بن مطعم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الرأس رَجْله .

رواه ابن أبى خيثمة .

وقالت أم معبد رضى الله تعالى عنها فى صفته صلى الله عليه وسلم : ولا تُزْرِيه صُعْلة .

---

(١) لم أجده فى صحيح البخارى . وهو فى مسند أحمد ٨٩/١ ، ٩٦ ، ١٠١ ورواه الترمذى فى شمائله عن البخارى شرح الشمائل ١٩/١

(٢) شرح شمائل الترمذى للقارى ٤٢/١ .

(٣) صحيح البخارى ٢١٩/٢ وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٤ .

رواه الحارث ابن أَبى أُسامة[1] .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أَهل الكتاب فيما لم يُؤْمَر فيه لشيء وكان أَهل الكتاب يَسْدلون شعورهم وكان المشركون يفرقون رؤوسهم . فسدَل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثم فرَق بعده .

رواه الستة [2] .

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرًا بين شعْرين ، لارَجْل سَبْط ولا جَعْد قَطَط ، وكان بين أُذنيه وعاتقه .

وفى رواية : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلى أَنصَاف أُذنيه .

متفق [3] عليه .

وقال على [بن حُجْر] [4] رضى الله تعالى عنه : لم يكن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجَعْد القَطط ولا السَّبْط كان جَعْدًا رَجلا .

رواه مسلم والبيهقى [5]

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : « أنا فرَقْت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأْسَه صدَعْت فَرْقه عن يافوخه وأَرسلت ناصيته بين عينيه .

رواه[6] ابن إِسحاق وأَبو داود ، وابن ماجه ولفظه : « كنت أَفْرق خَلْف يافوخ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ثم أَسْدِل ناصيتَه» .

---

(١) مجمع الزوائد ٦/٥٧ ، ٨/٢٧٩ قال الهيثمى : رواه الطبرانى وفيه عبد العزيز بن يحيى المدينى ونسبه البخارى وغيره إلى الكذب . وقال الحاكم : صدوق . فالعجب منه . وفيه مجاهيل .

(٢) صحيح البخارى ٢/٢٢٠ (ط الأميرية) .

(٣) صحيح البخارى كتاب اللباس ؛ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٦ .

(٤) من دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٧

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ودلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٧ .

(٦) سنن أبى داود (٢/١٢٦ ط الهورينى) كتاب الترجل باب رقم ١٠ ومسند أحمد ٦/٩٠ ، ٢٧٥ .
وسنن ابن ماجه حديث رقم ٣٦٣٣ (ط عبد الباقى) .

وقال البَراء رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منكبيه .

رواه الشيخان [1] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الوَفْرة ودون الجُمَّة .

رواه أبو داود والترمذى [2] .

وقالت أُم هانئ رضى الله تعالى عنها : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أَربعُ غدائر : يعنى ضفائر .

رواه الترمذى وأبو داود بسند جيد [3] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا امتشط بالمشط كأَنه حُبُك الرِّمال.

رواه أَبو نُعَيْم .

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : كان شَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أُذنيه وعاتقه .

رواه مسلم [4] .

وروى عبد المجيد بن جعفر عن أَبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوةً له يوم اليَرْموك فطلَبها حتى وجدها وقال : اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأْسه فابتدر الناسُ جوانبَ شَعْرِهِ فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أَشهد قتالاً وهى معى إلا رُزِقْت النَّصْر .

---

(١) صحيح البخارى ٤/٣٣ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ ونصه : «شعره يضرب منكبيه» .

(٢) سنن أبى داود كتاب الترجل باب رقم ١٠ وصحيح الترمذى ١/٣٢٦ كتاب اللباس . قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وهو فى شمائل الترمذى أيضا . شرح الشمائل ١ ٩٢ .

(٣) شرح شمائل الترمذى ١/٩٤ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٤ .

رواه سعيد بن منصور

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رمىَ جَمْرة العَقَبة[1] نحَر نُسكه ثم ناول الحالق شقَّه الأيمن فحلقه فأعطاه أبا طلحة ثم ناوله شقه الأيسر فقال : اقسمه بَيْن الناس .

رواه الشيخان[2] .

وفى رواية لمسلم : « فلقد رأيته والحلاق يحلقه فطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شَعْرةٌ إلا فى يد رجل .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا وَفْرة .

رواه ابن عساكر[3] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن الشعر .

رواه ابن عساكر[4] .

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدَ سواد الرأس واللحية .

رواه ابن عساكر[5] . ورواه أبو الحسن ابن الضحاك وغيره عن رجل من الصحابة من بنى كنانة .

وروى إسرائيل عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهب : أرسلنى أهلى إلى أمِّ سَلَمة زَوْج النبى صلى الله عليه وسلم بقدَح من ماء – وقبض إسرائيلُ ثلاثَ أصابع – فجاءت بجُلْجُل من فضة[6] فيها شَعْر من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان إذا أصاب أحدًا

---

(١) ط : لما رمى الجمرة . وهى موافقة لرواية مسلم والترمذى .

(٢) صحيح مسلم كتاب الحج حديث رقم ٣٢٦ . وصحيح الترمذى ١/١٧٢ كتاب الحج .

(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .

(٤) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ .

(٥) ليس فى تهذيب ابن عساكر المطبوع : وفيه عن أبى قرصافة : كان شديد سواد الشعر .

(٦) كذا ويأتى فى تفسير الغريب : من قصة . بالقاف والصاد .

من الناس عين أو شيء بعث إليها بخضّه[1] ، فاطلعتُ فى الجُلْجل[2] فرأيت شعرات حُمْرا[3]

رواه البخارى[4] واللفظ للحميدىّ فى جَمْعه

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : حاصل الأحاديث السابقة : أن شَعْره صلى الله عليه وسلم كان جُمَّة وَفْرة لِمَّة ، فوق الجُمَّة ودون الوفرة عَكْسُه . فالوَفْرة – بفتح الواو وإسكان الفاء : مابلَغ شحمةَ الأُذن . واللِّمة – بكسر اللام : ما نزَل عن شَحْمة الأُذن ، والجُمَّة – بضم الجيم وتشديد الميم – قال الجوهرى رحمه الله تعالى : هى مُجْتَمع شعر الرأس وهى أكثر من الوَفْرة ما نزل عن ذلك إلى المنكبين .

هذا قول جمهور أهل اللغة وهو الذى ذكره أصحاب المُحْكَم والنهاية والمَشارق وغيرهم . واختلف فيه كلام الجوهرى . فذكره على الصواب فى مادة « لَمَم » فقال : واللِّمة – بالكسر : الشعر ، المتجاوز شحمة الأُذن ، فإذا بلَغت المنكبين فهى الجُمّة . وخالف ذلك فى مادة « وَفَر » فقال : والوفرة إلى شحمة الأُذن ثم الجُمّة ثم اللِّمة . وهى التى ألمَّت بالمنكبين[5] . انتهى .

قال الحافظ أبو الفضل العراقى رحمه الله تعالى : وما قاله فى باب الميم هو الصواب وهو الموافق لقول غيره من أهل اللغة . ولا جَمْع بين رواية : (فوق الجمة ، ودون الوفرة) وهى عند الترمذى ، والعكس رواية أبى داود وابن ماجة ، وهى الموافقة لقول أهل اللغة ، إلا على المحمل الذى تؤول عليه رواية الترمذى ، وذلك أنه قد يراد بقوله : « دون » بالنسبة إلى محل وصول الشعر . فرواية الترمذى محمولة على هذا التأويل : أن شعره كان فوق الجمّة أى أرفع فى المحل . فعلى هذا يكون شعره لَمَّة ، وهو ما بين الوَفْرَة ،

---

(١) كذا والذى فى صحيح البخارى ٤/٣٣ (كتاب اللباس) : بعث إليها مخضبة .

(٢) البخارى : فاطلعت فى الحجل . بفتح فسكون .

(٣) ص ت م : شعرا أحمر . وما أثبته من ط موافقا لرواية البخارى .

(٤) صحيح البخارى ٤/٣٣ (ط الأميرية) كتاب اللباس .

(٥) ص ت م : لمت المنكبين .

والجُمة ، وتكون رواية أَبي داود وابن ماجة معناها : « كان شعره فوق الوفرة » أى أكثر من الوفرة ودون الجُمة أى فى الكثرة .

وعلى هذا فلا تعارض بين الروايتين . فروى كل راوٍ ما فهمه من الفوق والدُّون،

وقال القاضى : والجمع بين هذه الروايات أن ما يلى الأُذن هو الذى يبلغ شحمة أُذنيه والذى يلى[1] أُذنيه وعاتقيه وما خلفه هو الذى يضرب منكبيه . وقيل بل لاختلاف الأَوقات فإذا غفل عن تقصير شعره بلَغ المِنْكب وإذا قصره كان إلى أنصاف أُذنيه فكان يَقصُر ويَطُول بحسب ذلك .

الثانى : قال ابن القيِّم رحمه الله تعالى فى زاد المعاد[2] : لم يَحْلق صلى الله عليه وسلم رأْسه الشريف إلا أَربع مرات . ولهذا مزيد بيان فى أَبواب زينته صلى الله عليه وسلم ويأْتى الكلام على ما شابَ من شَعره صلى الله عليه وسلم فى الباب التاسع .

* * *

الثالث : روى ابن عساكر من طريقين غير ثابتين عن على رضى الله تعالى عنه أنه قال: كان شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم سَبْطا . وقد تقدم من طريق صحيحة أنه لم يكن بالسَّبْط ولا بالجعْد القطَط .

الرابع : قال ابن أَبى خَيْثمة فى تاريخه : إنما جُعل شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه غدائر أَربعا ليخرج الأُذنَ اليمنى من بين غديرتين يَكْتنفانها ويخرج الأُذن اليسرى من بين غَدِيرتين يكتنفانها ويخرج الأُذنان بياضهما من بين تلك الغدائر كأَنهما توقد الكواكب الدرِّية بين سواد شعره وكان أَكثر شَيْبه صلى الله عليه وسلم فى الرأس فى فَوْدى رأْسه ، والفَوْدان حَرْفا الفَرْق ، وكان أَكثر شيبه صلى الله عليه وسلم فى لحيته فوق الذقن وكان شيبه كأَنه خيوط الفضة يتلأْلأ بين ظهرى سواد الشعر الذى معه ؛ إذا مسّ ذلك

---

(١) ط : بين أذنيه :

(٢) زاد المعاد بهامش شرح المواهب ١٥٨/١ : ولم يحفظ عنه حلقه إلا فى نسك .

الشيبُ الصُّفْرة ـ وكان كثيرا مايفعل ـ صار كأنه خيوط ذهب يتلألأ بين ظهرى سواد الشعر الذى معه .

* * *

الخامس: فى بيان غريب ما سبق.

الهامة ـ بالتخفيف : الرأس.

رَجِل الشعر ـ بفتح الراء وكسر الجيم وفتحها وسكونها ، ثلاث لغات ذكرها فى المفْهم أى لا شديد الجعُودة ولا شديد السُّبوطة بل بينهما . قال القرطبى : وكان شعره صلى الله عليه وسلم بأَصل الخِلْقة مُسَرَّحا .

العقيقة : بقافين على المشهور : شَعْر الرأس ، سمِّى عَقِيقة تشبيها بشعر المولود قبل أن يحلق فإذا حلق ونبت ثانيا فقد زال عنه اسم العَقِيقة ، وربما سمِّى الشعر عقيقةً بعد الحلق على الاستعارة . ومنه هذا الحديث . والمراد إن انفرقت عقيقته من ذات نفسها وإلاتركها معقوصة . وروى : عَقِيصته ـ بقاف وصاد مهملة ـ وهى اسم للشعر المعقوص ، مشتق من العَقْص وهو اللَّىُّ .

وَفَّره : بفتح الفاء المشدَّدة أى جعله وَفْرة .

الجَعْد ـ بفتح الجيم وسكون المهملة . والجعودة فى الشعر أن لا يتكسَّر ولا يسترسل .

القَطَط ـ بفتحتين : الشديد الجعودة الشبيه بشعر السودان .

السَّبْط ـ بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وكسرها ، وهو المنْبَسِط المسترسِل الذى لا تكسير فيه ، أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السُّبوطة بل بينهما .

الصُّعْلة ـ بصاد فعَيْن مهملتين : صِغر الرأس . ويروى بالقاف . ويأْتى بيانه فى صفة إبطه الشريف صلى الله عليه وسلم .

يَسْدِل ـ بفتح المثناة التحتية وسكون السين وكسر الدال المهملتين ، ويجوز ضم الدال أى يترك شعر ناصيته على جبهته . قال النووى . قال العلماء : والمراد إرساله على الجبين واتخاذه كالقُصَّة أى بضم القاف وبعدها صاد مهملة وهو شعر الناصية

يَفْرقون ــ بضم الراء وكسرها : أى يلقون شعر رؤوسهم إلى جانبيه ولا يتركون منه شيئا على جبهتهم .

فَرَق ــ بفتح الفاء والراء : تقدم معناه قَبْله .

العاتِق : ما بين المَنْكِب والعُنق وهو موضع الرداء يذكر ويؤنث ، والجمع عواتق[1]

صدَعْتُ ــ بالتخفيف : نحَّيْت . اليأْفوخ : بَهمْز ، وهو أَحسن وأَصوب ، ولايُهمز ، وهو وسط الرأس ، ولا يقال يافوخ حتى يَصْلُب ويشتد بعد الولادة .

الناصية والناصاة :مَنْبت الشعر فى مقدّم الرأس ، ويطلق على الشعر .

المنْكِب : مجتمع رأْس العَضُد والكتف .

الغدائِر : بغين معجمة ودال مهملة .

حُبُك الرِّمال ــ بضم أوله وثانيه جمع حَبِيكة وهى الطريق[2] فى الرمل وقال الفرَّاء : الحبك تكسُّر كل شىء[3] كالرَّمْل إذا مرَّت به الريح الساكنة والماء الدائم إذا مَرَّت به الريح والشَّعرة الجيدة تكسُّرها[4] حبكٌ .

القلنْسُوَة ــ بفتح القاف واللام وسكون النون وضم السين وفتح الواو . والجمع : القلانس والقلاسى .

اليَرْموك ــ بفتح الياء : مكان قرب دمشق .

قوله : « وقبض إسرائيل ثلاث أصابع » . أَشار بذلك إلى صِغَر القَدَح .

قصة ــ بضم القاف وصاد مهملة لأَكثر رواة الصحيح . قال ابن دُرَيْد : كلُّ خصلة من الشعر قُصَّة . قال ابن دِحْية والصحيح عند المتْقنين[5] : « من فِضَّة » بالفاء بواحدة وضاد معجمة وهو الأَشْبه والأَوْلى لقوله بعد ذلك : « فاطَّلعت فى الجُلْجل » وقد بيَّنه وَكِيع فى مصنَّفه فقال : كان جُلْجلا من فضة صُنع صَوْنًا لشَعْر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) فى الأصل بعدها كلمة « أنصاف أذنيه » ولا معنى لها .

(٢) ط : وهى الطريقة .

(٣) ص : الحبك كل شىء كالرمل .

(٤) ص ت م : تكسر حبك . وما أثبته من ط .

(٥) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : والصواب عند التفتيش .

الباب الرابع

فى صفة جبينه وحاجبيه صلى الله عليه وسلم

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفَاض الجبين رواه البيهقى وابن عساكر [1] .

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسعَ الجبين أَزَجَّ الحَواجِب سوابغَ فى غير قَرَن ، بينهما عِرْق يُدِرُّه الغضب

رواه الترمذى [2]

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دَقِيق الحاجبين .

رواه البيهقى [3]

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : كان جَبِينُ رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلْتًا

رواه ابن عساكر [4]

وقال الحافظ أبو أحمد بن أبى خيثمة رحمهما الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَجْلَى الجبين إذا طلَع جبينه من بين الشَّعْر أَو طلع من فَلَق الشَّعْر أَو عند الليل أَو طلع بوجهه على الناس تراءى جبينُه كأنه السِّراج [5] المتوقِّد يتلألأُ ، كانوا يقولون هو صلى الله عليه وسلم . كما قال شاعره حسّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه :

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦١ .

(٢) شرح شمائل الترمذى ١/٤٣ .

(٣) لم أجده فى دلائل النبوة للبيهقى .

(٤) لم يرد هذا الخبر فى تهذيب ابن عساكر .

(٥) ط : كأنه هو السراج .

متى يَبْدُ فى الليل[1] البهيم جبينُه ... يَلُحْ مثل مصباح[2] الدُّجى المتوقّدِ

فمن كان أو مَنْ قد يكون كأحمد ... نِظَاما لحقٍّ أو نَكالا لمُلْحدِ[3]

قال أبو الحسن بن قانع عن سويد بن [غفلة[4]] رضى الله تعالى عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضحَ الجبين أَهْدَب مَقْرُون الحاجبين .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : فى حديث أم مَعْبَد : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزجّ أقْرَن . قال ابن قتيبة وابن عساكر : ولا أراه إلا كما وصف هند وصحَّحه ابن الأَثير والقُطْب رحمه الله تعالى .

قلت : وروى البيهقى وابن عساكر عن مقاتل بن حيّان رحمه الله تعالى قال : أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام : جِدَّ فى أمرى ولا تَهْزل إلى أن قال : صَدِّقوا النبيَّ العربى الصَّلْت الجبين المقْرون الحاجبين[5] .

وروى ابن عساكر من طرق عن على رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَقْرون الحاجبين[6] . ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم كان أولاً بغير قَرَن أو من جهة الرائى من قُرب ومن بُعْد ، وبأنه لم يكن بالأَقْرَن حقيقةً ولا بالأزجّ[7] حقيقةً بل كان بين الحاجبين فُرْجة يسيرة لا تتبين إلا لمن دقَّق النظر إليها . كما ذكر فى صفة أنفه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال : يحسبه من لم يتأمله أَشَمَّ ولم يكن أشم .

---

(١) ط : فى الدجى .

(٢) ص ت م : مثل أهياج الدجى . وما أثبته من ط .

(٣) ديوانه ص ١٠١ (ط البرقوقى) .

(٤) بياض بالأصول وهى مثبتة بهامش ط .

(٥) تهذيب ابن عساكر ١/٣٤٤ .

(٦) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٥ .

(٧) ط : ولا بالأبلج . وفى ت م . ولا بالأفلج . وما أثبته من ص .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق.

مُفَاض الجبين – بميم مضمومة ففاء فألف فضاد معجمة مخففة أى واسِعه ، يقال دِرْع مفاضة أى واسعة . الجبين مافوق الصُّدغ . والصُّدغ ما بين العين إلى الأُذن ، ولكل إنسان جبينان يكتنفان الجبهة .

الزَّجَج : تقوُّس فى الحاجب مع طول فى طرفه وامتداد . قاله فى النهاية . وقال غيره : الزَّجَج دِقَّة الحاجبين وسبوغهما إلى محاذاة آخر العين مع تقوّس .

سَوابغ – حال من المجرور وهو الحواجب جمع سابغ وهو التامّ الطويل أى أنها دقّت فى حال سُبوغها . وضع الحواجب موضع الحاجبين لأَن التثنية جمع .

القَرَن – بالتحريك : اتصال شعر الحاجبين .

يُدِرُّه – بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد ثالثه : أى يحرِّكه ويظهره ، كان صلى الله عليه وسلم إذا غضب امتلأَ ذلك العِرْق دمًا كما يمتلئ الضَّرْع لبنًا إذا دَرَّ فيَظْهر ويرتفع .

الصَّلْت الجبين : أى واسعه ، وقيل الصلت الأَملس وقيل البارز .

الباب الخامس

فى صفة عينيه صلى الله عليه وسلم وبعض ما فيها من الآيات

قال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَدْعج العينين وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَب الأَشفار .

رواه الإمام أحمد ومسلم [1]

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أَهْدَب الأَشفار مُشْرَب العين بحُمْرة .

رواه البيهقى [2] وأبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر من طرق .

وقال سِمَاك بن حَرْب : قال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَشْكَل العين [3] .

قال الراوى له [4] عن سِمَاك : ما أَشْكَلُ العين ؟ قال : طويل شِقّ العَيْن [5]

رواه مسلم وغيره [6] . ورواه أبو داود بلفظ : أَشْهَل العين .

وقالت أُم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : فى أَشْفاره غطَف وفى لفظ : وَطف [7]

رواه الحارث بن أبى أُسامة .

---

(١) مسند أحمد ١/٨٩ . من حديث طويل وفيه : هدب الأشفار . ولم أجده فى صحيح مسلم .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٩ .

(٣) كذا بالأصل . موافقا لصحيح مسلم والذى فى دلائل النبوة للبيهقى : أشكل العينين .

(٤) هو شعبة .

(٥) فى دلائل النبوة للبيهقى : قال : باد أم جشم . ولا معنى لها . ونقل المحقق عن مصحح المستدرك : معناه فى عينه شىء من الحمرة . وهو مخالف لما هنا .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٧ ودلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٨ . ومسند أحمد ٥/٨٦ ، ٨٨ ، ٩٧ ، ١٠٣ .

(٧) سبق تخريج حديث أم معبد فى ص ٧ من هذا الجزء .

وقال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبْحَرَ العينين .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَبْرج العينين .

رواهما أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان صلى الله عليه وسلم أَكْحَل العينين أَهْدَب الأَشفار .

رواه محمد بن يحيى الذُّهْلى فى الزُّهْرِيّات .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كنت إذا نظرتَ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أَكحل وليس بأَكحل .

رواه الإمام أحمد بن حنبل ويعقوب بن سفيان[1] .

وقال مقاتل بن حيّان رحمه الله تعالى : أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم جِدَّ فى أمرى ولا تَهْزل إلى أن قال : صدِّقوا النبيَّ العربي الأَنْجَل[2] العينين .

رواه البيهقى وابن عساكر[3] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسْوَدَ الحدقة أَهْدَب الأَشفار .

رواه الترمذى[4] .

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم العينين مُشْرب العين حُمْرةً أَهْدَب الأَشْفار كَثّ اللحية .

---

(١) الوفاء بأحوال المصطفى لابن الجوزى ص ٣٨٩ .

(٢) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : الأكحل .

(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣٤٤ .

(٤) شرح الشمائل ١ ٣١ .

رواه ابن عساكر[1] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَدْعَج العينين .

رواه ابن عساكر[2] .

فصل :

روى ابن عَدِىّ والبيهقى وابن عساكر عن عائشة رضى الله تعالى عنها . والبيهقى وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرى بالليل فى الظُّلْمة[3] كما يرى بالنهار فى الضَّوْء[4]

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل ترون قِبْلتى ها هنا ، فوالله ما يخفى علىَّ ركوعُكم ولا سجودكم ، إنى لأَراكم من وراء ظَهْرى .

متفق عليه[5]

وقال الحافظ أبو بكر بن أبى خَيْثمة وتبعه أبو الحسن بن الضحاك فى كتاب الشمائل اه : كان فيه صلى الله عليه وسلم شىء من صَوَر . والصَّوَر : الرجل الذى كأنه يَلْمح الشىء ببعض وجهه .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس إنى إمامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فإنى أراكم من أمامى ومن خَلْفى .

رواه مسلم[6] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنى لأَنظر إلى ما وراء ظهرى كما أنظر إلى أمامى » .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .

(٣) ت م : بالظلمة .

(٤) الوفا لابن الجوزى ص ٣٤٤ عن عائشة .

(٥) صحيح البخارى ١ ٦٠ (ط الأميرية) وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٠٩ .

(٦) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١١٢ .

رواه عبد الرزَّاق فى الجامع وأبو زُرْعة الرازى فى دلائله .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى مَنْ خلفه من الصفوف [1] كما يرى من بين يديه .

رواه الحُمَيْدىّ وأبو زرعة الرازى فى دلائله .

فائدة : ذكر القاضى رحمه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى فى الثريّا أحد عشر نجما .

وذكر السُّهيلى رحمه الله تعالى أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى فيها اثنى عشر نجما . وبالأول جَزَمَ أبو عبد الله القرطبي فى كتاب « أسماء النبي صلى الله عليه وسلم » حيث نظم ذلك فقال رحمه الله تعالى :

وهو الذى يرى النجوم الخافيه ... مُبَيَّناتٍ فى السماء العاليه

إحدى عشر قد عدَّ فى الثريّا[2] ... لناظرٍ سِواه ما تَهيَّا

قال فى « القول المكرم » وهذا لم أقف له على أصل يستند إليه . والناس يذكرون أن الثريا لا تزيد على تسعة أنجم فيما يَروْن . انتهى .

تَنْبيهاتٌ

الأول : قال القاضى : إنما حدَثت هذه الآية له صلى الله عليه وسلم بعد ليلة الإسراء كما أن موسى صلى الله عليه وسلم كان يرى النَّمْلة السوداء فى الليلة الظَّلْماء من مَسِيرة عشرة فراسخ بعد ليلة الطُّور .

الثانى : هذه الرؤية رؤية إدراكٍ ، والرؤية لا تتوقف على وجود آلتها التى هى العَيْن عند أهل الحقّ ولا شُعَاعٍ ولا مُقَابَلة ، وهذا بالنسبة إلى البارى تعالى . أما المخلوق فتتوقف صفة الرؤية فى حقه صلى الله عليه وسلم عليه[3] ، وخالق البصر فى العين قادر على خَلْقه فى غيرها .

---

(١) ط : فى الصفوف .

(٢) ط : إحدى عشر عد فى السماء .

(٣) أى على وجود آلة الرؤية .

قال الحرَّانى رحمه الله تعالى : وهذه الآية قد جعلها الله تعالى دالةً على ما فى حقيقة أَمره من الاطلاع[1] الباطن: لسعة علمه ومعرفته، لما عَرف بربه لا بنفسه أطلعه الله تعالى على ما بَيْن يديه[2] مما تقدم من أَمر الله وعلى ما وراء الوقت مما تـأَخر من أَمر الله تعالى . فلما كان على ذلك من الإحاطة فى إدراك مدركات القلوب جعل الله تعالى له صلى الله عليه وسلم مثلَ ذلك فى مُدْركات العيون ، فكان يرى المحسوساتِ من وراء ظهره كما يراها مِنْ بين يديْه .

ومن الغرائب ما ذكره بختيار[3] محب بن محمود الزاهد شارح القدورىّ فى رسالته الناصريّة أَنه صلى الله عليه وسلم كان له بين كتفيه عينان كسَمّ الخِيَاط يُبْصر بهما لا تحجبهما الثياب . وقيل : بل كانت صورهم تنطبع فى حائط قبلته كما تنطبع فى المرآة أَمثلتهم فيها فيشاهِد أَفعالَهم .

قال الحافظ : وهذا إن كان نقلا عن الشارع بطريق صحيح فمقبول وإلا فليس المقام مقام رَأْى ، على أَن الأَقْعَد فى إثبات كونها معجزة حملُها على الإدراك من غير آلة .

وقال ابن المنيِّر رحمه الله تعالى : لا حاجة إلى تأويله لأَنه فى معنى تعطيل لفظ الشارع من غير ضرورة .

وقال القرطبي : حَمْله على ظاهره أَولى؛ لأَن فيه زيادة كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم. ولهذا مزيد بيان فى الخصائص .

* * *

الثالث : فى بيان غريب ما سبق :

الدَّعَج : شدة سواد العين فى شدة بياضها .

---

(١) ط : فى الاطلاع .

(٢) غير ط : على ما فى يديه .

(٣) كذا فى ط . وفى ص ، ت ، م : مختار محب .

الأَهْدَب ـ بالدال المهملة : الطويل الأشفار .

الأَشفار : جمع شُفْر وزن قُفْل وهو حرف الجَفْن الذى ينبت عليه الهدْب . قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى : والعامة تجعل أشفار العين : الشَّعْرَ وهو غلط، وإنما الأَشفار حروف العين التى يَنْبت عليها الشعر .

الحَدَقة : بالتحريك : سواد العين والجمع حَدَق وحدقات . مثل قَصبة ، وقصَب ، وقصَبات .وربما قيل حِدَاق محل رَقَبة ورِقَاب .

قوله : مُشْرَب العين بحُمْرة : هى عروق حُمْر رِقَاق وهى من علاماته صلى الله عليه وسلم التى فى الكتب السالفة .

وقول سِمَاك رحمه الله تعالى : إن الشُّكْلَة طول شِقّ العين : قال القاضى : إنه وَهْم من سِمَاك باتفاق العلماء وغلطٌ ظاهر ، فقد اتفق العلماء وأَصحاب الغَريب أن الشُّهْلَة[1] حُمْرة فى سواد العين كالشُّكْلة فى البيَاض .

الغَطَف : بغين معجمة وتُهْمل هو أن يطول شعر الأَجفان ثم ينعطف . الوطَف : الطويل أيضا .

الكَحَل : بالتحريك : سواد يكون فى مفاوز أَجفان العين خِلْقة .

الأَنْجَل : يقال عين نجلاء أى واسعة .

الأَبْرَج العين : بهمزة فموحدة فراء فجيم : من البَرَج بالتحريك وهو بياض العين مُحْدِقا بالسواد كله لا يغيب من سوادها شىء . والله تعالى أعلم .

---

(١) الأصل : أن الشكلة . وهو تحريف وصوابه من الوفا لابن الجوزى ص ٣٨٩ قال : « قال أبو عبيدة : الشكلة حمرة فى بياض العين . والشهلة : حمرة فى سوادها والكحل : سواد هدب العين خلقة » .

الباب السادس

فى سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وسلم يَسْمع ما لايسمعه الحاضرون مع سلامة حواسّهم من مثل الذى سمعه .

وروى ابن عساكر عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تامَّ الأُذنين[1] .

وروى الترمذى وابن ماجة عن أبى ذر ، وأبو نُعَيْم عن حكيم بن حِزام رضى الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تسمعون ما أسمع ؟ »قالوا ما نسمع من شىء قال إنى لأرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، إنى أسمع أطِيط السماء وما تُلَام أن تَئِطَّ وما فيها موضع شِبْر إلا وعليه مَلَك ساجد أو قائم[2] »

وقال زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه : بيْنا النبى صلى الله عليه وسلم على بغلة له إذ حادت به فكادت تُلْقيه وإذا أقْبُرُ ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال من يعرف أصحاب هذه الأَقبر ؟ فقال رجل : أنا . فقال : متى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الإشراك ، فأعجبه ذلك فقال : « إن هذه الأُمة تُبْتَلَى فى قبورها ، فلولا أن لا تدَافنوا لدعوتُ الله عز وجل أن يُسْمعكم من عذاب القبر الذى أسمع » .

رواه مسلم[3] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حائطاً من حيطان المدينة لبنى النجار فسمع أصوات قوم يعذَّبون فى قبورهم فحاصت البغلةُ ، فسأَل النبىُّ

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٢) صحيح الترمذى كتاب الزهد باب ٩ وسنن ابن ماجه كتاب الزهد باب ١٩ . ومسند أحمد ٥/١٧٣ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الجنة حديث رقم ٦٧ .

صلى الله عليه وسلم : متى دُفِن هذا ؟ قالوا : يا رسول الله دفن هذا فى الجاهلية فأعجبه ذلك وذكر نحو الذى قبله .

رواه الإمام أحمد[1] .

وقد ثبت أن الوحى كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحيانا فى مثل صلصلة الجرس ويسمعه ويَعِيه ولا يَسْمعه أحدٌ من الصحابة .

تنبيهات

الأول : إن قيل : كيف يكون صوتٌ مسموعٌ لسامع فى محَلّ لا يسمعه آخر معه وهو مثله سليم الحاسَّة عن آفة الإدراك ؟

أُجيب : بأَن الإدراك معنًى يخلقه الله تعالى لمن يشاء ويمنعه لمن يشاء وليس بطبيعة ولا وتيرة واحدة .

الثانى : فى بيان غريب ماتقدم :

الأَطِيط : صوت الأقتاب وأَطيط الإبل أَصواتها وحَنينها ، أى أَن كثرة ما فى السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أَطَّتْ .

قال فى النهاية : وهذا مثَل وإيذانٌ بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثَمَّ أَطِيط ، وإنما هو كلام تقريب أُريد به تقرير عظمة الله تعالى .

قلت : وفيه نظر لقوله : « إنى لأَسمع أَطيط السماء » .

حادت : مالت عند نِفَارها عن سَنَن طريقها .

حاصت : بحاء فصاد مهملتين : نَفَرَتْ وكرَّت راجعةً من خوف ماسمعت .

(١) مسند أحمد ٣ ١٠٣ وعن زيد بن ثابت ٥ ١٩٠ .

الباب السابع

فى صفة أنفه الشريف وخدّيه صلى الله عليه وسلم

روى الترمذى عن هند بن أبى هالة وابن عساكر عن علىّ رضى الله تعالى عنهما قالا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَقْنَى العِرْنين. زادِ هند : له نور يَعْلوه ، يَحْسبه من لم يتأَمله أَشمَّ وليس بأَشَم[1]

وقال رجل من الصحابة رضى الله تعالى عنهم : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دقيق الأَنف . رواه البيهقى .

وقال هند بن أَبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهْل الخدين .

رواه الترمذى .

وقال أَبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَسِيل الخدَّيْن .

رواه محمد بن يحيي الذُّهْلى فى الزهريات وابن عساكر .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهْل الخدين دقيق العِرْنين .

رواه ابن عساكر من طرق[2] .

وقال أَبو بكر رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح الخد .

رواه ابن عساكر[3] .

---

(١) شرح الشمائل ١/٤٤ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ .

(٣) لم أجده فى تهذيب ابن عساكر .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الخدين. رواه أبو الحسن بن الضحاك .

العِرْنين . بكسر العين وسكون الراء المهملة وكسر النون : الأنف . والقَنَى فيه : طوله ودقة أرنبته مع ارتفاع فى وسطه .

الشَّمَم : ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا، والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم لحُسْن قَنَى أنفه واعتدال ذلك يُحْسَب[1] قبل التأمل أنه أشمّ وليس كذلك . قاله فى النهاية .

سَهْل الخدين : أى ليس فى خديه نُتوء وارتفاع . وقيل أراد أن خديه صلى الله عليه وسلم أسِيلان قليلا اللحم رقيقا الجلد ، كما فى حديث أبى هريرة .

---

(١) ط : يحسبه

الباب الثامن

فى صفة فمه صلى الله عليه وسلم وأسنانه وطيب ريقه وبعض الآيات فيه

قال هند ابن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان صلى الله عليه وسلم ضَليعَ الفم ، أشْنَب ، مُفَلَّج الأُسنان ، يَفتر عن مثل حَبِّ الغَمام .

رواه الترمذى[1] وأبو الشيخ .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَلِيع الفم .

رواه الإمام أحمد والبخارى ومسلم[2] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَرَّاق الثنايا .

رواه ابن عساكر[3] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الثَّغْر .

رواه البيهقى[4] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفَلَّج الثنايا .

رواه ابن سعد[5] وأبو الشيخ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : شَمَمْت العطر كله فلم أشمّ نَكْهَةً أطْيَبَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) شرح الشمائل ١/٤٥ .

(٢) لم أجده فى صحيح البخارى . وهو فى صحيح مسلم كتاب الفضائل ٩٧ .
ومسند أحمد ٥/٩٧ وصحيح الترمذى كتاب المناقب باب ١٢ .

(٣) ليس فى تهذيب ابن عساكر .

(٣) لم أجده فى دلائل النبوة للبيهقى .

(٥) الذى فى طبقات ابن سعد ١ ١٢٩ (القسم الثانى) ط ليدن : مفلج الأسنان .

رواه ابن سعد[1] وأبو الشيخ .

وقال وائل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلو من ماء فشرب من الدلو ثم صَبَّ فى البئر أو قال ثم مَجَّ فى البئر . ففاح منها مثل رائحة المسك .

رواه الإمام أحمد وابن ماجة[2] .

ورواه أبو الحسن ابن الضحاك بلفظ : أُتِى بدلو فتوضأ منه فتمضمض ومَجَّ مسكاً أو أطْيبَ من المسك وانتشر خارجا منه .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ضحك كاد يتلألأ فى الجُدر لم أرَ قَبْله ولا بعده مثله .

رواه محمد بن يحيى الذهلى فى الزهريات . وأبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر[3] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : بزَق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى بئر فى دارنا فلم يكن بالمدينة بئر أعْذبَ منها .

رواه أبو نعيم[4] .

وقالت عُمَيْرة[5] بنت مسعود الأنصارية رضى الله تعالى عنها : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخواتى وهن خَمْس فوجدناه يأكل قَدِيدًا فمضغ لهن قَدِيدة ثم ناولنى القديدة فقسمتها بينهن فمضغت كلٌّ واحدة قطعةً فلَقين الله وما وُجد لأفواههن خُلُوف .

رواه الطبرانى[6] .

وقالت أُم عاصم امرأة عتبة بن فَرْقد رضى الله تعالى عنها : كنا نتطيَّب ونَجْهد لعتبة ابن فرقد أن نَبْلغه فما نَبْلغه وربما لم يمَس عُتْبة طِيبًا ، فقلنا له فقال : أخذنى البَثْرُ على عَهْد

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٢٣ (القسم الثانى) ط أوربا .

(٢) مسند أحمد ٤ ٣١٦ وابن ماجه كتاب الطهارة باب المج فى الإناء .

(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ .

(٤) الخصائص الكبرى ١ ١٥٣ .

(٥) كذا فى ط موافقا لأسد الغابة ٥/٥١٢ . وفى بقية النسخ : عمره . ولعله تحريف .

(٦) أسد الغابة ٥/٥١٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته ، فتفل فى كفه ثم مسح جلدى ؛ فكنت من أطيب الناس ريحًا .

رواه البخارى فى [[1]] والطبرانى وأبو الحسن بن الضحاك[2] .

وقال أبو أمامة رضى الله تعالى عنه : جاءت امرأة بذيئة اللسان إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديدًا ، فقالت : ألا تُطْعمنى؟ فناولها مما بين يديه ، فقالت : لا إلا الذى فى فيك . فأخرجه فأعطاها فألقته فى فمها فأكلته فلم يُعْلَم منها بعد ذلك الأمر الذى كانت عليه من البذاء والذرابة .

رواه الطبرانى[3] .

وقال محمد بن ثابت بن قيس بن شمَّاس : إن أباه فارق أمه وهى حامل به ، فلما ولدتْه حلفتْ أن لا تُلْبنه من لبنها . فدعا به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبصق فى فيه وقال اختلفْ به فإن الله رازقه فأتيته به اليوم الأول والثانى والثالث .

رواه البيهقى[4] .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

بحرٌ من الشَّهْد فى فيه مَراشِفُه ... يا قوت من صدف فيه جواهرُه[5]

ويرحم الله تعالى القائل أيضا :

جَنَى النَّحْل فى فِيه وفيه حَياتُنا ... ولكنَّــه مَنْ لى بِلَثْم لِثـامِهِ

رحيق الثنايـا والمثـانِى تنفَّسَتْ ... إذا قال عن فتحٍ بطيب ختامِه

---

(١) بياض بالأصول . ولعله فى التاريخ الكبير .

(٢) مجمع الزوائد ٢٨٢/٨ . قال : رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير بنحوه . ورجال الأوسط رجال الصحيح غير أم عاصم فإنى لم أعرفها .

(٣) مجمع الزوائد ٣١٢/٨ . وقال : وفيه على بن يزيد الألهانى وهو ضعيف . والخصائص الكبرى ١٥٤/١ (ط الهراس) .

(٤) الخصائص الكبرى ١٥٤/١ وبقية الخبر : فإذا امرأة من العرب تسأل عن ثابت بن قيس فقلت لها : ما تريدين؟ قالت : رأيت فى منامى هذه الليلة كأنى أرضع ابنا يقال له محمد . قال : فأنا ثابت وهذا ابني محمد .

(٥) ط : ياقوتة صدف فيه جواهره .

وقال أبو جعفر محمد بن على رحمه الله تعالى : بينما الحسن بن على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطش فاشتد ظمؤه فطلب له النبى صلى الله عليه وسلم ماءً فلم يجدْ فأعطاه لسانه فمصَّه حتى رَوِى .

رواه ابن عساكر . وهو منقطع . ورواه عن أبى هريرة وزاد : الحسين[1] .

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيّتين .
زاد أبو الحسن بن الضحاك : والرَّبَاعيّتين . انتهى .
إذا تكلَّم رُئِى كالنور يخرج من بين ثناياه .

رواه أبو زُرْعه الرازىّ فى دلائِله والدارمىّ والترمذى وأبو الحسن بن الضحاك وسنده جيّد[2] .

وقال سهل بن سعيد رضى الله تعالى عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : لأعطين الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه ، يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبه اللهُ ورسوله . فلما أصبح الناسُ غَدَوْا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يُعْطاها . قال : أين على بن أبى طالب ؟ فقالوا : هو يشتكى عَيْنيه . قال : فأَرسِلوا إليه . فأتى به فبصَق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع . الحديث رواه الشيخان[3] .

وقال أبو قِرْصافة ـ بكسر القاف رضى الله تعالى عنه : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمى وخالتى[4] فلما رجعنا قالت أمى وخالتى يا بنىّ ما رأينا مثلَ هذا الرجل لا أحسنَ وجهاً ولا أنْقَى ثوبا[5] ولا ألْيَن كلامًا ، ورأينا كالنور يَخْرج من فيه . رواه البيهقى[6] .

---

(١) الخصائص الكبرى ١/١٥٥ عن ابن عساكر .

(٢) شرح شمائل الترمذى ١/٦٧ والخصائص الكبرى ١/٦٢ وهو فى مجمع الزوائد من قوله : « إذا تكلم رئى كالنور » الخ . ٨/٢٧٩ . قال : وفيه عبد العزيز بن أبى ثابت وهو ضعيف .

(٣) صحيح البخارى كتاب الجهاد وكتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة حديث رقم ٣٢ — ٣٥ .

(٤) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : أنا وابنى وخالى .

(٥) غير ط : لوناً .

(٦) ليس فى دلائل النبوة للبيهقى .

تنبيه في بيان غريب ماسبق

الضَّليع : بضاد معجمة وعين مهملة ـ قال فى النهاية : أى عظيم الفم وقيل واسعة والعرب تمدح عظم الفم وتذم صغره .

قال الإمام النووى : وهذا قولُ الأكثر وهو الأظهر . والضَّليع : العظيم الخَلْق ، الشديد . وقال غيره : الضليع : المهزول الذابل . وهو فى صفته صلى الله عليه وسلم ذبول شفتيه ورِقَّتهما وحُسْنهما .

الشَّنَب : بشين معجمة فنون مفتوحة فموحدة : البياض والبريق والتحديد فى الأَسنان وقيل هوْ بَرْدها وعذوبتها .

الفَلَجَ بالتحريك : تباعد ما بين الثنايا والرباعيات .

يَفْترُ ـ بمثناة تحتية ففاء ففوقية مضمومة أى يُظْهر أسنانه .

حَبّ الغمام : الْبَرَد بفتحتين شبه به ثَغْره فى بياضه وصفائه وبَرده . الثَّغَر هنا : الثنايا .

مَجَّ الماء من فيه : مجاز من باب رمى : رمى به : الخُلوف : كالقُعود تغيُّر رائحة الفم .

الذَّرابة : الفُحْش .

البَذاء فى المنْطق . بالفتح والمد والذال المعجمة : السَّفَهُ والفحش .

تلبِنُه : بالمثناة الفوقية فلام فموحدة فنون : ترضعه .

الثَّنَايا : جمع ثَنِيّة وهى أَربع من الأَسنان .

بَصق بالصاد المهملة ويقال بالسين أيضا .

الباب التاسع

فى صفة لحيته الشريفة وشَيْبه صلى الله عليه وسلم

قال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثَّ اللِّحْية .

رواه الترمذى ورواه ابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه[1] .

وقال على رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيم اللحية .

رواه البيهقى وابن عساكر وابن الجوزى[2] .

وقال جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم اللحية . رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود اللحية .

رواه البيهقى وابن عساكر[3] .

وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد سواد الرأس واللحية .

رواه ابن عساكر[4] .

---

(١) شرح شمائل الترمذى ١/٤٥ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٣ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٦ والوفا لابن الجوزى ص ٣٩٢ .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٤ . وتهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

(٤) ليس فى تهذيب ابن عساكر . والذى فيه : سئل سعد بن أبى وقاص : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : لا ولا هم به .

وهذا الخبر فى طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٢٦ (ط ليدن) .

وقال أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه : كانت لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ملأت من هاهنا إلى هاهنا . رواه ابن عساكر[1] .

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن أبى خيثمة رحمه الله تعالى : كانت عَنْفَقَتُهُ صلى الله عليه وسلم بارزة ونبكاه[2] حول العنفقة كأنهما بياض اللؤلؤة ، فى أسفل عنفقته شعر منقاد حتى يقع انقيادها على شعر اللحية حتى يكون كأنه منها .

وقال أبو ضَمْضَم رحمه الله تعالى : نزلتُ بالرُّجَيْج[3] فقيل هاهنا رجل يقال له أسعد ابن خالد رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأتيته فقلت : رأيتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم رأيته كان رجلاً مربوعا حسن السَّبْلَة .

رواه الدينورى وابن عساكر[4] .

وقال أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير شعر الرأس واللحية .

رواه مسلم وابن أبى خيثمة واللفظ له[5]

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : شَمِط مُقَدَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته وكان إذا ادَّهن لم يتبين فإذا لم يدهن تبيَّن .

رواه مسلم[6]

وقال ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن أنس رضى الله تعالى عنه : ليس فى شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته عشرون شَعْرة بيضاء .

رواه الشيخان[7] .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٠ .

(٢) كذا بالأصول . ولعلها : وفكاه . والنبك : المرتفع .

(٣) الأصل بالرجيح – بالحاء – وما أثبته من معجم البلدان ٩/٢٩

قال : والرجيج تصغير رج موضع ببلاد العرب .

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٦٥ .

(٥) ليس فى صحيح مسلم كتاب الفضائل .

(٦) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٩ .

(٧) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ومبعثه وسنه ٤/١٨٢٤ ط استامبول .

وقال ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه : ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لحيته[1] إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة بيضاء .

رواه ابن سعد بسند صحيح[2] .

ورواه أبو الحسن ابن الضحاك بلفظ أربع عشرة بيضا .

وقال حُمَيْد عنه : لم يكن فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء قال حميد : كن سبع عشرة .

رواه ابن أبى خيثمة .

وقال قتادة عنه : لم يَخْضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إنما كان فى عَنْفَقته وفى الصدغين وفى الرأس نَبْذٌ[3] .

رواه مسلم[4]

وقال أبو بكر بن عيَّاش رحمه الله تعالى : قلت لربيعة : جالستَ أنسا ؟ قال : نعم . وسمعته يقول : شاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عشرين شيبة ها هنا . يعنى العَنْفَقة .

رواه ابن خيثمة .

وقال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما : كان شيب رسول الله صلى الله عليه نحواً من عشرين شعرةً بيضاء فى مُقَدَّمه .

رواه ابن إسحاق وابن حبان والبيهقى[5] .

وقال أبو جُحَيْفة رضى الله تعالى عنه : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ورأيت بياضاً تحت شفته السُّفْلى العَنْفَقة .

رواه البخارى[6] .

ورواه الإسماعيلى بلفظ : من تحت شفته السفلى مثل موضع إصبع العنفقة .

---

(١) ط : ولحيته .

(٢) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٥ (ط أوربا) .

(٣) كذا فى ط موافقا لصحيح مسلم . وفى بقية النسخ : وفى الرأس شعرات تبدو .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٤ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٨٦ . وشمائل الرسول لابن كثير .

(٦) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

وفى لفظ له . رأيت النبي صلى الله عليه وسلم شابت عنفقته

وقال عبد الله بن بُسْر - بضم الموحدة وسكون المهملة - المازنى رضى الله تعالى عنه كان فى عنفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم شعراتٌ بِيضٌ .

رواه البخارى[1] .

وفى رواية عند الإسماعيلى : إنما كانت شعراتٍ بِيضاً .

وقال أبو إياس رحمه الله تعالى : سئل انس عن شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما شانه الله تعالى ببيضاء

رواه ابن عساكر . وقال : لعل أنساً أراد بلحية بيضاء . فقد روى عنه وعن غيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أنه شاب بعض شعره صلى الله عليه وسلم وأشار إلى العَنْفَقة .

وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم عن ابن سيرين رحمه الله تعالى قال : سئل أنسٌ رضى الله تعالى عنه عن خضَاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن شابَ إلا يسيرا ولكن أبا بكر وعمر خضَباه بعدُ بالحِنَّاء والكَتْمَ[2]

وروى ابن عساكر عن أنس رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفَّر لحيته وما فيها عشرون شعرة بيضاء .

وقال قتادة : سألت أنساً : هل خضَب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا إنما كان شىء فى صدغيه .

رواه البخارى[3] ولفظه : قال : لم يخضب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان البياض فى عنفقته وفى صدغيه[4] . نَبْذ : أى متفرِّق .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

(٢) بل هو فى صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٥ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ج ١ القسم الثانى ص ١٣٥ وما بعدها .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وكتاب اللباس باب رقم ٦٦ وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠١ ، ١٠٢ .

وقال محمد بن سيرين رحمه الله تعالى : سألت أنساً أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَخْضب ؟ قال : لم يَبْلغ الخِضَاب .

رواه الشيخان[1] .

ولمسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه . لو شئت أن أعدَّ شَمَطاتٍ كنّ فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلت[2] » .

فائــدة

روى ابن سعد عن يونس بن طلق بن حبيب رحمه الله تعالى أن حجّاماً أخذ من شارب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى شيبة فى لحيته فأهوى إليها ، فأمسك النبىُّ ـ صلى الله عليه وسلم بيده وقال : « من شابَ شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة[3] » .

تَنْبيهاتٌ

الأول : قال الحافظ رحمه الله تعالى : عُرِف من مجموع الروايات أن الذى شاب فى عنفقته صلى الله عليه وسلم أكثر مما شاب فى غيرها . وقول أنس لما سأله قتادة هل خضب ؟ : « إنما كان شىءٌ فى صدغيه » أراد أنه لم يكن فى شعره ما يحتاج إلى الخضاب . وقد صرّح بذلك فى رواية محمد بن سيرين السابقة .

الثانى : اختلف فى عدد الشعرات التى شابت فى رأسه صلى الله عليه وسلم ولحيته . فمقتضى حديث عبد الله بن بُسْر أنّ شيبه صلى الله عليه وسلم كان لا يزيد على عشر شعرات لإيراده بصيغة القلة . وفى رواية ابن سعد : لم يَبْلغ ما فى لحيته من الشعر عشرين شعرة[4]. قال حميد : وأومأ إلى عنفقته سبع عشرة[5].

---

(١) صحيح البخارى كتاب اللباس باب رقم ٨٧ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٣ .

(٣) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٦ (ط أوربا) .

(٤) طبقات ابن سعد الجزء الأول القسم الثانى ص ١٣٥ .

(٥) الطبقات : قال زهير : وأصغى حميد إلى رجل عن يمينه قال سبع عشرة . ووضع يده على عنفقته .

وروى أيضا عن ثابت عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : ما كان فى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحيته إلا سبع عشرة أو ثمانى عشرة[1] .

وروى ابن أبى خيثمة عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : لم يكن فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء . قال حميد : كن سبع عشرة .

وروى الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : لو عددت ما أقْبَل من شيبه صلى الله عليه وسلم فى رأسه[2] ولحيته ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة .

وجمَع العلامة البُلْقينى[3] بين هذه الروايات بأنها تدل على أن شعراته البيض لم تبلغ عشرين شعرة، والرواية الثانية[4] توضح أن ما دون العشرين كان سبع عشرة ، فيكون كما ذكرنا : العشرة فى عنفقته[5] والزائِد عليها يكون فى بقية لحيته لأنه قال فى الرواية الثالثة : لم يكن فى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون شعرة بيضاء ، واللحية تشمل العنفقة وغيرها . وكون العشرة فى[6] العنفقة بحديث عبد الله بن بُسْر والبقية بالأحاديث الأخر فى بقية لحيته . وكَوْن حُمَيْد أشار إلى عنفقته سبع عشرة ليس يُعْلم[7] ذلك من نفس الحديث، والحديث لايدل إلا على ما ذكرنا من التوفيق . وأما الرواية الرابعة فلا تنافى كونَ العشرة على العنفقة والزائد[8] على غيرها . وهذا الموضع موضع تأمل . انتهى .

الثالث : سيأتى الكلام فى خصائصه صلى الله عليه وسلم فى أبواب زينته .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق .

---

(١) الطبقات ١/١٣٥ (القسم الثانى) .

(٢) ص ، ت ، م : ورأسه .

(٣) ط : العينى .

(٤) ط : الثابتة .

(٥) ط : على عنفقته .

(٦) ط : على العنفقة .

(٧) ط : يفهم .

(٨) ط : والواحد .

الكَثَّة : بفتح الكاف وثاء مثلثة ـ أى فيها كثاثة واستدارة وليست بطويلة .

السَّبَلة : بالتحريك ـ مقدَّم اللحية وما انحدة منها على الصدر . وقيل: هى الشعرات التى تحت اللُّحْى الأسفل . وقيل : الشاربُ[1]

الرُّجَيْج[2] :

شَمِط : بالكسر شَمطاً : خالط سوادَ لحيته بياضٌ فهو أَشْمط . والمرأة فى رأسها كذلك فهى شمطاء .

أبو جُحَيْفة : بجيم مضمومة فحاء مهملة ومثناة تحتية ساكنة ففاء ـ واسمه وهب بن عبد الله السُّوائى بضم السين .

العَنْفقة : ما بين الذقن والشّفة السفلى ، سواء كان عليه شعر أم لا . ويطلق على الشعر أيضا . وقوله : « تحت شفته السفلى العنفقة » بجرِّ العنفقة بدلٌ من الشفة . وبنصبها وإعراب[3] عنفقة كما تقدم .

الصُّدْغ : بالضم : ما بين لَحْظ العين إلى أصل الأُذن ويطلق على الشعر المتدلى عليه والجمع أصداغ ، مثل قُفْل وأقفال .

---

(١) كذا بالأصول . وفى القاموس : والسبلة محركة : الدائرة فى وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من الشعر ، أو طرفه ، أو مجتمع الشاربين ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها ، أو مقدمها خاصة .

(٢) بياض بالأصول والرجيج : تصغير رج : موضع ببلاد العرب . معجم البلدان ٩/٢٩

(٣) ض ت م : وهو إعراب . وما أثبته من ط .

الباب العاشر

فى صفة وجهه صلى الله عليه وسلم

سئل البرَاء بن عازِب رضى الله تعالى عنه أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل مثل القمر .

رواه البخارى والترمذى[1] .

وسئل جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف ؟ قال : لا بل[2] مثل الشمس والقمر مستديراً .

رواه مسلم[3] .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس وَجْهًا وأحسنهم خُلقا .

رواه الشيخان[4] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمُطَهَّم ولا المُكَلْثَم ، وكان فى وجهه تَدْوير .

رواه البيهقى وابن عساكر من طرق[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم (٢١٩/٢) (ط الأميرية) . وشرح شمائل الترمذى للقارى ٥٧/١ .

(٢) ص : لا ولكن مثل القمر .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٠٩ .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٣ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ٢٢١/١ وتهذيب ابن عساكر ١ ٣١٧ .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فَخْمًا مفخَّما يتلألأ وجهه وجه القمر ليلة البدر .

رواه الترمذى وغيره[1] .

وقال على رضى الله تعالى عنه : كان فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تَدْوير .

رواه مسلم والبيهقى[2] .

وقال أبوعبيد[3] : يريد ما كان فى غاية التدوير بل كان فيه سُهولة وهى أَحْلَى عند العرب .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : رأيت رجلاً ظاهرَ الوضاءة متبلِّج الوجه .

رواه الحارث بن أسامة وغيره[4] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وَجْها وأنْوَرهم لونًا .

رواه ابن الجوزى[5] .

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : كانَ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارَة القمر .

رواه أبو نعيم .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تخرج[6] من وجهه .

رواه ابن الجوزى[7] .

---

(١) شرح شمائل الترمذى ١/٤٠ .

(٢) لم أجده فى صحيح مسلم كتاب الفضائل وهو فى صحيح الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٨ . والوفا لابن الجوزى ص ٣٩٢ ودلائل النبوة للبيهقى ١ / ١٦٠ .

(٣) ص ، ت ، م : أبو عبيدة .

(٤) سبق تخريج حديث أم معبد .

(٥) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٦ .

(٦) كذا فى ط موافقا لابن الجوزى وفى بقية النسخ : تجرى .

(٧) الوفا ص ٤٠٦ .

وقالت امرأة حجّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها أبو إسحاق الهَمْدانى : شبِّهيه لى . قالت : كالقمر ليلة البدر ، لم أرَ قبله ولا بعده مثله .

رواه البيهقى[1] .

ويروى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كنت أخيط الثوبَ فسقطت الإبرة فطلبتها فلم أقْدر عليها ، فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتبيَّنتُ الإبرة بشعاع وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر[2] .

ويروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما . قال : لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظِلّ ولم يقم مع شمسٍ إلا غلَب ضوؤه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج إلا غلب ضوؤه ضوء السِّراج .

رواه ابن الجوزى[3] .

وقال كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر فكنا نعرف ذلك منه .

رواه الشيخان وأبو داود والنسائى[4] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تَبْرق أساريرُ وجهه .

رواه الشيخان[5]

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٤٦ .

(٢) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٤ .

(٣) الوفا ص ٤٠٧ .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم وكتاب المغازى باب غزوة تبوك وصحيح مسلم كتاب التوبة حديث رقم ٥٣ والترمذى كتاب التفسير « سورة التوبة » .

(٥) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ وصحيح مسلم كتاب الرضاع حديث رقم ٣٨ .

وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سرّ كأن وجهه المرآة ، وكأن الجدُر تَلاَحكُ وجهُه .

أورده ابن الأثير فى النهاية[1] .

تنبيهات

الأول : قال الحافظ : قوله : « كأنه قطعة قمرٍ » لعله صلى الله عليه وسلم كان حينئذ متلثما ، والموضع الذى يتبين فيه السرور هو جبينه وفيه يظهر السرور ، وكأن الشبه وقع على بعض الوجه فناسب أن يشبَّه ببعض القمر .

وقال فى المغازى فى قصة توبة كعب : ويُسْأَل عن السرّ فى التقييد بالقطعة مع كثرة ما ورد فى كلام البُلَغاء من تشبيه الوجه بالقمر بغير تقييد[2] . وقد تقدم تشبيههم له بالشمس طالعةً وغير ذلك . وكان كعب قائل هذا من شعراء الصحابة وحاله فى ذلك مشهور ، وما قيل فى ذلك من الاحتراز من السواد الذى فى القمر ليس بقوىّ ، لأن المراد بتشبيهه ما فى القمر من الضياء[3] والاستنارة وهو فى تمامه لا يكون فيها أقل مما فى القطعة المجردة . ويحتمل أن يكون أراد بقوله « قطعة قمر » القمر نفسه .

وقد روى الطبرانى حديث كعب بن مالك من طرق فى بعضها : « كأنه دارة قمر » .

وروى النسائى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فى قصة صلاة النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر وسؤاله ربَّه تبارك وتعالى قال : ثم التفت إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن شِقَّة وجهه القمر فقال : هذه مصارع القوم العشيَّةَ .

ووقع فى حديث جُبَيْر بن مُطْعِم عند الطبرانى : التفت إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بوجهه مثل شقّة القمر . فهذا محمول على صفته صلى الله عليه وسلم عند الالتفات .

---

(١) النهاية لابن الأثير ٤|٥٥ .

(٢) ص ، ت ، م : بغير تقديم ، وما أثبته من ط .

(٣) ت م : من الضوء .

الثانى : هذه التشبيهات الواردة فى صفاته صلى الله عليه وسلم إنما هى على عادة الشعراء والعرب ، وإلا فلا شىء من هذه المحْدَثات يعادل صفاته صلى الله عليه وسلم .

ويرحم الله تعالى القائل حيث قال :

كالبَدْرِ والكافُ إن أنصفتَ زائدةٌ فلا تَظنَّنْها كافاً لتَشْبيهِ

ويرحم الله تعالى القائِل أيضا :

يقولون يَحْكى البدرَ فى الحُسْنِ وجْهُه وبَدْرُ الدُّجَى عن ذلك الحسن مُنْحطٌّ

كما شبهُّوا غُصْن النَّقَا بقَوامِه لقد بالغوا بالمدحِ للغُصْن[1] واشتطُّوا

وقد تقدم فى أبيات سيدى على وَفَا إشارة إلى هذا[2]

* * *

الثالث : قال الحافظ أبو الخطاب بن دِحْية رحمه الله تعالى : كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مستديرا فأراد البَراء أن يزيل ما توهَّمه القائل من معنى الطُّول الذى فى السيف إلى معنى الاستدارة التى فى القمر ، لأن القمر يُؤْنس كلَّ من شاهده ويَجْمع النور من غير أذى حرّ ويتمكن من النظر إليه بخلاف الشمس التى تُغْشى البصرَ فتمنع من الرؤية .

وقال الحافظ فى الفتح : ويحتمل أن يكون أراد مثل السيف فى اللَّمعان والصقالة فقال البرَاء : لا بل مثل القمر الذى فوق السيف فى ذلك ، لأن القمر يشمل التدوير واللمعان بل التشبيه به أبْلغ وأشهر . وإنما قال جابر بن سَمُرة « كان مستديرا » لينبه على أنه جمع الصفتين لأن قوله مثل السيف يحتمل أن يريد به السائل الطُّولَ واللمعان، فرده المسئول ردًّا بليغا ، ولما جرى التعارف فى أن التشبيه بالشمس إنما يراد به غالباً الإشراق ، والتشبيه بالقمر إنما يراد به الملاحة دون غيرها أتى بقوله « وكان مستديرا » إشارة إلى أنه أراد التشبيه بالصفتين معاً : الحسن والاستدارة[3] .

---

(١) غير ط : بالغصن .

(٢) سبق ذلك فى ص ١١ من هذا الجزء وانظر ترجمة على وفا فى طبقات الشعرانى ٢١ ٢٠ .

(٣) فتح البارى ٦/٤٤٥ .

الرابع : فى بيان غريب ما سبق :

المطَهَّم : بميم مضمومة فطاء مهملة فهاء مشددة مفتوحتين : وهو المنتفخ الوجه .

المُكَلْثَم : بميم مضمومة فكاف مفتوحة فلام ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة - وهى من الوجه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم[١] .

فَخْما : بفاء مفتوحة فخاء معجمة ساكنة : أى عظيما .

مُفَخَّما : بميم مضمومة فخاء معجمة مفتوحة مشددة اسم مفعول : أى معظَّما فى الصدور والعيون .

المتبلِّج والأَبْلَج : الحسَن المشْرق المضىء ، ولم تُرد به بلَج الحواجب لأَنها وصفتها بالقرَن .

دارة القمر : الهالة حَوْله .

سُرَّ : بضم أوله مبنيا للمفعول من السرور .

استنار : أضاء وتنوَّر .

الأَسَارِير : جمع أَسْرار ، وهى جمع السِّرر[٢] ، وهى الخطوط التى تكون فى الجبهة وبَرقانها يكون عند الفرح .

المُلاَحكة . شدة الملاءمة[٣] ، أَى يُرَى شخص الجدْر فى وجهه صلى الله عليه وسلم .

والله تعالى أَعلم .

---

(١) غيرط : اللحية .

(٢) فى القاموس : السرر والسرار ، ويضمان ، والسرار بالكسر ، واحد أسرار الكف ، لخطوطها ، وجمع الجمع أسارير .

(٣) كذا فى ط موافقا للنهاية ٤/٥٥ وفى بقية النسخ : شدة اللماعة .

الباب الحادى عشر

فى صفة عنقه صلى الله عليه وسلم ، وبُعْد ما بين مَنْكبيه وغِلَظ كتده

قالت أُم معبد رضى الله تعالى عنها : كان فى عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم سَطع .

رواه الحارث بن أَبى أُسامة [١]

وقال هند بن أَبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم كجِيد دُمْية فى صفاء الفضة .

رواه الترمذى[٢] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فيما رواه ابن عساكر ، وعلى بن أَبى طالب فيما رواه ابن سعد وأَبو نعيم والبيهقى : كأَن عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم إبريق فضة[٣] .

وروى الإمام أَحمد والشيخان عن البرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنه : والإمام أَحمد والبيهقى عن أَبى هريرة ، والترمذى عن هند رضى الله تعالى عنهم قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيدَ ما بين المَنْكبين[٤] .

وروى الترمذى عن على رضى الله تعالى عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جَلِيل المشَاش والكتد[٥] .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/٢٣٠ .

(٢) شرح الشمائل لابن جسوس ١/٣١ .

(٣) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٧ .

(٤) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ ، ٩٢

(٥) شرح الشمائل ١/٢١ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأله الناس فأعطاهم الحديث وفيه : فجذَبوا ثوبه حتى بدا مِنْكبه فكأنما أنظر حين بدا منكبه إلى شقة القمر من بياضه صلى الله عليه وسلم

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا وضع رداءه عن منكبَيْه فكأنه سَبيكة فضة .

رواه البزّار والبيهقى وابن عساكر [1] .

وقال الحافظ أبو بكر بن أبى خيثمة فى تاريخه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ الناس عُنقا ، ما ظهرَ من عنقه للشمس والرياح فكأنه إبريق فضة مشْرَب ذهباً يتلألأ فى بياض الفضة وحُمْرَة الذهب ، وما غيبَتِ الثيابُ من عنقه فما تحتها فكأنه القمر ليلة البدر .

[تفسير الغريب]

السَّطَع : بالتحريك طول العنق .

الجيد . بكسر الجيم وسكون المثناة التحتية : العنق .

الدُّمْية- بضم الدال المهملة وإسكان الميم ومثناة تحتية مفتوحة- الصورة المصوَّرة سميت بذلك لأن المصانع يتفوَّق فى صنعها وتحسينها ، شبّه عنقه صلى الله عليه وسلم بالفضة فى صفائها .

المَنْكِب : بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه : مُجْتَمع رأس العضُد والكتف : وبُعْد ما بين المنكبين يدل على سعة الصدر والظهر .

المُشَاش : بضم الميم وشينين معجمتين : رءوس العظام : المرفقين والكعبين والركبتين وقال الجوهرى . رءوس العظام اللَّينة التى يمكن مضغها .

الكَتَد : بكاف فمثناة مفتوحتين فدال مهملة مُجْتمع الكتفين .

والله تعالى أعلم .

---

(١) تهذيب ابن عساكر ١/٣١٩ .

الباب الثانى عشر

فى صفة ظهره صلى الله عليه وسلم وما جاء فى صفة خاتم النبوّة

قال مُحَرِّش – بضم الميم وفتح المهملة وقيل معجمة وكسر الراء بعدها معجمة ، ابن عبدالله الكَعْبى رضى الله تعالى عنه : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعْرانة ليلا فنظرت إلى ظهره كأَنه سَبيكة فضة .

رواه الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان (١)

فصل :

اختلف فى صفة خاتم النبوة على أقوال كثيرة متقاربة المعنى .

أحدها : أنه مثل زرّ الحَجَلة .

روى الشيخان عن السائب بن يزيد رضى الله تعالى عنه قال : قمت خلف ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زرّ الحجلة (٢) .

الثانى : أنه كالجُمْع :

روى مسلم عن عبد الله بن سَرْجس – بفتح المهملة وسكون الراء وكسر الجيم بعدها مهملة – رضى الله تعالى عنه قال : نظرت إلى خاتم النبوة بين كتفه عند نُغْض كتفه اليسرى جُمْعاً عليه (٣) خِيلاَن كأَمثال الثَّآليل (٤) .

---

(١) مسند الإمام أحمد ٥/٣٨٠ تحت عنوان : حديث رجل من خزاعة رضى الله عنه . فرواه عن سفيان بن عيينة ، عن اسماعيل بن أمية . عن رجل من خزاعة يقال له محرش أو مخرش لم يكن سفيان يقف على اسمه . وهو كذلك فى دلائل النبوة للبيهقى ١/١٥٥ عن محرش بالحاء المهملة وفى الخصائص الكبرى للسيوطى ١/٧٣ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب خاتم النبَوة .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة وسنن الترمذى كتاب المناقب باب خاتم النبوة . وهو فى شمائل الرسول لابن كثير ص ٣٩ . والخصائص الكبرى ١/١٤٧ .

(٣) غير ط : على خيلان .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة .

الثالث : أنه كبيضة الحمامة .

روى مسلم والبيهقى عن جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه قال: رأيت خاتم النبوة بين كتفى النبي صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الحمامة يشبه جسده[1] .

وروى أبو الحسن ابن الضحاك عن سَلْمان رضى الله تعالى عنه قال : رأيت الخاتم بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بيضة الحمامة .

الرابع : أنه شَعَرٌ مجتمع .

روى الإمام أحمد والترمذى والحاكم وصحّحه وأبو يَعْلى والطبرانى من طريق عِلْباء ـ بكسر المهملة وسكون اللام بعدها موحدة ـ ابن أَحْمر ـ بحاء مهملة وآخره راء ـ عن أبى يزيد عمرو بن أَخْطب ، بالخاء المعجمة ، الأَنصارى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادْنُ فامسح ظهرى . فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعى على الخاتم . فقيل له[2] : ما الخاتم ؟ قال : شعر مجتمع عند كتفه[3] .

ورواه أبو سعد النيسابورى بلفظ شعرات سود .

الخامس : أنه كالسِّلْعة .

روى الإمام أحمد وابن سعد والبيهقى من طرق عن أبى رِمْثة ـ بكسر الراء وسكون الميم فثاء مثلثة ـ رضى الله تعالى عنه قال : انطلقت مع أبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى مثل السِّلعة بين كتفيه [4] .

السادس : أنه بضعة ناشزة .

روى الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال : **الخاتم الذى بين كتفى** رسول الله صلى الله عليه وسلم بضْعة ناشزة[5] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل باب إثبات خاتم النبوة .
ودلائل النبوة للبيهقى ١/٢١٢ .

(٢) غير ط : فقيل لى .

(٣) الخصائص الكبرى ١/١٤٩ .

(٤) مسند أحمد ٢ ٢٢٦ . ودلائل النبوة للبيهقى ١/٢١٤ والخصائص الكبرى ٢/١٤٨ . وشمائل الرسول لابن كثير ص ٤١ وروايته : عن أبى ربيعة أو رمثة .

(٥) شرح شمائل الترمذى (جمع الوسائل) ١/٧١ .

وفى لفظ عند البخارى فى التاريخ والبيهقى : لحمة ناتئة [1] ولأحمد : لحمٌ ناشز بين كتفيه [2] .

السابع : أنه مثل البندقة .

روى ابن حبّان فى صحيحه من طريق إسحاق بن إبراهيم قاضى سمرقند : حدثنا ابن جُرَيْج عن عطاء عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : كان خاتم النبوة على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم مثل البندقة من لحم مكتوب [3] فيها : محمد رسول الله [4] .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى « مَوْرد الظمآن إلى زوائد ابن حبان » بعد أن أورد الحديث : اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذى كان يختم به الكتب [5] . انتهى .

ومن خطه نقلت وبخط تلميذه الحافظ على الهامش : البعضُ المذكور هو إسحاق ـ ابن إبراهيم قاضى سمرقند . وهو ضعيف .

وذكر الحافظ ابن كثير نحو ما قال الهيثمى . ولهذا مزيد بيان يأتى فى ثامن التنبيهات .

الثامن : أنه مثل التفاحة .

روى الترمذى عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم النبوة أسفل من غضْروف كتفه صلى الله عليه وسلم مثل التفاحة [6] .

التاسع : أنه كأثر المِحْجَم .

روى الإمام أحمد والبيهقى عن التّنُوخىّ رسول هرقل رضى الله تعالى عنه فى حديثه الطويل قال : فإذا أنا بخاتم فى موضع غُضْروف الكتف [7] مثل المِحْجَمة الضخمة .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١ ٢١٥ .

(٢) مسند أحمد ٣/٦٩ .

(٣) فى مورد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمى : عليه مكتوب .

(٤) مورد الظمآن ص ٥١٤ (ط السلفية) .

(٥) سنن الترمذى كتاب المناقب باب ٣ ومسند أحمد ٤/١٦٣ .

(٦) فى مسند أحمد ٣/٤١٢ : فى موضع غضون الكتف ، ٤٤١ مطولا .

(٧) فى مسند أحمد ٣/٤١٢ : فى موضع غضون الكتف ، ٤٤١ مطولا .

العاشر : أنه كشامة سوداء تضرب إلى الصفرة .

روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : كان خاتم النبوة كشامة سوداء تضرب إلى الصُّفْرة حولها شعرات متراكباتٍ كأنها عُرْف الفَرس[1] رواه أبوبكر بن أبى خيثمة من طريق صبح بن عبد الله الفَرْغانى حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد . وسيأتى فى ثامن التنبيهات أنه غير ثابت أيضا .

الحادى عشر : أنه كشامة [2] خضراء مُحْتضرة فى الَّلحم ، قليلا .

نقله ابن أبى خيثمة فى تاريخه عن بعضهم . وسيأتى فى ثامن التنبيهات أنه غير ثابت أيضا .

الثانى عشر : أنه كرُكْبة عَنْز :

روى الطبرانى وأبو نعيم فى المعرفة عن عَبّاد بن عمر رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم النبوة على طرف كتف النبى صلى الله عليه وسلم الأيسر كأنه رُكْبة عَنْز ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن يُرَى الخاتم .

سنده ضعيف .

الثالث عشر : أنه كبيضة حمامة مكتوب فى باطنها : الله وحده لا شريك له . وفى ظاهره : توجّه حيث شئت فإنك منصور .

رواه الحكيم الترمذى وأبو نعيم، قال فى المورد : وهو حديث باطل . ولهذا مزيد بيان فى ثامن التنبيهات .

الرابع عشر : أنه كنور يتلألأ .

رواه ابن عائذ ــ بعين مهملة ومثناة تحتية وذال معجمة .

الخامس عشر : أنه ثلاث شعرات مجتمعات .

ذكره أبو عبد الله محمد القُضَاعى ــ بضم القاف وبضاد معجمة وعين مهملة ــ رحمه الله تعالى فى تاريخه .

---

(١) ص : كأنها مثل عرف الفرس . والعبارة ساقطة فى ت م .

(٢) غير ط : أنه شامة .

السادس عشر : أنه عذرة[1] كعذرة الحمامة . قال أبو أيوب : يعنى قرطمة[2] الحمامة .

رواه ابن أبى عاصم فى سيرته .

السابع عشر : أنه كتينة صغيرة تَضْرب إلى الدُّهْمة[3] .

رُوى ذلك عن عائشة رضى الله عنها .

الثامن عشر : أنه كشىء يُخْتم به .

روى ابن أبى شيبة عن عمرو بن أخطب أبى زيد الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال : رأيت الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا بظُفره . كأنه يَخْتم .

التاسع عشر : أنه كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كدارة القمر مكتوب فيها سطران : السطر الأول : لا إله إلا الله . وفى السطر الأسفل : محمد رسول الله . رواه أبو الدَّحْدَاح أحمد بن إسماعيل الدمشقى رحمه الله تعالى فى الجزء الأول من سيرته . قال فى « المورِد » و « الغُرَر » وهو باطل بيِّن البطلان .

العشرون : أنه كبيضة نعامة . روى ابن حبان فى صحيحه عن جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه قال : رأيت خاتمَ النبوّة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم كبيضة النعامة يشبه جسده[4] .

قال الحافظ أبو الحسن الهيثمى فى« مَوْرد الظمآن » روى هذا فى حديث الصحيح[5] فى صفته صلىَ الله عليه وسلم ولفظه : مثل بيضة الحمامة وهو الصواب .

قال الحافظ : تبيَّن من رواية مسلم « كرُكْبة عنز » أن رواية ابن حبان غلط من بعض الرواة .

---

(1) ص : أنه غدة . وما أثبته من ط ، ت ، م .

(2) ص : يعنى فى طهرة الحمامة . وفى الهامش : قرطمة الحمامة .

(3) الدهمة : السواد .

(4) مورد الظمآن ص ٥١٤ .

(5) مورد الظمآن ص ٥١٤ : فى حديث فى الصحيح .

قلت : ورأيت فى « إتحاف المهَرَة » للحافظ شهاب الدين البوصيرى رحمه الله تعالى بخطه : « كركبة البعير » وبيَّض لاسم الصحابى وعَزاه لمسند أَبى يَعْلى وهو وَهْم من بعض رواته كأنه تصحَّف عليه كركبة عَنْز بركبة بعير .

ثم رأيت ابن عساكر روى الحديث فى تاريخه من طريق أَبى يعلى وسمَّى الصحابى عبَّاد بن عَمْرو .

وقال الحافظ فى الإصابة فى سنده من لا يُعْرف . قلت : وقد تقدّم عنه فى الثانى عشر أنه كركبة عنز . ولم أظفر به فى مجمع الزوائد للهَيْثمى .

الحادى والعشرون : أنه غُدة [1] حمراء .

روى أبو الحسن ابن الضحاك عن جابر بن سمُرة رضى الله تعالى عنه قال : كان خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم غدةً حمراء مثل بيضة الحمامة

***

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : اختلف فى موضع الخاتم من جسده صلى الله عليه وسلم : ففى صحيح مسلم : أنه عند نُغْض كتفه الأيسر . وفى رواية شاذة عن سلمان أنه عند غُضْروف كتفه اليمنى . عزَى هذه الرواية الشيخُ فى الخصائص الكبرى والسخاوى فى جَمْع طُرق قصة سلمان من رواية أبى قُرّة الكِنْدى عنه لدلائل البيهقى ولم أر ذلك فى نسختين منها ، لا فى الكلام على خاتم النبوة ولا فى قصة سَلْمان ، فكأنه فى موضع آخر غيرهما .

الثانى : قال العلماء : هذه الروايات متقاربة فى المعنى وليس ذلك باختلاف بل كل راوٍ شبَّه بما نسخ له ، فواحد قال كِزرّ الحَجَلة [2] وهو بَيْض الطائر المعروف أو أزرار البشخاناه . وآخر كبيضة الحمامة . وآخر كالتفاحة وآخر بَضْعة لحم ناشزة . وآخر لحمة ناتئة . وآخر كالمِحْجمة. وآخر كرُكْبة العنز . وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم .

(١) غيرط : كندة .

(٢) غيرط : كزر الحجل .

ومن قال : شَعْر . فلأن الشعر حوله متراكب عليه كما فى الرواية الأُخرى .

قال أبو العباس القرطبي فى « المفهم » : دلت الأَحاديث الثابتة على أن خاتم النبوة كان شيئا بارزًا أَحمر عند كتفه صلى الله عليه وسلم الأَيسر إذا قُلِّل قَدْر بيضة الحمامة ، وإذا كبِّر قدر جُمْع اليد .

وذكر نحوه القاضى وزاد : وأما رواية جمع اليد[1] فظاهرها المخالفَة ، فتُتَأَوَّل على وفق الروايات الكثيرة ، ويكون معناها : على هيئة جُمْع الكف لكنه أَصغر منه فى قدر بيضة الحمامة .

* * *

الثالث : قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : والحكمة فى كون الخاتم عند نغض كتفه الأيسر أنه معصوم من وسوسة الشيطان ، وذلك الموضع منه يوسوس لابن آدم .

قلت : روى أبو عُمَر بسند قوى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن رجلا سأَل ربَّه[2] أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فأَرِى جسدا مُمْهًى[3] يُرى داخله من خارجه ، وأرى الشيطان فى صورة ضفدع عند كتفه حِذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله فى مَنْكبه الأَيسر إلى قلبه يُوَسْوس إليه فإذا ذكر الله تعالى العبدُ خَنَس[4]

قال السُّهيلى : والحكمةُ فى وضع خاتم النبوة على جهة الاعتبار[5] أَنه صلى الله عليه وسلم لمّا مُلِىء قلبُه إيمانا خُتِم عليه كما يُخْتَم على الوعاء المملوء مِسْكاً أودُرًّا ، فجمع الله تعالى أَجزاء النبوة لسيدنا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وتممَّه وختَم عليه بختمه فلم تجد نفسُه ولا عدوُّه سبيلا إليه من أَجل ذلك الختم ، لأَن الشيء المختومَ محروس ، وكذلك تدبير الله تعالى لنا فى هذه الدار إذا وجد أَحدنا الشيء بختمه زال الشكُّ وانقطع الخصام فيما

---

(١) ط : جمع الكف .

(٢) فى ط : سأل ربه سنة .. الخ .

(٣) فى اللسان عن الليث : المهى إرخاء الحبل ونحوه . وأنشد لطرفة : .. لكالطول الممهى وثنياه فى اليد .

(٤) ذكره فى جمع الوسائل فى شرح الشمائل ٧٢/١ وقال إنه خبر مقطوع . وقال : أخرجه عبد البر – يقصد أبا عمر ابن عبد البر – بسند قوى إلى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز . وذكره أيضا صاحب الفائق .

(٥) غير ط على جهة اليسار . وهو تحريف .

بين الآدميّين ، فلذلك ختَم رب العالمين فى قلبه ختما يطمئن له القلبُ وألقى فيه النور ونفذت قوة القلب فظهر بين كتفيه كالبيضة[1] .

* * *

الرابع : قال الحافظ : مقتضى الأحاديث أن الخاتم لم يكن موجوداً عند ولادته صلى الله عليه وسلم ، وإنما وضِع لما شُقَّ صدره عند حليمة وفيه تعقُّب على من زعم أنه صلى الله عليه وسلم ولِد به ، وهو قولٌ نقله أبو الفتح بلفظ : قيل ولد به وقيل حين وضع . ونقله مُغَلْطاى عن ابن عائِذ .

قال الحافظ : وما تقدم أثْبت .

قلت : وصححه فى « الغُرَر » وتقدمت الأحاديث التى فيها ذِكْر الختم فى باب شَقّ صدره الشريف صلى الله عليه وسلم فراجعها[2] .

ومقتضاها والحديث السابق أول هذا الباب أن الختم تكرر ثلاث مرات : الأول وهو فى بلاد بنى سعد . والثانية : عند المبعث . والثالثة: ليلة الإسراءِ ، ولم أقفْ فى شىء من أحاديث شق صدره صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين على ذكر الخاتم . فالله تعالى أعلم .

* * *

الخامس : سئِل الحافظ برهان الدين الحلبى رحمه الله تعالى : هل خاتم النبوة من خصائِص النبى صلى الله عليه وسلم ؟ أو كلّ نبى مختوم بخاتم النبوة ؟ فأجاب : لا أستحضر فى ذلك شيئًا ولكن الذى يظهر أنه صلى الله عليه وسلم خُصَّ بذلك لمعان منها : أنه إشارة إلى أنه خاتم النبيين وليس كذلك غيره . ولأن باب النبوة خُتِم به فلا يُفتح بعده أبدًا .

وروى الحاكم عن وهب بن منبّه رحمه الله تعالى قال : لم يبعث الله نبيا إلا وقد كانت عليه شامة النبوة فى يده اليمنى ، إلا أن يكون نبيُّنا صلى الله عليه وسلم ، فإنَّ شامةَ النبوّة كانت بين كتفيه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الروض الأنف ١/١٠٩ .

(٢) سبق ذلك فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

فعلى هذا يكون وضع الخاتم بظهر النبي صلى الله عليه وسلم مما اختص به عن الأنبياء وجزم به الشيخ رحمه الله تعالى فى « أنموذج اللبيب» كما فى النسخ الصحيحة خلافاً[١] لما وقع فى غيرها مما يخالف ذلك .

* * *

السادس : قال القاضى رحمه الله تعالى : إن الختم هو أثر شَقّ الملَكيْن لما بين كتفيه. وتعقبه النووى فقال : هذا باطل لأن الشق إنما كان فى صدره صلى الله عليه وسلم وبطنه ، وقال القرطبي أثره – أى الشق – إنما كان خطًّا واضحًا من صدره إلى مَراقّ بطنه كما فى الصحيح . ولم يثبت قط أنه بلغ الشق حتى نفَذ من وراء ظهره ، ولو ثبت لزم عليه أن يكون مستطيلا من بين كتفيه إلى بطنه أى أسفل بطنه لأنه الذى يحاذى الصدر من مَسْربته إلى مراقّ البطن . قال : فهذه غفلة من القاضى .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : كذا قال . وقد وقفت على مستند القاضى وهو حديث عتبة بن عَبْد السُّلَمىّ وفيه أن الملكين لما شقَّا صدره صلى الله عليه وسلم قال أحدهما للآخر خطْه فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة. انتهى . فلما ثبت أن خاتم النبوة بين كتفيه كان ذلك أثر الخَتْم[٢]

وفهم النووى وغيره أن قوله : «بين كتفيه » متعلق بالشق ، وليس كذلك بل هو متعلق بالختم ويؤيّده ما فى حديث شدَّاد بن أَوْس عند أبي يعلى وأَبى نُعَيْم فى الدلائل أن الملَك لما أخرج قلبه وغسَله ثم أعاده ختم عليه بخاتم فى يده من نور فامتلأ نورًا وذلك نور النبوة . فيحتمل أن يكون ظهَر من وراء ظهره عند كتفه الأيسر لأن القلب فى تلك الجهة .

وفى حديث عائشة عند أبى داود الطيالسى وابن أبى أُسامة وأبى نعيم فى الدلائل أن جبريل وميكائيل لما تراءيا له عند المبعث « هبط جبريل فسَلقنى لِحلاوةِ القفَا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم غسله فى طَسْت من ذهب بماء زمزم ، ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم ألقانى

---

(١) ط : خلافا لغيرها .

(٢) غير ط : أثر الخاتم .

وختم فى ظهرى[1] حتى وجدت بَرْد[2] الخاتم فى قلبى وقال: اقرأ » وذكر الحديث[3]. هذا مستند القاضى رحمه الله تعالى وليس بباطل .

قلت : وقد تقدم فى التنبيه الثالث من كلام السُّهَيْلى ما يوضِّح ما ذكره القاضى فراجعه .

السابع : وقع فى حديث شدَّاد بن أوس فى مَغازى ابن عائذ فى قصة شقّ صَدْره صلى الله عليه وسلم وهو فى بلاد بنى سعد بن بكر « وأقبل وفى يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه » وهذا قد يؤخذ منه أن الختم وقع فى موضعين من جسده صلى الله عليه وسلم والعلم عند الله تعالى .

الثامن : قال الحافظ : ما قيل إن الخاتم كان كأثر مِحْجم[4] أو كالشامة السوداء أو الخضراء مكتوب عليها : لا إله إلا الله محمد رسول الله أو سِرْ فإنك المنصور . ونحو ذلك فلم يَثْبت من ذلك شىء ولا يُغتَرّ بما وقع فى صحيح ابن حبان فإنه غَفَل حيث صحح ذلك .

وقال القطب فى « المَوْرد » والمحب ابن الشهاب بن الهائم فى « الغُرَر»: إنه حديث باطل . ونقل أبو الخطاب بن دِحْية رحمه الله تعالى عن الحكيم الترمذى أنه قال : كان الخاتم الذى بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمامة مكتوب فى باطنها : الله وحده . وفى ظاهرها : تَوجَّه حيث شئت فإنك منصور . قال ابن دحية : وهذا غريب واستنكروه .

وتقدم لهذا مزيد بيان فى فصل : اختُلف فى صفة خاتم النبوة فراجعه .

التاسع : قيل إن الخاتم النبوى الذى كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم رُفع عند وفاته فكان بهذا عُرف موته صلى الله عليه وسلم . فروى أبو نعيم والبيهقى من طريق الواقدى

---

(١) ط : فى صدرى .

(٢) ط : مس الخاتم .

(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ١٧٥ .

(٤) غيرط : كأثر المحجم .

عن شيوخه قالوا: شكوا فى موت النبى صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : قد مات . وقال بعضهم : لم يمت . فوضعت أسماء بنت عُمَيْس رضى الله تعالى عنها يَدها بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : قد مات ، قد رُفع الخاتم من بين كتفيه . وكان بهذا عرف موتُه صلى الله عليه وسلم .

ورواه ابن سعد عن الواقدى عن أم معاوية أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذكره [1] .

والواقدى متروك بل كذَّبه جماعة .

وذكر فى « الزهر » أن الحاكم روى فى تاريخه عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها لمست الخاتم حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد رُفع . انتهى .

ووقع لى نِصْف تاريخ الحاكم فطالعته فلم أر فيه ذلك وكأنه فيما لم يقع لى . فلينظر سنده ، وما أخاله صحيحا . وعلى تقدير كونه صحيحا قال فى « الاصطفاء » فإن قيل : النبوة والرسالة باقيتان بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم حقيقة كما يبقى وصفُ الإيمان للمؤمن بعد موته لأن المتصف بالنبوة والرسالة والإيمان هو [2] الروح وهى باقية لا تتغير بموت البدن كما صرح به النسفى فلم رُفع ما هو علامة على ذلك ؟

قلت : لأنه لما وضع لحكمة وهى تمام الحفظ والعصمة من الشيطان وقد تم الأمن منه بالموت فلم يبق لبقائه فى جسده فائدة . وما ذكره النسفى من بقاء النبوة والرسالة بعد موت الأنبياء حقيقة هو مذهب أبى الحسن الأشعرى رحمه الله تعالى وعامة أصحابه ، لا لما قال النسفى بل لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أحياء فى قبورهم كما وردت به الأخبار وسيأتى تحقيق ذلك فى باب حياته فى قبره صلى الله عليه وسلم .

العاشر : روى الحافظ إبراهيم الحَرْبى فى غريبه وابن عساكر فى تاريخه ، عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : أرْدَفنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَلْفه فالتقمت خاتم النبوة بفِيَّ فكان ينمّ علىَّ مسْكا .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/٢٧٢ (ط بيروت) .

(٢) ت م : هى الروح .

الحادى عشر : فى بيان غريب ما سبق : زرّ الحَجَلة : اختلف فى ضبط زرّ وفى الحجلة ومعنييهما . فقيل فى « زر » إنه بتقديم الزاى على الراء المشددة والحَجلة بفتح الحاء المهملة والجيم وعلى هذا فقيل المراد بالزِّر الذى يعقد به النساءُ عُرَى حجُولهن كأَزرار القميص والحجلة بيتٌ من ثياب كالقُبّة يُجعل بابه من جنبه[1] يُجعل فيه الزِّر والعُرْوة . وقيل : المراد بالزر البَيْض والحجَلة الطائر المعروف . قال الترمذى رحمه الله تعالى : ويساعده فى ذلك رواية كبيضة حمامة . قال النووى : والصحيح المشهور هو الأَول . وقيل المراد بالحجلة من حجَل الفرس . نقله البخارى فى الصحيح عن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أَبى زيد[2]

قال فى المطالع وقيَّده بعضهم بضم الحاء وفتح الجيم . قال فى المطالع : إن كان سمِّى البياض الذى بين عينى الفرس حُجْلة لكونه بياضا كما سمى بياض القوائم تحجيلا فما معنى الزرّ مع هذا[3] ؟ لا يتجه لى فيه وَجْه .

وقال الحافظ رحمه الله تعالى : واستبعد السُّهيلىّ قولَ ابن عبيد الله بأَنها من حجل الفرس الذى بين عينيه بأَن التحجيل إنما يكون فى القوائم وأَما الذى فى الوجه فهو الغُرَّة وهو كما قال ، إلا أَن منهم من يطلق على ذلك مجازًا وكأَنه أَراد أَنها قَدْر الزر وإلا فالغُرة لا زِرّ لها .

وضبطه بعضهم بتقديم الراء على الزاى . حكاه الخطَّابى وفسره بأَنه البيض من قولهم أَرَزَّت الجرادةُ بفتح الراء وتشديد الزاى إذا أَدخلت ذَنبها فى الأَرض لتبيض . فاستعار له الطائر. قال فى « المفهم »: لا يسمى العربُ البيضة « رُزَّة[4] » ولا تؤخذ اللغة بالقياس .

النُغْض ـ بنون تضم وتفتح فغين ساكنة فضاد معجمتين ـ قال الجمهور : النغض والناغض : أَعلى الكتف . وقيل هو العَظْم الدقيق الذى على طرفه[5] وقيل : ما يظهر عند التحرُّك .

---

(١) ط : من جنبه .

(٢) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : ابن محمد بن يزيد . والذى فى صحيح البخارى : قال ابن عبيدالله : الحجلة من حجل الفرس الذى بين عينيه . قال ابن حجر هكذا وقع وكأنه سقط منه شىء ، لأنه يبعد عن شيخه – يريد شيخ البخارى ابن عبيد الله – أن يفسر الحجلة ولم يقع لها فى سياقه ذكر ، وكأنه كان فيه : مثل زر الحجلة ثم فسرها .

فتح البارى ٦/٤٣٩ (ط عبد الرحمن محمد) .

(٣) غير ط : فى هذه .

(٤) غير ط : الرزة .

(٥) ص : على كتفه .

السِّلْعَة . بكسر السين وسكون اللام وفتح العين : وهى هنا خُرَّاج كهيئة الغُدّة يتحرك بالتحريك .

البَضْعة : القطعة من اللحم والجمع بَضْع وبَضَعات. وبِضَع وبِضَاع . مثل تَمْرَة وتَمْر وسَجَدات وبِدَر وصِحَاف .

ناشِزة : بنون وشين مكسورة فزاى معجمتين : مرتفعة .

ناتئة – بالهمز وتَرْكه : أى خارجة من موضعها من غير أن تَبِين .

جُمْع – بضم الجيم ، وحكى ابن الجوزى وابن دحية كَسْرها وبه جزم فى « المفْهم » إسكان الميم أى مَجْمَع الكف وهو صورته بعد أن تَجمع الأَصابع وتضمها يقال ضربه بجُمْع كفه .

خِيلان – بخاء معجمة مكسورة فمثناة ساكنة : جمع خال وهو الشامة فى الجسد .

الثَّآليل – بالثاء المثلثة –جمع ثُؤْلول بهمزة ساكنة وِزَان عُصْفور ويجوز التخفيف: حَبٌّ يظهر فى الجسد كالحمصة فما دونها . قال القرطبي فى المفهم :نقط سود كانت على الخاتم شبَّهها بها لسعتها لا أنها كانت ثآليل .

الغُضْروف : رأس لوح الكتف . متراكبات[1] : مجتمعات .

سَلَقَنى . ألقانى على ظهرى . قال فى النهاية : ويروى بالصاد أيضا وبالسين أكثر

---

(١) ط : متراكات .

الباب الثالث عشر

فى صفة صدره وبطنه صلى الله عليه وسلم

قال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عريض الصدر سواء البطن والصّدر مشيح الصَّدْر .

رواه الترمذى[1] .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : لم تَعِبْه ثُجْلة ولا تُزْرِيه[2] صُعْلة .

رواه الحارث بن أبى أُسامة .

وقالت أم هانئ رضى الله تعالى عنها ؛ ما رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إلا تذكرت القراطيس المثنيّ بعضها على بعض .

رواه أبو داود الطيالسى وابن سعد[3]

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن أبى خيثمة فى تاريخه : كانت له صلى الله عليه وسلم عُكَن ثلاث يغطى الإزارُ منها واحدةً ويظهر ثنتان ، ومنهم من قال : يغطى الإزارُ منها ثنتين ويظهر واحدة ـ تلك العُكَن أبيض من القباطىّ المطواة وأليْنَ مسًّا .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُفَاض البطن .

رواه الترمذى والبيهقى[4] .

---

(١) شرح الشمائل ١/٣٢ . والرواية فيه : سواء البطن والصدر عريض الصدر .

(٢) كذا والرواية : ولم تزر به صعلة . الوفا لابن الجوزى ص ٢٤٣ .

(٣) طبقات ابن سعد ١/٤١٩ (ط بيروت) .

(٤) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٨٨ .

وقال هند بن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أنور المتجرَّد دقيق المسْربة مَوْصول ما بين اللبّة والسّرة بشعر يجرى كالخط[1] عارى الثديين والبطن مما سوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر .

رواه الترمذى[2] .

وقال أبو أمامة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متفتق الخاصرة[3] .

رواه ابن عساكر[4] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض الكَشْحين .

رواه ابن عساكر[5] .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل المَسْرُبَة

رواه الترمذى وصححه[6] .

وقال أيضا : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعر يجرى من لَبّته إلى سُرَّته كالقضيب ليس فى صدره ولا بطنه شعر غيره .

رواه ابن سعد وابن عساكر[7] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دَقِيق المَسْرُبَة له شعرات من لَبّته إلى سُرَّته كأنهن قضيب مِسْك أذفر ، ولم يكن فى جسده ولا صدره شعرات غيرهن .

رواه ابن عساكر[8] .

---

(١) كذا ولعلها : كالخيط ، كما فى شمائل الترمذى .

(٢) شرح الشمائل لابن جسوس ٣١/١ ، ٣٢ .

(٣) غير ص : مفتق . وفى تاريخ ابن عساكر : منفتق .

(٤) تاريخ ابن عساكر ٣٢٢/١ .

(٥) تاريخ ابن عساكر ٣١٩/١ .

(٦) شرح الشمائل ١٩/١ .

(٧) طبقات ابن سعد ٤١٠/١ (ط بيروت) .
وتاريخ ابن عساكر ٣١٦/١ .

(٨) تاريخ ابن عساكر ١ ٣١٧ نحو هذا .

[تفسير الغريب]

سَوَاء : بالمد أى مستوى البطن والصدر يعنى أن يظنه غير خارج فهو مساوٍ لصدره وصدره عريض فهو مُسَاوٍ لبطنه .

مُشِيح – بميم مضمومة فشين معجمة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة . أى بادِىَ الصدر غير قَعَسٍ ، والقَعَس : نتوءُ الصّدر خِلْقة .

ويروى : فَسِيح الصدر بالفاء ومهملتين أى واسع الصدر .

الثُّجْلة – بثاءٍ مثلثة وجيم ساكنة فلام مفتوحة : عِظَم البطن ويروى بالنون والحاء المهملة وهو النحول وهو الدقة وضعف التركيب .

ولا تُزْريه . بضم أوّله .

الصُّقْلة . بالصاد المهملة والقاف[1] : الدقة والنحول . وقيل أرادت أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن منتفخ الخاصرة جدا ولا ناحلا جدا .

القراطيس : جمع قِرْطاس .

مُفَاض البطن : أى واسعه . وقيل مستوى البطن مع الصدر .

أنْوَر : من النور [2] تريد شدة بياضه وحُسْنه .

المتجرَّد – بضم الميم وفتح التاء والجيم والراء المشددة : ما جرّد[3] عنه الثوب من بدنه وهو المجدَّد أيضا .

المَسْرُبَة – بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء وفتح الباء الموحدة فتاء تأنيث الشعر المُسْتَدقّ ما يين اللبّة إلى السّرة .

---

(١) كذا والذى فى المراجع : صعلة . بالعين المهملة .

(٢) ت م : من التنوير .

(٣) ت م : ما جمد .

اللَّبَّة – بفتح اللام وتشديد الموحدة المفتوحة : المَنْحَر وهى التَّطامُن الذى فوق الصدر وأسفل الحلق بين الترقوتين وفيها تُنْحر الإبل .

عارى الثَّدْيَيْن إلى آخره : أى أن ثدييه وبطنه – ليس عليهما شعر سوى المَسْرُبة المتقدم ذكرها الذى جعله جاريًا كالخطِّ .

الأَشعر : الذى عليه الشعر من البدن .

الكَشْح : الخصْر .

الباب الرابع عشر

فيما جاء فى شق صدره وقلبه الشريفين صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : « أَلم نَشْرح لك صَدْرَك » قال فى الكشاف : استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الإنكار مبالغة فى إثبات الشرح وإيجابه فكأنه قيل : شرَحْنا لك صدرك . ولذلك عطف عليه « ووضَعْنا » اعتبارا للمعنى[1] .

قال الطيبى : أى أنكر عدم الشرح فإذا أنكر ذلك ثبت الشرح لأن الهمزة للإنكار والإنكار نَفْى ، والنفى إذا دخل على النفى عاد إثباتا ، ولا يجوز جعل الهمز للتقرير .

قال الراغب رحمه الله تعالى : أصل الشرح بَسْط اللحم ونحوه يقال شرحت اللحم وشرحته ومنه شَرْحَ الصدر وهو بَسْطه بنور إلهى وسكينة من جهة الله وروح منه[2] .

النقَّاش[3] : الشرح التَّوسعة وكلُّ ما وسَّعته فقد شرحته .

الراغب : الصدر الجارحة وجمعه صدور . قال بعض الحكماء : حيثما ذكر الله تعالى القلبَ فإشارة إلى العقل والعلم نحو : « إنَّ فى ذلك لَذِكْرَى لمن كان له قَلْبٌ »[4] وحيثما ذكر الصَّدر فإشارة إلى ذلك وإلى سائر القوى من الشهوة والهوى ونحوهما وقوله : تعالى « ربِّ اشرحْ لى صَدْرى[5] » سؤال لإصلاح قواه وكذا : « ويَشْفِ صدور قوْم مُؤْمنين[6] » فإشارة إلى ذلك .

مكِّى : المراد بالصدر القلب ، لأنه وعاء الفهم والعلم وإنما ذكر الصدر لقربه من القلب وامتزاجه به .

---

(١) تفسير الكشاف ٤/٦١٤ (ط الاستقامة) .

(٢) مفردات الراغب ص ٢٥٨ (ط الحلبى) .

(٣) كذا فى ط وفى بقية النسخ : الشاسى .

(٤) سورة ق ٣٧ .

(٥) سورة طه ٢٥ .

(٦) سورة التوبة ١٤ .

الحكيم الترمذى : ذكر الصدر دون القلب لأن[1] محل الوسوسة فى الصدر ، فأزال الله تلك الوسوسة وأبْدَلها بدواعى الخير وهى الشَّرْح . وقيل القلب محلّ العقل والمعرفة وهو الذى يقصده الشيطان فإن الشيطان يجىء الصدر الذى هو حصن القلب فإذا وجد مَسْلكًا أغار عليه فيضيق القلب ولا يجدُ للطاعة لذةً ولا للإسلام حلاوة فإذا طرد العدوّ فى الابتداء حصل الأمن وزال الضِّيق وانشرح الصدر وتيسّر له القيام بأداء العبوديّة .

الأستاذ أبو على الدَّقاق رحمه الله تعالى : كان موسى صلى الله عليه وسلم مريدًا إذ قال : « ربّ اشرحْ لى صَدْرى » وكان نبينا صلى الله عليه وسلم مُرَادًا إذ قيل له : «ألم نَشْرحْ لك صدرك » .

الإمام الرازى رحمه الله تعالى : وإنمّا لم يقل : ألم نشرح صدرك دون « لك » لوجهين : أحدهما : أراد شرحتُه لأجلك كما تفعل أنت الطاعة لأجْلى . الثانى : أن فيه تنبيهًا على أن منافع الرسالة عائدة إليه عليه الصلاة والسلام ، كأنه قيل إنمّا شرحنا [لكَ] صدرك لأجلك لا لأجلى .

وإنما قال « نَشْرح » بنون العظمة لأن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يضيق صدره من مُنَازعة الجن والإنس فآتاه الله تعالى من آياته ما اتسع لكل ما حمله صلى الله عليه وسلم .

واختلف المفسرون فى معنى الآية على أقوال : فقال الإمام البيضاوى رحمه الله تعالى : ألم نُفْسحه حتى وَسِع مناجاةَ الحق ودعوة الخَلْق وكان غائبا حاضرا أو : ألم نفسحه بما أودعنا فيه من الحِكَم وأزَلْنا عنه ضيق الجهل . أو : بما يسَّرناه لك من تلقّى الوحى بعد ما كان يشق عليك[2] .

وقيل : إنه إشارة إلى ما روى أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صِبَاه أو يوم أخْذ الميثاق فاستخرج قلبه فغسله فملأه إيمانا وعِلما[3] ولعله إشارة إلى نحو ما سبق انتهى .

---

(١) ص : لأنه محل الوسوسة فى الصدر .

(٢) تفسير البيضاوى ٢/٣٧٥ (ط الميمنية) .

(٣) غير ط : وحلما .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى حواشيه : إن أَراد بقوله « يوم الميثاق » يوم أخذه فى عالم الذَّرّ فلا أَصل له . وإن أَراد به يوم بُعث ونُبِّئ . وبيّض الشيخ هنا . قلت : وكأنه أَراد : فله أَصل . كما سيأْتى فى المرة الثالثة .

ولا منافاة بين هذه الأَقوال السابقة وبين شق صدره صلى الله عليه وسلم فإن من جملة شَرْح صدره شقه وإخراج ما فيه من أذى كما أَشار إلى ذلك الحافظان أَبو جعفر محمد ابن جَرِير الطَّبَرى وابن كَثِير رحمهما الله تعالى .

* * *

وقد تكرَّر شقُّ صدره الشريف صلى الله عليه وسلم أَربع مرّات : الأُولى : وهو صلى الله عليه وسلم صغير فى بنى سعد .

روى البيهقى عن إبراهيم بن طَهْمان - بفتح الطاء المهملة رحمه الله تعالى : قال سأَلت سعدًا عن قوله تعالى : « أَلم نشرح لك صدرك » فحدثنى عن قتادة عن أَنس رضى الله تعالى عنه قال : شُقَّ بطنه صلى الله عليه وسلم من عند صدره إلى أَسفل بطنه فاستخرج قلبه إلخ .

وروى الإمام أَحمد ومسلم عن أَنس رضى الله تعالى عنه أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأَخذه فصرعه فشَقَّ عن قلبه واستخرج القلبَ ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله فى طَسْت من ذهب بماء زمزم ثم لأَمه فأَعاده مكانه . وجعل الغلمان يَسْعون إلى أُمّه - يعنى ظِئره - فقالوا : إن محمدًا قد قُتل فجاءوه وهو مُنْتقع اللون . قال أَنس : فلقد كنت أَرى أَثر المِخْيط فى صدره صلى الله عليه وسلم

وروى الإمام أَحمد والدارمى والحاكم وصححه والطبرانى والبيهقى وأَبو نُعَيْم ، عن عُتْبة ابن عَبْد - بغير إضافة - السُّلَمى رضى الله تعالى عنه ، أَن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر ، فانطلقتُ أَنا وابن لها فى بَهْم لنا ولم نأْخذ معنا زادًا فقلت : يا أَخى اذهب فائتنا بزادٍ من عند أُمنا . فانطلق أَخى ومكثتُ عند البَهْم فأَقبل إلىّ طائران كأَنهما نَسْران فقال أَحدهما لصاحبه : أَهو هو؟ قال : نعم فأَقبلا . يبتدرانى فأَخذانى فبطَحانى للقفا فشقَّا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقَّاه فأَخرجا منه علقتين سَوْداوَيْن

فقال أحدهما لصاحبه : إيتني بماء ثَلْج فغسلا به جَوْفى - ثم قال : إيتنى بماء بَرَد فغسلا به قلبي . ثم قال : ايتنى بالسَّكينة فذرَّاها فى قلبي . ثم قال أحدهما لصاحبه حُصْه . فحاصه وختم عليه[1] بخاتم النبوّة . وذكر الحديث .

[تفسير الغريب]

الظِّئْر ومُنْتقع اللَّون . تقدما فى شرح غريب قصة الرضاع . المِخْيط بكسر الميم : ما يخاط به . البَهْم وَزْن فَلْس - جمع بهمة وهى الصغير من أولاد الغنم .

نَسْران : تثنية نَسر - طائر معروف والجمع أَنْسُر ونُسور مثل فَلْس وأَفْلس وفُلوس .

ذَرَّاها بذال معجمة : حَشياهَا[2]

حُصْه بحاء مهملة مضمومة : أى خِطْه يقال حاص الثوبَ يَحُوصه حوصًا إذا خاطه

***

المرة الثانية : وهو صلى الله عليه وسلم ابن عشر سنين .

روى عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد المُسْند بسندٍ رجَاله ثقات ، وابن حبان والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر والضياء ، فى « المُخْتارة » عن أُبَىّ بن كعب رضى الله تعالى عنه أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال يارسول الله ما أولُ ما ابتُدئتَ به من أمر النبوة ؟ قال : إنى لفى صحراء أَمْشِى ابن عشر حِجَج إذا أنا برجلين فوق رأسى يقول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال نعم . فأخذانى فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخَلْق قط وأرواح لم أرها من خَلْق قط ، وثياب لم أرَها على أحد قط ، فأقبلاَ إلىّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعَضُدى لا أجد لأخذهما مَسًّا . فقال أحدهما لصاحبه : أَضْجعه فأضجعانى بلا قَصْر ولا هَصْر وفى لفظ : فقلبانى[3] لِحَلاوة القفا ثم شقًّا بطنى . وفى لفظ فقال أحدهما

---

(١) ط : وختمه .

(٢) مجمع الزوائد : ٢٢٢/٨ وهو فى دلائل النبوة للبيهقى ٣٥٢/١ .
وقال : رواه أحمد والطبرانى وإسناد أحمد حسن .

(٣) ط : فصلقانى وفوقها : فلصقانى . وما أثبته من ص ، ت ، م .

لصاحبه : افلق صدره . فخَوَى أحدهما إلى صدْرى ففلقه[1] فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان أحدهما يختلف بالماء فى طَسْت من ذهب والآخر يغسل جَوفى فقال أحدهما لصاحبه : افلق صدره فإذا صدرى فيما أرى مفلوقا لا أجد له وجعًا ثم قال : شق قلبه فشق قلبى فقال : أخرج الغِلَّ والحسد منه . فأخرج شبه العَلَقة فنبَذ به . ثم قال : أدخل الرأفةَ والرحمةَ فى قلبه . فأدخل شيئا كهيئة الفضَّة . ثم أخرج ذَرُورا كان معه فذَرَّه عليه ثم نقَر إبْهَامى ثم قال : اغْدُ واسْلَم . فرجعت بما لم أغد به من رحمتى للصغير ورأفتى للكبير[2] .

[تفسير الغريب]

الحِجَج : بكسر الحاء وفتح الجيم الأُولى السِّنُون .

الأرواح : جمع رِيح بمعنى الرائحة وهى عَرَض يدرك بحاسة الشم وهى مؤنثة يقال ريح[3] ذكية .

بلا قَصْر : قصرتُ الثوبَ أى أرخيته بلا استرخاء . ولا هَصْر : قال فى النهاية : هصَر ظَهْرَه أى ثناه إلى الأرض . وأصل الهَصْر أن تأخذ برأس العود فتَثْنيه إليك وتَعْطفه .

حلاوة القفا : يأتى بيانه فى بيان غريب المرة الثالثة .

خَوى أحدُهما إلى صدرى : أى مال إليه .

ذَرُورًا : بفتح الذال المعجمة

(١) ط : ففلقاه .

(٢) ط : ورقتى على الكبير . والحديث فى مجمع الزوائد ٢٢٣/٨ . وقال : رواه عبد الله – أى ابن الإمام أحمد – ورجاله ثقات وثقهم ابن حبان .

(٣) غير ط : رائحة .

المرة الثالثة : عند المبعث

روى أبو داود الطيالسي والحارث ابن أبي أسامة في مسنديهما ، والبيهقي وأبو نعيم كلاهما في الدلائل ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم نذَر أن يعتكف شهرًا هو وخديجة . فوافق ذلك شهرَ رمضان فخرج ذات ليلة فسمع : السلام عليك . قال : فظننت أنها فُجَاءة الجن ، فجئت مسرعًا حتى دخلت على خديجة فقالت : ما شأنك ؟ فأخبرتها فقالت : أبْشر فإنَّ السلام خير . ثم خرجت مرة أخرى فإذا أنا بجبريل على الشمس له جناحٌ – بالمشرق وجناح بالمغرب فهِلْت منه فجئت مسرعا فإذا هو بيني وبين الباب فكلَّمني حتى أنِسْت منه ثم وعَدني مَوْعدا فجئت له فأبطأ عليَّ فأردت أن أرجع فإذا أنا به وبميكائيل قد سدَّ الأُفق فهبط جبريلُ وبقي ميكائيل بَيْن السماء والأرض ، فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم أكفأني كما يُكْفَأ الإناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مَسَّ الخاتم في قلبي . وذكر الحديث[1] .

فُجَاءة الجن بالضم والمدّ ، وفي لغة بوزن تَمْرة : بَغْتة .

هِلْت منه : خِفْت وزنًا ومعنىً .

الأُفق . بضم الهمزة والفاء : الناحية والجمع آفاق .

حَلَاوة القفا : بتثليث الحاء المهملة وحُلَاواه . فإن ضمَمْت قَصرْت وهي وسط القفا .

أكفأني : قَلَبني .

***

---

(١) دلائل النبوة لأبي نعيم ١٧١ .

روى مسلم والبَرْقانى بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وبالقاف والنون ، وغيرهما عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أُتيت وأنا فى أهلى فانطُلق بى إلى زمزم فشُرح صدرى ، ثم أُتيت بطَسْت من ذهب ممتلئا حكمة وإيمانا فحشِى بهما صدرى . قال أنس والنبى صلى الله عليه وسلم يُرِينا صدره . فعرج بى المَلَك إلى سماء الدنيا . وذكر حديث المعراج[1] .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن مالك بن صَعْصعة رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم حدَّثهم عن ليلة أُسْرِى به قال : بينما أنا فى الحطِيم وربما قال قتادة : فى الحِجْر . مُضْطجعًا إذ أتانى[2] آت فجعل يقول لصاحبه : الأَوسط من الثلاثة . فأَتانى فشقَّ ما بين هذه إلى هذه . يعنى من ثغرة نحره إلى شِعْرته . فاستخرج قلبى . فأُتيت بطَسْت من ذهب مملوءة إيمانا وحكمة فغسل قلبى ثم حُشِى ثم أُعيد . ثم أُتيت بدابة دُون البغل وفوق الحمار .

ورواه البخارى من طريق شُرَيْك عن أنس رضى الله تعالى عنه[3] . والله أعلم .

ذكر احاديث فيها شق صـدره صلى الله عليه وسلم من غير تعيين زمان

عن أَبى ذر رضى الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله كيف عَلمت أَنك نبىّ حتى علمت ذلك واستيقنت أَنك نبىّ ؟ قال : يا أَبا ذر أَتانى ملَكان وأَنا فى بعض بطحاء مكة فوقع أَحدُهما بالأَرض[4] وكان الآخر بَيْن السماء والأَرض ، فقال أَحدهما لصاحبه : هو هو ؟ فقال : هو هو . فقال : زِنْه برجل فوزِنْتُ برجُل فرجَحْت . فقال[5] : زِنه بعشرة فوزننى بعشرة فوزنتهم . فقال : زنه بمائة فوزَننى بمائة فرجحتهم . ثم قال : زنه

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى شرح النووى على مسلم ٢/٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) ط : إذأتاه .

(٣) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب رقم ٦ وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥٩ ، ٢٦٤ . ومسند أحمد ٤/٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٤) ط : على الأرض :

(٥) ط : ثم قال .

بألف . فوزنني بألف فرجحتهم فجعلوا يَنْتَثِرون عليَّ من كِفة الميزان . فقال أحدهما للآخر : لو وزنتَه بأمته رَجَحها . ثم قال أحدهما لصاحبه : شُقَّ بطنَه فشقَّ بطني ثم قال أحدهما لصاحبه اغسل قلبَه[1] فشقَّ قلبي[2] فأخرج منه مَغْمز الشيطان وعَلَق الدم فطرحهما ثم قال أحدهما لصاحبه : اغسل بطنه غَسْلَ الإناء واغسل قلبه غسل المُلَاءة ، ثم دعا بسكِّينةً كأنها برهرة بيضاء فأُدخلتْ قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنه . فخاط بطني فجعلا الخاتم بين كتفيّ فما هو إلا أن ولَّيا عنِّي فكأنما أُعاين الأَمر معاينة .

رواه الدارمي والبزَّار والرّوياني وابن عساكر والضِّيَاء في المختارة .

وروى البيهقي عن يحيي بن جَعْدة [3] رحمه الله تعالى مُرْسَلا . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ملَكين جاءاني في صورة كُرْكِيَّيْنِ معهما ثلج وبَرَد وماء بارد فشقَّ [4] أحدهما صدري ومجّ الآخر بمنقاره فيه فغسله[5] .

وروى أبو نعيم عن يونس بن ميسرة بن حَلْبَس بمهملتين في طرفيه وموحدة وزن جَعْفر رحمه الله تعالى ـ مرسلا . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتاني مَلك بطَسْت من ذهب فشق بطني فاستخرج حُشوة جوفي فغسلها ثم ذرَّ عليه ذَرُورا ثم قال : قلبٌ وَكِيع يعي ما وضع[6] فيه عينان[7] بصيرتان وأذنان تسمعان وأنت محمد رسول الله المقفِّي الحاشِر ، قلبك سليم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة وخُلقك قيِّم وأنت قُثَم[8] .

وروى الدارميّ وابن عساكر ، عن ابن غَنْم ـ بغين معجمة مفتوحة فنون ساكنة ـ وهو مختلف في صحبته رضي الله تعالى عنه قال : نزل جبريل علي رسول الله صلى الله عليه

---

(1) ط : أخرج قلبه .

(2) غير ط : فشق بطني .

(3) تابعي ثقة روى عن جدته لأبيه أم هانئ بنت أبي طالب ترجمته في تهذيب التهذيب ١١/١٩٢ .

(4) دلائل النبوة للبيهقي : فشرح أحدهما صدري .

(5) دلائل النبوة للبيهقي ١/٨٦ وقال : هذا مرسل ، وقد روى حديث الشق بإسناد صحيح موصول . وهو في الخصائص الكبرى للسيوطي ١/١٦٠ (ط الهراس) .

(6) كذا في ط وفي ص ، ت ، م : ما وقع فيه . وهو كذلك في الخصائص الكبرى .

(7) ص ، ت ، م : عيناك بصيرتان وأذناك سميعتان .

وفي الخصائص : عيناك بصيرتان وأذناك تسمعان . وما أثبته من ط .

(8) الخصائص الكبرى ١/١٦٢ .

وسلم فشقّ قلبه[1] ثم قال جبريل : قلبك[2] وكِيع فيه أُذنان سميعتان وعينان بصيرتان محمد رسول الله المقفِّى الحاشر خُلقك قيِّم ولسانك صادق ونفسك مطمئنة .

ذكر غريب ما تقدم

ثُغْرة النَّحْر : بالضم : وهى النقرة التى بين الترقوتين .

شِعْرته بكسر الشين المعجمة : العانَة .

كَفَّة الميزان : بتثليث الكاف والكسر أَشهر .

مَغْمِز الشيطان : بفتح الميم الأُولى وإسكان الغين المعجمة وكسر الميم الثانية وآخره زاى ، وهو الذى يَغْمزه الشيطان من كل مولود ، إلا عيسى بن مريم وأُمه لقول أمّها حَنَّة : « وإنى أُعيذُها بك وذُريَّتها من الشيطانِ الرجيم[3] » قال السُّهيلى : ولا يدل هذا على أفضلية عيسى على نبينا صلى الله عليه وسلم فقد نُزع ذلك منه ومُلئ حكمةً وإيماناً بعد أن غسله روحُ القُدس بالثلج والبَرَد .

المْلاءة بالضم والمد : الإزار .

سكينة وبرهرة . سيأْتى الكلام عليها .

حُشْوة بضم الحاء وكسرها : الأَمعاء .

وكيع قال فى النهاية : قلبٌ وكيع : واع : أى متين مُحْكَم ومنه قولهم : سِقَاء وكيع إذا كان مُحْكَم الخَرْز .

قيِّم بمثناة تحتية . وقثم : بمثلثة . وتقدم الكلام عليهما فى الأَسماء[4] .

---

(١) ط : بطنه .

(٢) ط : قلب وكيع .

(٣) سورة آل عمران ٣٦ .

(٤) راجع الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٦١٦ ، ٦١٨ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال الحافظ أبو الفضل العراقي رحمه الله تعالى في أوّل شرحه لتقريبه :قد أنكر صحّة وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ابنُ حَزْم وعِيَاض وادَّعَيا أنه تخليط من شُرَيْك . وليس كذلك فقد[1] ثبت في الصحيحين من غير طريق شريك .

وقال الإمام أبو العباس القرطبي في المفْهِم : لا يُلْتفت لإنكار شق الصدر ليلة الإسراء لأَن رواته ثِقَات مشاهير .

وقال الحافظ : قد أنكر شقَّ الصدر ليلة الإسراء بعضُهم ولا إنكار في ذلك ، فقد تواترت به الروايات .

الثاني : قال القرطبي في المُفهم والتُّورَبِشْتِى – بضم المثناة الفوقية وفتح الراء وكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة بعدها مثناة فوقية – في شرح المصابيح والطِّيبىّ في شرح المشكاة والحافظ والشيخ وغيرهم رحمهم الله تعالى أن جميع ما وَرَدَ في شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك مما يجب التسليم له دون تعرّض لصَرْفه عن حقيقته لصَلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك . ويؤيّده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المَخِيط في صدره صلى الله عليه وسلم .

قال الشيخ رحمه الله تعالى : وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحَمْله على الأمر المعنوى وإلزام قائله القولَ بقَلْب الحقائق ، فهو جهل صريح وخطأٌ قبيح نشأَ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية وبُعْدهم عن دقائِق السُّنة . عافانا الله تعالى من ذلك .

الثالث : قال العلامة ابن المنيِّر – بضم الميم وفتح النون وكسر التحتية المشددة رحمة الله تعالى : وشَقُّ الصدر له صلى الله عليه وسلم وصَبْره عليه من جنس ما ابتلى به الله الذَّبيحَ وصبر

---

(١) ص ، ت ، م : بل ثبت .

(٢) غير ط : من شق الصدر .

عليه ، بل هذا أَشَقُّ وأَجَلُّ لأَن تلك مَعَاريض وهذه حقيقة ، وأَيضا فقد تكرَّرَ ووقع له صلى الله عليه وسلم وهو صغير يتيم بعيدٌ[1] من أهله صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا وفضلا .

الرابع : سُئل شيخ الإسلام أبو الحسن السُّبكى رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء التى أُخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شُقَّ فؤاده وقول المَلَك : هذا حَظُّ الشيطان منك .

فأَجاب رحمه الله تعالى : بأَن تلك العلقة خَلَقها الله تعالى فى قلوب البَشر قابلةً لما يُلْقيه الشيطان فيها فأُزيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لأَن يُلْقى الشيطان فيه شيئا . هذا معنى الحديث ولم يكن للشيطان فيه حظ . وأَما الذى نَفاه المَلَك هو أَمْرٌ فى الجِبِلَّات[2] البشرية فأُزيل القابلُ الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القَذْف فى القلب .

قيل له : فلِمَ خلق الله تعالى هذا القابل فى هذه الذات الشريفة ، وكان يمكن أن لا يخلقه الله تعالى فيها ؟ فقال : إنه من جملة الأَجزاء الإِنسانية فخَلْقه تكملة للخَلْق الإِنسانى ولابد منه ونَزْعه كرامةٌ ربّانية طرأَت .

وقال غيره : لو خلق الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم سليما فيها لم يكن للآدميين اطِّلاع على حقيقته ، فأَظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا[3] كمالَ باطنه كما برز لهم مُكَمَّل الظاهر .

الخامس : قال الشيخ أبو محمد بن أَبى جَمْرة – وهو بجيم مفتوحة فراء مهملة رحمه الله تعالى : الحكمة فى شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم مع القدرة على أن يمتلئ قلبُه إيمانا وحكمة من غير شق : الزيادة فى قوة اليقين لأَنه[4] أُعطى برؤية شق بطنه وعدم تأَثره بذلك ما أَمِن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم أَشجَع الناس حالاً ومقالاً ولذلك وصف بقوله تعالى : « ما زاغ البَصرُ وما طَغَى[5] »

---

(١) غير ط : بعيدا .

(٢) غير ط : فى الجبليات .

(٣) غير ط : ليتحقق .

(٤) ت ، م : كأنه .

(٥) سورة النجم ١٧ .

السادس : اختُلف: هل كان شق الصّدر وغسله مختصًّا به صلى الله عليه وسلم أو وقع لغيره ؟ صحح الشيخ رحمه الله تعالى عدمَ المشاركة . وسيأتى فى الخصائص أن الصحيح المشاركة .

السابع : فى الحكمة فى تكرّره . قال الحافظ رحمه الله تعالى ، بعد أن ذكر الأُولى والثالثة والرابعة : ولكل من الثلاث حكمة ، فالأُولى كان فى زمن الطفوليّة لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم عند المبعث زيادة فى الكرامة ليتلقَّى ما يُلْقى إليه بقلب قوىّ فى أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع عند إرادة العروج إلى السماء ليتأهّب للمناجاة .

قلت : وسكت عن حكمة المرّة الثانية مع ذكره للمرة [1] الثانية فى كتاب التوحيد جازمًا بها ويحتمل أن يقال لمّا كان العَشْر قريبا من سِنّ التكليف شُقَّ صدرُه صلى الله عليه وسلم وقُدِّس حتى لا يلتبس[2] بشئٍ مما يعاب على الرجال . والله تعالى أعلم .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما هى فى شَرْعه صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن أَبِى جَمْرة رحمه الله تعالى : وإنما غُسل قلبه [3] صلى الله عليه وسلم وقد كان مقدَّسًا وقابلا لما يُلْقى فيه من الخير . وقد غسل أولا وهو صغير السّن وأُخرجت منه العلَقة [4] إعظامًا وتأهبًا لما يُلْقَى هناك . يعنى فى المعراج . وقد جرت الحكمة بذلك فى غير ما مَوْضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متوضئًا لأن الوضوء فى حقه إنما هو إعظام وتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته . وكذلك أيضًا الزيادة على الواحدة والثِّنتين إذا أَسْبغ بالأُولى لأن الإجزاء قد حصَل وبقى ما بعدَ الإسباغ إلى الثلاث عظامًا لما يُقْدِم عليه . وكذلك

---

(١) غير ط : فى المرة الثانية .

(٢) ط : لا يتلبس .

(٣) ط : بطنه .

(٤) ط : من قلبه العلقة .

غسل الباطن[1] هنا وقد قال تعالى : «ومن يعظِّم شعائر الله فإنها من تَقْوى القُلوب[2]» فكان الغسل له صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل وإشارة لأُمته بالفعل بتعظيم الشعائر كما نصَّ عليه بالقول

وقال البرهان النعمانى رحمه الله تعالى فى سراجه : قد سُنَّ لداخل الحرم الشريف الغُسْل، فما ظنك بداخل الحضرة المقدَّسَة ؟ ! فلما كان الحرم الشريف من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات أُنيط الغسل له بظاهر البدن فى عالَم المعاملات ، ولما كانت الحضرة القدسيّة[3] من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أُنيط الغسل بباطن البدن فى التحقيقات ، وقد عُرِج به صلى الله عليه وسلم لتُفْرض عليه الصلاة وليصلِّى بملائكة السموات ، ومن شأن الصلاة الطَّهُور فقدِّس ظاهرا وباطنا .

فإن قلت : إن الله تعالى خلقه نورًا متنقِّلا من الأَنبياء وفى صفاء النور ما يُغنى عن التطهير الحسِّى ، ثم إن المرة الأُولى لم تكن كافية فى تطهير الباطن ويلزم عليه أَنه بعد النبوة كان فيه شيء يحتاج إلى ذلك ، وهو منزَّه عن أَدران البشرية .

قلت : الغسلة الأُولى لعَيْن اليقين والثانية لعِلْم اليقين ، والثالثة لحَقّ اليقين.

***

الثامن : اختُلف هل وقع له صلى الله عليه وسلم مع ذلك مشقة أم لا ؟

قال الحافظ : من غير مشقة وبه جزَم ابنُ الجَوْزى فقال : شَقَّه وما شَقَّ عليه . وقال ابن دِحْية : بمشقة عظيمة ولهذا انتُقِع لونُه صلى الله عليه وسلم أَى صار كلون النقع وهو الغبار ، وهذه صفة أَلوان الموتى .

---

(١) ط : غسل البطن .

(٢) سوره الحج ٣٢ .

(٣) ط : الحضرة الشريفة .

قلت : رواية « انتقع لونُه » حكاية » وقع فى المرة الأُولى وهو صغير فى بنى سعد . وأمّا ما وقع بعدها فلم يُنْقَل أَنه صلى الله عليه وسلم تأَثَّر لذلك . وقد تقدم فى حديث أَبى هريرة فى المرة الثانية ما يؤيد ذلك فراجعه .

التاسع : وقع السؤال هل كان شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم بآلة أَم لا : ولم يجب عنه أَحد ولم أَر من تعرَّض له بعد التتبع . وظاهر قوله : « فشقّ » أَنه كان بآلة ، ويدل لذلكَ قول المَلَك فى حديث أَبى ذر . « خِطْ بطنَه فخاطَه » وفى لفظ عن عتبة ابن عبد : « حُصه فحَاصه » ؛ وفى حديث أَنس « كانوا يرون أَثر الْمَخِيط فى صدره صلى الله عليه وسلم » .

العاشر : فى حديث أَبى ذرّ « وأُتيت بالسِّكِّينة كأَنها بَرهرَهة فوضعْت فى صدرى » قال ابن الأَنبارى : « بَرَهْرهة » وهى السِّكينة المعوجّه الرأْس التى تسميها العامة « المِنْجل » بالجيم .

وقال الخطابى : عثرت على رواية وفيها : أَنه شُقَّ عن قلبه قال : فدُعى بسِكِّينة[1] كأَنها درهمة بيضاء ، فوقع لى أَنه أَراد بالبَرهْرهة سِكِّينة بيضاء صافية الحديد تشبيهًا بالبَرهْرهة من النساء فى بياضها وصفائها .

ثم قال ابن دِحْية والصواب فى هذه اللفظة السَّكِينة - أى بالتخفيف لأَنه قال بعد شق البطن ، ثم أُتيت بالسَّكينة كأنها بَرهْرهة فوضعت فى صدرى ، فإنما عنَى بها السَّكينة التى هى فى أَصل اللغة فَعِيلة من السكون وهى أَكثر ما تأْتى فى القرآن العظيم بمعنى السكون والطمأْنينة .

الحادى عشر : خص الطست بما ذكر لكونه أَشهر[2] آلات الغَسل عُرْفًا .

قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : وفى[3] ذِكْر الطست أَيضا وحروف اسمه حِكَم تنظر إلى قوله تعالى « طسم تلك آياتُ القرآنِ وكتابٍ مُبين[4] »

---

(١) غير ط : فأتى بالسكينة .
(٢) غير ط : أشرف .
(٣) الروض الأنف ٢/١١١ .
(٤) سورة النمل : ١ .

الثانى عشر : قال السهيلى : خصّ الذهب لكونه مناسبًا للمعنى الذى أُريد به فإن نظرت إلى لفظ الذَّهب فمطابِق للذَّهاب ، فإن الله تعالى أراد أن يُذْهب عنه الرجسَ ويطهِّره تطهيراً وإن نظرت إلى معنى الذَّهب وأوصافه وجدته أنْقى شيء وأَصْفَاه يقال فى المثَل : « أنْقَى من الذهب » وقالت بَرِيرةُ فى عائشة رضى الله تعالى عنها : ما أَعْلَم عليها إلا ما يَعْلم الصّائغُ على الذهب الأَحمر . وقال حذيفة رضى الله تعالى عنه فى صِلَة – بكسر الصّاد المهملة – ابن أَشْيَم – بالشين المعجمة – وَزْن أَعَلَم : إنما قَلْبُه ذَهب . وقال جَرير بن حازم رحمه الله تعالى ، وهو بالحاء المهملة والزاى ، فى الخليل بن أَحمد : إنه لرَجلٌ مِن ذهب . يريد النقاء من العُيوب ، فقد طابق طَسْت الذهب ما أُريدَ بالنبى صلى الله عليه وسلم من نقاء قلبه .

ومن أَوصاف الذهب أَيضا المطابِقة لهذا المقام : ثِقله ورسوبُه فإنه يُجعل فى الزئبق الذى هو أَثقل الأَشياء فيَرْسب . والله سبحانه وتعالى يقول : « إنَّا سنُلْقِى عليك قَوْلا ثَقِيلا»[1] وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إنما ثَقُلت موازين المحِقِّين يوم القيامة لاتباعهم الحق وحُقَّ لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أَن يكون ثقيلا . وقال فى أَهل الباطل بعكس ذلك .

وقد روى أَنه صلى الله عليه وسلم أُنزل عليه الوحى وهو على ناقته فثَقُل عليها حتى ساخَتْ قوائمها فى الأَرض . فقد طابقت الصفةُ المعقولة الصفةَ المحسوسة .

ومن أَوصاف الذهب أَيضا : أَنه لا تأْكله النَّار ، وكذلك القرآن لا تأْكل النارُ يوم القيامة قلبًا وعَاهُ ولا بَدَنًا عمِل به . قال عليه الصلاة والسلام : « لو كان القرآن فى إهَاب ثم طُرح فى النار ما احترق[2] »

ومِن أَوصاف الذهب المناسبة لأَوصاف القرآن والوحى : أَن الأَرض لا تُبْليه وأَن الهواء لا يُنْدِيه وكذلك القرآن لا يَخْلَق على كثرة الردّ ولا يستطاع تغييره ولا تَبْديله .

---

(١) سورة المزمل ٥ . وهذا النص كله عن الروض الأنف ١/١١١ .

(٢) الحديث فى تذكرة الموضوعات للحافظ المقدسى ص ٩٨ بها مش الموضوعات الكبير لعلى القارى (ط الهند) بلفظ : « لو كان القرآن فى إهاب ما مسته النار » . وقال فيه عبد الوهاب بن الضحاك ، قال البخارى : عنده عجائب .

ومن أوصافه أيضًا : نفَاستُه وعزته عند الناس . وكذلك القرآن والحق عزيزان . قال تعالى : « وإنَّه لَكتَابٌ عَزيزٌ[1] » .

فهذا إذا نظرت إلى أوصافه ولفظه[2] فإن نظرت إلى ذاته وظاهره فإنه زخرف الدنيا وزنتها ، وقد فُتح بالقرآن والوحى على النبى صلى الله عليه وسلم وأُمته خزائن الملوك وتصيير ذلك إلى أيديهم ذهبها وفضتها وجميع زخرفها وزينتها . ثم وعد[3] باتباع الوحى والقرآن قصورَ الذهب فى الجنة قال صلى الله عليه وسلم : جَنَّتان من ذهب آنيتُهما وما فيهما[4] » وفى التنزيل : « يُطافُ عليهم بِصِحَاف مِن ذَهبٍ[5] » فكأَن ذلك الذهب يُشْعر بالذهب الذى يصير إليه من اتبع الحق والقرآن ، وأَوصافُه تُشْعر بأَوصاف . الحق[6] والقرآن ، ولفظُه يُشْعر بإذهاب الرِّجْس . كما تقدم .

فهذه حِكَم بالغة لمن تـأَمَّل ، واعتبار صحيح لمن تدبَّر .

وزاد غيره أَن الذهب مِن جَوَالب السرور . وقال الشاعر :

صَفْراء لا تَنْزل الأَحزانُ ساحتَها   لو مسَّها حَجَرٌ مسَّته سرَّاءُ[7]

***

الثالث عشر : قال النووى رحمه الله تعالى : ليس فى هذا الخبر ما يوهم جواز استعمال إناء الذهب والفضة لأَن هذا فعل الملائكة واستعمالهم ، وليس بلازم أَن يكون حُكْمُهم حُكْمَنا ولأَنه كان قَبْل تحريم النبى صلى الله عليه وسلم أَوانىَ الذهب والفضة . انتهى .

---

(١) سورة فصلت ٤١ .

(٢) غير ط : إلى أوصاف لفظه . والضمير عائد إلى الذهب .

(٣) ت ، م : ثم أتبع باتباع .

(٤) صحيح البخارى كتاب التوحيد وكتاب التفسير وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٢٩٦ ، وسنن الترمذى كتاب الجنة ، وسنن ابن ماجة فى المقدمة ومسند أحمد ٤/٤١١ ، ٤١٦ .

(٥) سورة الزخرف ٧١ .

(٦) غير ط : بأوصاف من اتبع الحق والقرآن .

(٧) البيت لأبى نواس من قصيدته التى مطلعها :

دع عنك لومى فإن اللوم إغراء   وداونى بالتى كانت هى الداء

وفى هذا الاستشهاد نظر فإن المؤلف يستشهد بهذ البيت على أن الذهب من جوالب السرور ، مع أن المقصود بالصفراء هنا الخمر وأنها تبعث النشوة فى شاربها وتنسيه أحزانه ، وليس فى البيت تعرض للذهب .

أى لأن التحريم إنما وقع بالمدينة كما نبّه عليه الحافظ

الرابع عشر : يؤخذ من غَسْل قلبه صلى الله عليه وسلم بماء زمزم أنه أفضل المياه وبه جَزَم الإمام البُلْقينى قال ابن أبى جَمْرة : إنما لم يُغْسل بماء الجنة لِمَا اجتمع فى زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر فى الأرض ، فأُريد بذلك بقاء بركته صلى الله عليه وسلم فى الأرض .

وقال غيره : لمّا كان ماء زمزم أصل حياة أبيه إسماعيل صلى الله عليهما وسلم وقد ربِّى عليه ونما عليه قلبُه وجَسدُه وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ، ناسَب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك . ولِمَا فيه من الإشارة إلى اختصاصه بذلك بعده فإنه قد صارت الولاية إليه فى الفَتْح فجعل السقاية للعباس وولده وحجابةَ البيت لعثمان بن شيبة وعَقِبه إلى يوم القيامة .

الخامس عشر : الحكمة فى غسل صدره صلى الله عليه وسلم بماء الثلج والبَرد هى مع ما فيهما من الصفاء وعدم التكدّر بالأجزاء الترابيّة التى هى محلّ الأرجاس وعنصر الأكدار ، الإيماء إلى أن الوقت يَصْفُو له صلى الله عليه وسلم ولأُمته ويَرُوق بشريعته الغرّاء وسُنّته ، والإشارة إلى ثلوج صدره أى انشراحه بالنصر على أعدائه والظفَر بهم والإيذان ببرودة قلبه ، أى طمأْنينته على أمته بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيآتهم .

وقال ابن دِحْية : إنما غُسل قلبُه صلى الله عليه وسلم بالثلج لِمَا يُشْعر به الثلجُ من ثلج اليقين إلى قلبه . وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول بين التكبير والقراءة : اللهم اغسلنى من خطاياىَ بالثّلْج والبَرد[1] » وأراد تعالى أن يغسل قلبه فيما حُمل من الجنة فى طست ملئ حكمة وإيماناً ليعْرف قلبُه طِيبَ الجنّة ويجد حلاوتها فيكون فى الدنيا أزْهدَ وعلى دعوة الخَلْق إلى الجنة أحْرَص ، ولأنه صلى الله عليه وسلم كان له أعداء يتقوّلون عليه فأراد

---

(١) الحديث بنحوه فى صحيح البخارى كتاب الدعوات والأذان وفى صحيح مسلم كتاب الذكر حديث رقم ٤٨ وسنن ابن ماجه كتاب الدعاء ومسند أحمد ٥٧/٦ .

الله تعالى أن يَنْفِى عنه طبعَ البشرية من ضِيق الصدر وسوء مقالات الأعداء ، فغسل قلبه ليورث ذلك صدرَه سعةً ويفارقه الضيق . كما قال تعالى : « ولَقد نَعْلم أنَّك يَضيق صَدْرُك بما يَقُولون[1] » . فغُسل قلبه غير مرّةٍ فصار بحيث إذا ضُرب أو شُجَّ رأسه أو كُسِرت رَباعيته كما فى يوم أحد يقول : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يَعْلمون .

* *

السادس عشر : جاء فى رواية : أن المغسول البطن . فقيل : المراد بالبطن هنا ما بَطن وهو القلب ، واستظهره بعضهم لأنه جاء فى روايةٍ ذكرُ القلب ولم يذكر البطن . ويحتمل أن تُحمل كل رواية على ظاهرها ، ويقع الجمع بينهما بأن يقال : أَخْبر صلى الله عليه وسلم مرة بغسل البطن ولم يتعرض لذكر القلب ، وأخبر مرة بذِكر القلب ولم يتعرض لذكر البطن ، فيكون قد حصل فيهما معاً مبالغة فى تنظيف المحلّ .

قلت : تقدم التصريح بذلك فى الأحاديث السابقة .

السابع عشر : قال السُّهيلى رحمه الله تعالى : فإن قيل كيف يكون الإيمان والحكمة فى طست من ذهب ، والإيمانُ عرَض من الأعراض لا يوصف بها إلا محلُّها والذى يقوم به ، ولا يجوز فيها الانتقال لأن الانتقال من صفة الأجسام لامن صفة الأعراض ؟ قلنا : إنما عُبِّر عما فى الطست ـ بالحكمة والإيمان كما عبّر عن اللَّبَن الذى شربه وأعطى فَضْلَه عمرَ ابن الخطاب بالعلم ، فكان تأويل ما أُفْرِغ فى قلبه صلى الله عليه وسلم إيماناً[2] وحكمة ولعل الذى كان فى الطست كان ثلجا وبَرَدا كما ذكر فى الحديث الأول ، فعبّر فى المرة الثانية بما يَؤول إليه وعبِّر عنه فى المرة[3] الأُولى بصورته التى رآها ، لأنه فى المرة الأُولى كان طفلا فلما رأى الثلج فى طست الذهب اعتقده ثلجا حتى عَرف تأويله بعدُ . وفى المرة

---

(1) سورة الحجر ٩٧ .
(2) ط : إيمـان .
(3) غيرط : فى الصورة الأولى .

الأخرى كان نبيًا فلما رأى طست الذهب مملوءا ثلجاً علم التأويل لحينه واعتقده فى ذلك المقام حكمةً وإيمانا ، فكان لفظه فى الحديثين[1] على حسب اعتقاده فى المقامين[2] . انتهى

وقال النووى والحافظ : المعنى جُعل فى الطست شىء يحصل به الزيادة فى كمال الإيمان وكمال الحكمة ، وهذا المملوء يحتمل أن يكون على الحقيقة ، وتجسد المعانى جائز كما جاء أن سورة البقرة تجىء يومَ القيامة كأنها الظُّلَّة والموت فى صورة كَبْش وكذلك وَزْن الأعمال ، وغير ذلك من أحوال الغَيْب .

وقال البَيْضاوى رحمه الله فى شرح المصابيح : لعل ذلك من باب التمثيل ، إذ تمثيل المعانى وقع كثيرا كما مُثِّلت له الجنة والنار فى عُرْض الحائط - بضم العين المهملة ، وفائدته كشف المعنوى بالمحسوس .

وأشار النووى بقوله : جُعل فيه شىء يحصل به زيادة فى كمال الإيمان إلى آخره : أنه صلى الله عليه وسلم كان متصفاً بأقوى الإيمان .

* * *

الثامن عشر : المملوء الصدر أو البطن ففى رواية ذكر البطن وفى غيرها القلب . والظاهر أنهما مُلئا معاً وأخبر صلى الله عليه وسلم فى رواية بالبطن وأخبر فى أُخرى بالقلب ، ويحتمل أن يكون أراد القلبَ وذكَر البطن توسعة لأن العرب تسمى الشىء بما قارَبه وبما كان فيه . وقد قال تعالى : « فمن يُرِد اللهُ أن يَهْديه يَشْرَحْ صَدْرَه للإسلام[3] » والمراد بالصّدر فى الآية القلب فسمّاه باسم ما هو فيه وهو الصدر .

التاسع عشر : اختلف فى تفسير الحكمة فقيل : إنها العلم المشتمل على معرفة الله تعالى مع نفَاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكفّ عن ضده ، والحكيمُ

---

(١) غير ط : فى الحديث .
(٢) الروض الأنف ١ /١١٠ (ط الجمالية) .
(٣) سورة الأنعام ١٢٥ .

من حاز ذلك . قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : هذا ما صفَا لنا من أقوال كثيرة . انتهى .

وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذكر ذلك كله ، وعلى النبوة كذلك . وقد تُطْلق على العِلم فقط وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك .

وقال الحافظ : أَصحُّ ما قِيل فيها : أَنها وَضْع الشيء فى محله والفهم فى كتاب الله تعالى . وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الإيمان ، وقد لاتوجد . وعلى الأَول فقد يتلازمان لأَن الإيمان يدلُّ على الحِكْمة[1] .

العشرون: قال بعض العلماء : المراد بالوزن فى قوله «زِنْه بعشرة من أُمته» الوزنُ الاعتبارى ، فيكون المراد الرجحانَ فى الفضل وهو كذلك . وفائدة فِعْل الملكين ذلك ليعْلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى يُخْبِر به غيره ويعتقده ، إذ هو من الأُمور الاعتقادية .

وسأَلتُ شيخَ الإسلام برهانَ الدين ابن أَبى شريف رحمه الله تعالى عن هذا الحديث قبل وقوفى على الكلام السّابق فكتب لى بخطّه : هذا الحديث يقتضى أَن المعانى جعلها الله تعالى ذواتاً فعند ذلك قال المَلَك لصاحبه : اجعله فى كِفَّة واجعل أَلفاً من أُمته فى كفة . ففعل فَرَجَح مالَه صلى الله عليه وسَلّم رجحانا طاش معه ما لِلأَلْف بحيث يخيَّل إليه أَنه يَسْقط بعضُهم عليه ، ولمّا عرف المَلَكان منه الرجحان وأَنه معنًى لو اجتمعت المعانى كلها للأُمة ووضعت فى كفة ووضع ماله صلى الله عليه وسلم لَرجح على الأُمة ، قالا : لو أَن أُمته وزنت به مالَ بهم ، لأَن مآثر خَيْر الخلق صلى الله عليه وسلم وما وهبه الله تعالى له من الفضائِل يستحيل أَن يساوِيها غيرها . والله أَعلم .

---

(١) ط : تدل عليه الحكمة .

الباب الخامس عشر

فى صفة يديه وإبطيه صلى الله عليه وسلم

قال عليٌّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثن الكفّين سائل الأطراف سَبْط القَصب

رواه الترمذى[1] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الكفين .

رواه أبو يعلى وابن عساكر .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بَسْطَ[2] الكفين .

رواه البخارى[3] .

وقال الحافظ أبو بكر ابن أبى خَيْثمة رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبْل العَضُدين والذراعين طويلَ الزَّنْدين ، وكان معمر الأوصال سَبْط القصَب كأنّ أصابعه قُضْبان الفَضة .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَبْل الذراعين

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

---

(١) شرح الشمائل لابن جسوس ١/١٩ بنحوه . ونحوه أيضا عن هند بن أبى هالة ص ٣٣ من شرح الشمائل .

(٢) غير ط : سبط الكفين . ورواية ط موافقة لرواية البخارى فى الصحيح .

(٣) صحيح البخاري كتاب اللباس باب رقم ٦٨ .

وقال هند بن أبي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشعر الذراعين طويل الزَّنْدين رَحْب الراحة .

رواه الترمذى[1] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَبْح الذراعين .

رواه ابن سعد[2] وابن عساكر .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : ما مَسَسْت حريرا ولا ديباجاً قط أَلْيَن من كفٍّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه الإمام أحمد والشيخان[3] .

وقال المستورد بن شدَّاد عن أبيه رضى الله تعالى عنه : أَتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأَخذت بيده فإذا هى أَلْيَن من الحرير وأَبْرَد من الثلج .

رواه الطبرانى[4] .

وقال وائِل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : لقد كنت أُصافح النبيَّ صلى الله عليه وسلم أَو يمسُّ جلدى جلده فأَتعرَّفه بعدُ فى يدى فإنه لَأَطْيَب رائحةً من المسك .

رواه الطبرانى والبيهقى .

وقال يزيد بن الأَسود رضى الله تعالى عنه : ناوَلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدَه فإذا هى أَبْرَد[5] من الثلج وأَطيبُ ريحاً من المِسك .

رواه الشيخان[6] .

---

(١) شرح الشمائل ١/٣٢ – ٣٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/٤١٤ (ط بيروت) .

والذى فى تهذيب ابن عساكر ١/١٣٩ عن أبى هريرة : كان أشعر الذراعين . ولعله تحريف .

(٣) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨١ .

ومسند أحمد ٣/٢٢٢ .

(٤) الخصائص الكبرى ١ ١٨٤ .

(٥) ط : أبيض من الثلج .

(٦) لم أجده فى الصحيحين وهو فى مسند أحمد ٤/٢٢٤ والخصائص الكبرى للسيوطى ١/١٨٤ (ط الهراس) .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : مسح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خَدَّى فوجدتُ لِيده بَرْداً وريحاً كأنما أُخرجت من جُؤْنَة عطَّار .

رواه مسلم[1] .

وقال المثنىَّ بن صالح عن جدته رضى الله تعالى عنها قالت: صافحت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أَرَ والله كفًّا أَلْيَن من كفه صلى الله عليه وسلم .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال سعد بن أبى وقَّاص رضى الله تعالى عنه : اشتكيت بمكة فدخل علَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعُودنى فوضع يده على جبهتى فمسح وجهى وصدرى وبطنى فمازلت يخيَّل إلى أنى أجد بَرْدَ يده على كبدى حتى السَّاعة .

رواه الإمام أحمد[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه فى الدّعاء حتى يرى[3] بياض إبطيه .

رواه البخارى وغيره[4] .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سجد يُرَى بياضُ إبطيه .

رواه ابن سعد[5] .

وقال رجل من بنى حريش رضى الله تعالى عنه : ضمَّنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسال علَّى من عرق إبطيه مثلُ ريح المسك .

رواه البزار[6] .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٠ . (٢) مسند أحمد ٤/١٦١ وهو فى الخصائص الكبرى ١/١٨٥ .

(٣) ط : حتى رأيت .

(٤) صحيح البخارى كتاب الاستسقاء وكتاب الأحكام وكتاب المغازى . وصحيح مسلم كتاب الاستسقاء حديث رقم ٥ ، ٧ . (٥) الخصائص الكبرى ١/١٥٧ .

(٦) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٨ وذكر فى روايته أن ذلك كان حين رجم النبى صلى الله عليه وسلم ماعز بن مالك وكان ذلك الرجل حينئذ صغيرا مع أبيه ، فلمــا رأى الحجارة أخذت ما عزاً أرعب ، فضمه النبى صلى الله عليه وسلم إليه تطمينا له . وهو أيضا فى الخصائص الكبرى ١/١٦٨ .

قال الحافظ محب الدين الطبرى رحمه الله تعالى : من خصائِص النبى صلى الله عليه وسلم أن الإِبط من جميع الناس متغير اللون غيره صلى الله عليه وسلم .

وذكر القرطبي مثله وزاد: أنه لاشَعْر عليه. وجرى على ذلك الإِمام الإِسْنَوى رحمه الله تعالى . وسيأْتى الكلام على ذلك فى الخصائِص إن شاء الله تعالى .

تَنْبيهاتٌ

الأول : وَصَف أَنسٌ وغيره كفَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليونة ، **وهو مخالف** لوصف هند له بالشَّثَن وهو الغِلَظ مع الخشونة كما قال الأَصمعى .

قال الحافظ رحمه الله تعالى : والجمع بينهما : أَن المراد بالِّلين فى الجلد والغِلَظ فى العظام ، فيجتمع له نُعومة البدَن وقوَّته .

قال ابن بطَّال رحمه الله تعالى : كانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئةً لحما غير أَنها مع ضخامتها كانت ليِّنة كما فى حديث المستوردِ . وأَما قول الأَصمعى : الشَّثَن غلظ الكف مع خشونة فلم يوافق على تفسيره بالخشونة ، والذى فسّر به الخليل أَوْلى . وعلى تسليم ما فسَّر به الأَصمعى يحتمل أَن يكون وَصف كف النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان إذا عمل فى الجهاد أَو مهنة أَهله صار[1] كفُّه خشنا للعارض المذكور ، وإذا ترك ذلك رجع إلى أَصل جِبلَّته من النعومة .

وقال القاضى : فَسَّر أَبو عُبَيْد الشَّثَن بالغِلْظ مع القِصْر وتُعقِّب بأَنه ثبت فى وصفه صلى الله عليه وسلم أَنه كان سائل الأَطراف . انتهى .

وقال الحافظ : ويؤيد كونَ كفه صلى الله عليه وسلم ليِّنا قولُه فى رواية النعمان : كان سَبْط الكفين بتقديم المهملة على الموحّدة فإنه موافق لوصفها باللين .

والتحقيق فى الشَّثن أَنه غلظ من غير قِصَر ولا خشونة .

---

(١) ط : كان .

الثانى : زعم الحكيم الترمذى وتبعه أبو عبد الله القرطبى والدَّمِيرى فى شرح المنهاج أن سَبّابة النبى صلى الله عليه وسلم كانت أطْول من الوسطى. قال ابن دحية : وهذا باطل بيقين ولم ينقله أحدمن ثقات المسلمين مع إشارته صلى الله عليه وسلم بإصبعه فى كل وقت وحين ، ولم يَحْكِ ذلك عنه أحدٌ من الناظرين .

وفى مسلم عن أنس رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بُعثت أنا والساعة كهاتين[1] » وفى رواية : فقرَن شُعْبة بين إصبعيه المسبِّحة والوسطى كليهما [2].

وروى الترمذى وحَسَّنه عن المستورد بن شدّاد يرفعه : «بُعثت فى نَفَس الساعة فسبقتُها كما سبقَتْ هذه هذه » . لإصبعه السبَّابة والوسطى[3] .

وقال الحافظ فى فتاويه : ما قاله الترمذى الحكيم خطأٌ نَشأَ عن اعتماد رواية مُطْلقة ، ولكن الحديث فى مسند الإمام أحمد وسنن أبى داود عن ميمونة بنتَ كَرْدَم رضى الله تعالى عنهما قالت : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بمكة وهو على ناقة له وأنا مع أبى . فذكرت الحديث إلى قولها : فدنا منه أبى فأخذ بقدمه فأقرَّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : فما نسيت فيما نسيت طولَ إصبع قدمه السَّبابة على سائر أصابعه . الحديث[4] . انتهى .

وقد جزم الإمام العلامة فتح الدين ابن الشهيد رحمه الله تعالى بأن ذلك كان فى سبابة قدمه صلى الله عليه وسلم فقال فى سيرته المنظومة التى لا نظير لها فى بابها :

ووصْف زينب بنت كَرْدَمِ ... فيما رأتْه عينُها فى القَدم

فإنها[5] سميت فى الرواية ميمونة . وكذا فى الباب بعده :

سبَّابـة النبى كانت أطْـولْ ... أصابع النبى فاحفظ واسـأَلْ

كَرْدَم بوزن جعفر .

---

(1) صحيح مسلم كتاب الجمعة حديث رقم ٤٣ وكتاب الفتن ١٣٢ - ١٣٥ .

(2) ط : يحكيه .

(3) سنن الترمذى كتاب الفتن باب رقم ٣٩ .

(4) مسند أحمد ٦ ٣٦٦ .

(5) كذا بالأصول .

الثالث : فى بيان غريب ما سَبَقَ :

شَثْن الكَّفين : بشين معجمة فثاء مثلثة ساكنة فنون : هو الذى فى أنامله غلظ بلاقِصَر، ويُحْمد ذلك فى الرجال لأنه أشد لقبضتهم ويُذَم فى النساء .

سائل الأَطراف : بسين مهملة وآخره لام ، من السَّيَلان أى ممتدها ، يعنى أنها طِوَال ليست بمتعقدة ولا منقبضة . ورواه بعضهم بالنون بدل اللام فقال سائن . قال ابن الأنبارى : وهما بمعنًى تُبْدل اللام من النون ، أى طويل الأَصابع .

سَبْط بفتح السين المهملة وسكون الباء الموحدة وكسرها ، وحكى الفتح أيضا وبالطاء المهملة : الممتد الذى ليس فيه تعقد ولا نُتوء .

والقصب بقاف فصاد مهملة فباء موحدة جمع قصبة وهى كل عظم أجوف فيه مخ وأما العريض فيسمى لَوْحا ، يريد بهما ساعديه وساقيه . وفى لفظٍ : العَصَب بالعين المهملة بدل القاف .

الزَّنْدان : بفتح الزاى : عَظْما الذراعين .

رَحْب الراحة : أى واسع الكف . وقال فى النهاية : يكنون بذلك عن السخاء والكرم .

فسيح ـ بفاء فسين وحاء مهملتين بينهما مثناة تحتية : أى بعيدُ ما بينهما لسعة صدره .

شَبْح الذراعين : بشين معجمة فباء موحّدة فحاء مهملة أى عريض الذراعين .

مَسِيْت : بسينين الأُولى مكسورة وتفتح والثانية ساكنة .

ولا دِيباجاً : من عطف الخاص على العام لأن الديباج نوع من الحرير .

أَلْين : أنْعَم .

الجُؤْنة : يأْتى الكلام عليها فى طيب عرقه وريحِه صلى الله عليه وسلم . والله أعلم .

الباب السادس عشر

فى صفة ساقيه وفخذيه وقدميه صلى الله عليه وسلم

قال جابر بن سمرة رضى الله تعالى عنه : كان فى ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم حُموشة.

رواه مسلم[1] .

وقال سُرَاقة بن مالك بن جُعْشُم – بضم الجيم والمعجمة بينهما عين مهملة – رضى الله تعالى عنه : دنوتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فرأيت ساقه كأنها جُمَّارة نَخْلٍ .

رواه يعقوب ابن سفيان وإبراهيم الحربى[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : انحسر الإزارُ عن فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راكب فى غزوة خيبر فإنى لَأَرى بياض فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن أبى خَيْثمة .

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَخْم القدمين .

رواه الشيخان والبيهقى[3] .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَنْهوس العَقب. رواه مسلم[4] .

---

(١) لم أجده فى صحيح مسلم وهو فى سنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ١٢ ومسند أحمد ٥/٩٧ ، ١٠٥ ودلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٦ .

(٢) الوفـا لابن الجوزى ص ٤٠٠ .

(٣) الذى فى صحيح البخارى كتاب اللباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم اليدين والقدمين . وفى مسند أحمد ٣ ١٢٥ : « كان صلى الله عليه وسلم ضخم القدمين ضخم الكفين » . وهو أيضا فى دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩١ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٧ .

وقال أَبوْ جُحَيْفة رضى الله تعالى عنه : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنى أنظر إلى وَبيص ساقيه .

رواه البخارى [١] .

وقال هند بن أبي هالة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شَثْن الكفين والقدمين سائل الأطراف [٢] سَبْط القصب [٣] خمصان الإخمصَيْن فَسِيح القدمين يَنْبو عنهما الماء .

رواه الترمذى [٤] .

وتقدم تفسير غريبه إلا قوله « خَمْصَانُ » فسيتى .

وقال عبد الله بن بُرَيْدة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن البشَر قَدما .

رواه ابن عساكر [٥] .

وقالت ميمونة بنت كَرْدَمَ بوزن جَعْفر - رضى الله تعالى عنها : إنها رأت سبَّابة قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أطولَ من سائِر أصابعه .

رواه الإمام أحمد وغيره [٦] .

ورحم الله تعالى القائل .

ياربِّ بالقـدم التى أوْطَأْتهـا	من قاب قوسين المحـلَّ الأعظَمَا
وبُحرْمـة القـدم التى جُعلت لهـا	كَتِف البريّة فى الرسالة سُلَّمَـا
ثبِّت على مَتْن الصراط تَكَرُّمـاً	قـدمى وكُنْ لى مُنْقـذا ومُسَلِّماً
واجعلهما ذُخْـرى ومن كانَا لـه	أَمِن العـذابَ ولا يخاف جَهنَّمَا [٧]

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب رقم ٢٣ .

(٢) زاد فى شمائل الترمذى : أو قال شائل الأطراف . بالشين المعجمة .

(٣) لم ترد هذه الجملة فى رواية هند بن أبى هالة فى شمائل الترمذى :

(٤) شرح الشمائل ١/٣٣ .

(٥) لم يرد فى تهذيب ابن عساكر صفة خلقه صلى الله عليه وسلم .

(٦) سبق تخريجه فى مسند أحمد وهو أيضا فى دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٤ ومجمع الزوائد ٨/٢٨٠ عن الطبرانى . قال الهيثمى : وفيه من لم أعرفهم .

(٧) الأبيات ذكرها ابن الجوزى فى الوفا ص ٤٠٠ . ونسبها لبعض البلغاء .

تَنْبِيهاتٌ

الأول : ذكرَ كثير من المُدَّاح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا مشّى على الصَّخْر غاصَت قدماه فيـه .

ولا وجود لذلك فى كتب الحديث البتة . وقد أنكره الإمام برهان الدين النَّاجِى بالنون[1] — الدمشقى رحمه الله تعالى وجزم بَعدَم وروده ، والشيخُ رحمه الله تعالى فى فتاويه وقال إنه لم يقف له على أصل ولا سنَد ولا رأى من خرَّجه فى شىء من كتب الحديث وناهيك باطلاع الشيخ رحمه الله تعالى . وقد راجعت الكتب اللأتى ذكرها فى آخر الكتاب فلم أر مَن ذكَر ذلك ، فشىء لايوجد فى كتب الحديث والتواريخ كيف تسوغ نسبته للنبى صلى الله عليه وسلم ؟ !

الثانى : فى حديث جابر بن سَمُرة قال : كانت خِنْصر رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجله متظاهرة[2] . رواه البيهقى[3] . وفى سنده سلمة بن حَفْص السَّعْدى . قال ابن حِبَّان كان يضع الحديث لا يحل الاحتجاج به ولا الرِّواية عنه ، وحديثه هذا باطل لا أصل له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتدل الخَلْق .

* * *

الثالث : فى بيان غريب ما تقدَّم .

الحُموشة : بضم الحاء المهملة وشين معجمة : الدقَّة

الجُمَّار — كُرمَّانٍ : قَلْب النخل حين يقطع يكون رطبة بَيضَاء .

---

(١) انظر هذه النسبة فى اللباب لابن الأثير ٣/٢٠٥ .

(٢) غير ط : متظافرة . وما فى ط هو الموافق لرواية البيهقى فى الدلائل .

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ١٩٦/١ . وروايته فيه : « كانت إصبع رسول الله صلى الله عليه وسلم خنصرة من رجليه متظـاهرة » .

وهو أيضا فى شمائل الرسول لابن كثير ص ٣١ (ط الحلبى) وروايته فيه :

« كانت إصبع لرسول الله صلى الله عليه وسلم خنصر من رجله متظاهرة » . ثم قـال : وهذا حديث غريب .

مَنْهوس : بإعجام السين وإهمالهـا أى قليل لحم العَقِب .

الوبيص : البريق واللمعَان .

خُمصَان . بضم الخاء المعجمة كما وجدته مضبوطاً بالقلم فى نسخة صحيحة من الصِّحاح والنهاية ، لكن فى بعض نسخ الشفاء المعتمدة بالفتح . قال فى النهاية : الإخمص من القدم الموضع الذى لايلصق بالأَرض منها عند الوطء والخَمْصَان المبالغ فيه . أى ذلك الموضع من أسفَل قدميه كان شديد التجافى عن الأَرض جدا .

وسئل ابن الأَعرابى رحمه الله تعالى عنه فقال : إذا كان خَمَص الإخمص بقَدْر لم يرتفع عن الأَرض جدًّا ولم يَسْتو أسفل القدم جدًّا ، فهو أَحسن الخَمص بخلاف الأَوّل[1] .

مَسِيح القدمين : بميم مفتوحة فسين مهملة مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فحاء مهملة أى مَلْساوان ليِّنتان ليس فيهما تكسُّر ولاشقاق فإذا أصابهما المـاء نَبا عنهما سريعاً لملاستهما فينبو عنهما ولا يقف ، يقال نبا الشيء يَنْبو إذا تباعد . وأمّا رواية عبد الرزاق والبزار عن أَبى هريرة رضى الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَطأُ بقدمه جميعاً . وفى لفظ كلها ليس له إخمص فيحتمل[2] .

---

(١) لعله يريد بالأول ما ذكره من قبل من أن المقصود بالخمصان المبالغ فى الخمص . وهذا من كلام المؤلف وليس من كلام ابن الأعرابى .

(٢) فى هامش ط : « هكذا بيض له المؤلف رحمه الله تعالى . قال أقل تلامذته محمد القيسى لطف الله تعالى به : لعله أراد : فيحتمل أنه فى هذه الحالة وطئ وطئا شديداً فظهر موضع قدمه جميعا بخلاف الأول فإنه عند خفة الوطء لا يرى أثر خمصانه . وبه يحصل الجمع . فليتأمل » .

الباب السابع عشر

فى ضخامة كراديسه صلى الله عليه وسلم

روى الترمذى عن هند بن أبي هالة ، والبيهقى وابن عساكر وابن الجوزى عن على ، وأبو الحسن ابن الضحاك عن جُبَيْر بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنهم قالوا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضَخْم الكراديس[1] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جَليل المُشَاش . رواه الترمذى والبيهقى[2] .

الكَراديس : رءوس العظام واحدها كُرْدُوس قيل هو ملتقى كل عظَمَيْن كالرُّكبتين والمرفقين والمنكبين ، أراد أنه صلى الله عليه وسلم ضخم الأعضاء .

المُشَاش بضم الميم وبشينين معجمتين : رءوس العظام كالمِرْفقين والكفين والركبتين . وقال الجوهرى : رءوس العظَام اللَّيِّنة التى يمكن مَضْغها .

جليلهما : عظيمهما .

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٢ وشرح شمائل الترمذى ١/١٩ . والوفا لابن الجوزى ص ٣٩٩ ، ٤٠٢ .

(٢) شرح الشمائل ١ ٢١ .

الباب الثامن عشر

فى طوله واعتدال خلقه ورقَّة بَشَرته صلى الله عليه وسلم

قال البَرَاء بن عازب رضى الله تعالى عنهما : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير .

رواه الشيخان [1]

وقال أيضاً : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرْبوعاً .

رواه الخمسة [2] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبعة وهو إلى الطول أقْرَب [3] .

رواه محمّد بن يحيي الذُّهْلى فى الزُّهْريات وأبو الحسن بن الضحاك بسند حسن .

وقال هند ابن أبى هالة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُعْتدل الخلق بادِنَ متماسك أطولَ من المرْبوع وأقصر من المشذَّب .

رواه الترمذى [4] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس قَواماً وأحسن الناس وجهاً وأحسن الناس لوناً وأطيب الناس ريحاً وألين الناس كفًّا .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن عساكر [5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٣ .
وسنن الترمذى كتاب المناقب باب رقم ٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب اللباس ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩١ . ومسند أحمد ٢٨١/٤ .

(٣) شمائل الرسول لابن كثير (ط الحلبى) ص ٣٢ .

(٤) شرح الشمائل ٣١/١ .

(٥) تهذيب ابن عساكر ٣٢٠/١ .

وقال أيضاً : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبْعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير .

متفق عليه[1] .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رَبْعة لا بائن من طوله ولا تقتحمه عينٌ من قِصَر غُصْنا بين غصنين فهو أَنْضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قَدْراً .

رواه البيهقى[2] .

وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : أَرْدَفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه فى سفرٍ فما مَسَسْت شيئا قط أَلْين من جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه البزار والطبرانى .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل المُمَّغِط ولا بالقصير المتردِّد كان ربعة من القوم .

رواه ابن عساكر[3] .

وقال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : ما مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أحد إلا طَاله .

رواه ابن عساكر[4] .

وقال أبو الطفيل عامر بن واثِلة رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقَصَّداً .

رواه مسلم[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٩٢ .

(٢) سبق تخريج حديث أم معبد فى أول هذا الجزء .

(٣) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ . والرواية فيه محرفة : لم يكن بالطويل القطط .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٣١٩/١ .

(٥) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث ٩٩ ومسند أحمد ٤٥٤/٥ .

وقال البرَاء رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ النَاس وجهاً وأَحْسَنهم خَلْقاً ، ليس بالطويل ولا بالقصير .

رواه الشيخان[1] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير المتردّد ، وكان يُنْسب إلى الرَّبْعة إذا مشى وحده ، ولم يكن يُمَاشِيه أحدٌ من الناس يُنْسب إلى الطُّول إلاَّ طالَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولربما اكتنفَه الرَّجُلان الطويلان فيَطُولُهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فإذا فارَقاه نُسب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرَّبْعة .

رواه ابن أبى خيثمة فى تاريخه والبيهقى وابن عساكر[2] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب طُولاً وفوق الربعة إذا جامع القوم غَمَرهم .

رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد المسندُ والبيهقى ولفظه : إذا جامعَ القوْم

وقال أيضا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رقيق البشَرة .

رواه ابن الجوزى[3] .

وقال ابن سبع رحمه الله تعالى : إنه صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس يكون كتفه أعْلَى من جميع المجالسين صلى الله عليه وسلم[4]

تنبيه فى بيان غريب ما سبق :

اعتدال الخَلْق : يناسب الأعضاء والأطراف ، أى لاتكون مُتَباينة فى الدِّقة والغِلَظ والصغر والكبر والطول والقصر .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٥٤ ، ٥٥ ، ٩٣ .

(٢) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٣ والخصائص الكبرى ١/١٦٩ (ط الهراس) .

(٣) الوفا لابن الجوزى ص ٤٠٤ .

(٤) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

البادِن : بكسر الدال المهملة : الضخم الكثير اللحم . ولمّا قال ذلك أردَفه بقوله مُتَماسك و هو الذى يمسك بعضه بعضًا فليس هو بمُسْترخ ولا متهدِّل ، كأن لحمه لاكتنازه واصطحابه يُمْسك بعضه بعضًا لأن الغالب على السِّمَن الاسترخاء .

المربوع : الذى بَيْن الطويل والقصير .

المشذَّب : بميم مضمومة فشين فذال مشددة معجمتين مفتوحتين فباء موحّدة : البائن طُولاً مع نقصٍ فى لحمه ، أى ليس بنحيف طويل ، بل طولُه صّلى الله عليه وسلم وعرْضه[1] متناسبان على أتمّ صفة .

رَبْعة : براءٍ مفتوحة فموحّدة ساكنة أى مربوع الخَلْق لاطويل ولاقصير ، والتأنيث باعتبار النفس ، يقال رجل رَبْعَة وامرأة ربْعَة وقد فسره فى الحديث بقوله : ليس بالطُّويل البائن المفْرط فى الطول مع اضطراب القامة ..

البائن : الطويل فى نحافة اسم فاعل من بان أى ظَهر على غيره . قاله الحافظ وفى النهاية : أى المفْرط طولاً الذى بَعُد عن قَدْر الرجال الطُّوَال[2] .

الغُصْن والأغصان : أطراف الشجر ما دامت فيها نابتة .

النَّضَارة : حُسْن الوجه والبريق .

الثلاثة : النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعامر بن فُهَيْرة .

المُمَّغِط : بميمين الأُولى مضمومة والثانية مفتوحة مشددة فغين معجمة مكسورة المتناهى فى الطول ، وامتغط النهارُ امتدّ ومغطتُ الحَبْلَ إذا مددته وأصله مُنْمَغِط والنون للمطاوعة فقلبت ميماً وأدغمت فى الميم ويقال بالعين المهملة بمعنَاه .

القصير المتردِّد : وهو الذى تردّد بعضُ خَلْقه على بعض فهو المجتمع الخَلْق الذى يَضْرب إلى القصر جدا .

---

(١) ت ، م : وقصره .

(٢) غير ط : طوله .

مُقَصَّداً : بميم مضمومة فقاف فصاد مشدّدة مفتوحتين أى ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم ، كأنَّ خَلْقه صلى الله عليه وسلم يجىء به القَصْد من الأُمور .

اكتنفَه الرَّجُلان : أَحاطًا به من جانبيه .

غمَرهم : أى كان فوق كلّ من معه .

سَهمهم : طالَهم .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

الباب التاسع عشر

فى عَرقه صلى الله عليه وسلم وطِيبه

قال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير العَرق .
رواه أبو الحسن ابن الضحاك .

وقال أيضًا : ما شمَمْت ريحاً قط أو عَرقا قط أطْيَبَ من ريح أو عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه الإمام أحمد والشيخان والترمذى . وزاد : ولا شَمْمت مِسْكاً - ولا عطراً أطْيبَ مِن ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كأن ريحَ عرقِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ريحُ المسك بأبى وأمىّ ! لم أر قَبْله ولا بَعْده مثلَه .
رواه ابن عساكر[2] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى أمَّ سُلَيْم فيَقِيلُ عندها فتبسط له نِطْعاً فيقيل عليه وكان كثير العَرق وكانت تجمع عَرقه صلى الله عليه وسلم فتجعله فى الطِّيب والقوارير ، فيستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : ماهذا الذى تضعين يا أم سليم ؟ فتقول : هذا عَرقك نجعله لِطيبنا وهو أطْيب الطِّيب . وفى رواية قالت : هذا عَرقك أدُوف به طيبى .
رواه مسلم وغيره[3] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المناقب باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم .
وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨١ ، ٨٢ .
ومسند أحمد ١٠٧/٣ .
(٢) تهذيب ابن عساكر ٣١٧/١ .
(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٥ ومسند أحمد ١٤٦/٣

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : كان عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه مثل اللؤلؤ أطيب ريحاً من المسك الأذفر وكأن كفه كف عطّار مسّها طِيبٌ أو لم يمسّها به ، يصافحه[1] المصافح فيظل يومَها يجد ريحها ، ويضع يده على رأس الصبيّ فيُعرف من بَيْن الصبيان من ريحها على رأسه .

رواه أبو بكر بن أبى خيثمة وأبو نعيم مختصرا.

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزْهَر اللون كأنَّ عَرقه اللؤلؤ .

رواه أبو بكر ابن أبى خيثمة[2] .

وقالت أم عاصم امرأة عُتْبة بن فَرْقَد السُّلَمى له : إنا لنَجْهد[3] فى الطِّيب ولأنت أطْيب ريحاً منا فِممّ ذلك ؟ فقال : أخذنى السَّرَى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته فشكوت ذلك إليه فأمرنى أن أتجرَّد فتجردْتُ وقعدت بين يديه صلى الله عليه وسلم وألقيت ثوبى على فَرْجى فنَفث فى يده ومسح ظهرى وبطنى بيداه فعَبق بى هذا الطِّيب[4] من يومئذ .

رواه الطبرانى .

ورُوى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : جاء رجلٌ إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنى زوَّجت ابنتى وأحبّ أن تعيننى بشىء فقال : ما عندى شىء ولكن ايتنى بقارورة واسعة الرأس وعُود شجرة . فأتاه بهما فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يَسْلت له فيها من عَرَقه حتى امتلأت القارورة ، فقال خذها وأْمر بنتك أن تغمس هذا العُود فى القارورة وتطيَّب به. فكانت إذا تطيبت به يشمّ أهلُ المدينة رائحة ذلك الطيب .

رواه الطبرانى وأبو يعلى وابن عدى[5] .

---

(١) ط : يصافح .

(٢) الـوفا لابن الجوزى ص ٤٠٨ .

(٣) ت ، م : لنجتهـد .

(٤) غير ط : فعقب بى ذلك الطيب .

(٥) هذا الحديث موضوع كما ذكر السيوطى فى كتابه اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة ٢٧٤/١ (طالمنيرية) وقال : آفته جليس بن غالب الكلبى . قال فى الميزان : هذا منكر جدا . وجليس : قال ابن عدى : منكر الحديث . وقال الدار قطنى متروك .

وقال وائِل بن حُجْر رضى الله تعالى عنه : كنت أُصافح رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده فأتعرَّفه بعدُ فى يدى وإنه لأطيب من ريح المسك .

رواه الطبرانى .

وقال يزيد بن الأَسود رضى الله تعالى عنه : ناوَلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فإذا هى أَبْرَد من الثلج وأَطْيَب ريحًا من المسك .

رواه البيهقى (1) .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كلَّ ريح طيِّب قد شمَمْت ، فما شممت قط أَطْيَب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلَّ شىء ليِّن قد مسَسْت فما مسست شيئا قط أَلْيَن من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه ابن عساكر (2) .

وقال جابر بن سَمُرة رضى الله تعالى عنه : مسَح رسول الله صلى الله عليه وسلم خدِّى فوجدت ليده بَرْدًا وريحا كأَنما أخرج يده من جُؤْنة عطَّار .

رواه مسلم (3) .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : كأَن عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه اللؤلؤ ، ولَريح عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم أَطْيَب من ريح المسك الأَذْفر .

رواه ابن سعد وابن عساكر (4) .

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أَزْهَر اللَّون كأَنَّ عَرقه اللُّؤلؤ .

رواه مسلم (5) .

---

(1) دلائل النبوة للبيهقى ٢٠٥١ . والخصائص الكبرى ١٨٤/١ .

(2) تهذيب ابن عساكر ٣٢٠/١ ، ٣٢١ بمعناه .

(3) سبق تخريج هذا الحديث قريبا

(4) الخصائص الكبرى ١٨٥/١ .

(5) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٢ .

وقال رجل من قريش[1] كنت مع أبي حين رَجم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ماعزَ بن مالك ، فلما أخَذَته الحجارة أُرْعِبْت ، فضمَّني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسال من عرق إبطه مثلُ ريحِ المسْك .

رواه الدارمىّ .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كنا نَعْرف رسولَ الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل بطيب ريحه .

رواه ابن سعد وأبو نعيم[2] .

وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه : كنت أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أَدْنُ مني فدنوت منه فما شممت مِسْكًا ولا عنبرًا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم .

رواه البزار[3] .

وقال جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما : كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال : لم يكن يمرّ فى طريق فيتبعه أحدٌ إلا عرف أنه قد سلكه من طيب عَرقه أو عَرْفه .

رواه البخارى فى تاريخه والدارمى[4] .

وقال أنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرّ فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه رائحة الطِّيب فيقال مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الطريق.

رواه أبو يعلى والبزار[5] .

ويرحم الله تعالى القائِل حيث قال :

ولو أن رَكْبًا يمَّمُوك لقَادهم ... نَسِيمُك حتى يستدِلَّ به الركْبُ

---

(١) كذا وقد سبق أنه من بنى حريش ، وكذلك جاء فى الخصائص الكبرى ١/١٦٨ والوفا لابن الجوزى ص ٤٠٨ .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٦٧ .

(٣) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

(٤) الخصائص الكبرى ١/١٦٦ .

(٥) الخصائص الكبرى ١/١٦٧ .

والقائل :

يرُوح على تلك الطريق التى غدًا[1] عليها فلا يَنْهى عُلَاه نُهَاتُه
تنَفَّسُه فى الوقتِ[2] أنفاسُ عِطْره فمِنْ طِيبه طابَتْ له طُرقاتُه
تَروح له الأَرواحُ حيث تنسَّمتْ لها سَحرا من حُبِّه نَسماتُه

وقال أَنس رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير العَرق . رواه مسلم[3] .

وقالت عائِشة رضى الله تعالى عنها فيما رواه ابن عساكر وأَبو نعيم : كنت قاعدة أَغْزل والنبيُّ صلى الله عليه وسلم يَخْصف نعلَه فجعل جبينه يَعْرق وجعل عَرقه يتولَّد نورًا فبهتُّ ، فقال : مالكِ بُهت ؟ قلت : جعل جبينُك يعرق وجعل عرقك يتولَّد نورًا ولو رآك أبو كَبِير الهُذَلى لعلم أَنك أَحق بشعره حيث يقول فى شعره :

ومُبَرَّأً عن كل غُبَّر حَيْضة وفَساد مُرْضعة وداءٍ مُعْضِل[4]
وإذا نظرتَ إلى أَسِرة وجهه برقَتْ بروقَ العارِض المُتَهَلِّلِ[5]

تَنْبيهاتٌ

الأول : قال إسحق بن راهويه رحمه الله تعالى : إن هذه الرائحة الطيبة كانت رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير طيب .

---

(١) ط : على غير الطريق الذى غدا .

(٢) غير ط : ينفس فى ذا الوقت .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ٨٢ .

(٤) كذا والرواية فى ابن عساكر والخصائص الكبرى : وداء مغيل ، يقال : غالت المرأة ولدها إذا أرضعته وهى حامل .

(٥) تهذيب ابن عساكر ١/٣٢٤ والخصائص الكبرى ١/١٦٧ .

وقال السيوطى فى الخصائص بعد أن ذكره : قال أبو على صالح بن محمد البغدادى : لا أعلم أن أبا عبيدة – يقصد معمر ابن المثنى راوى الحديث عن هشام بن عروة – حدث عن هشام بن عروة شيئا . قال : لكن الحديث حسن عندى . حين صار مخرجه محمد بن إسماعيل البخارى .

وقال النووى رحمه الله تعالى : وهذا مما أكرمه الله تعالى به .

قالوا : وكانت الريح الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وإن لم يمَسّ طيبًا ، ومع هذا كان يستعمل الطيب فى أكثر أوقاته مبالغة فى طيب ريحه لملاقاة الملائكة وأخذ الوحى ومجالسة المسلمين .

الثانى : مبدأ هذه الرائحة الطيبة بجسده صلى الله عليه وسلم من ليلة الإسراء . روى ابن مَرْدَوَيْه عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسْرِى به ريحُه ريح عروس وأطيب من ريح عروس .

الثالث : ما اشتهر على ألسنة بعض العوام أن الورد خُلق من عَرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر أبو زكريا يحيي النووى والحافظ والشيخ وغيرهم : إنه باطل لا أصل له . والحديث رواه الدّيْلمى فى مسند الفردوس من طريق مكى بن بنْدار وقد اتّهمه الدارقطنى بوضع الحديث . وله طرق بيَّنْت بُطْلانها فى كتابى « إتحاف اللبيب فى بيان ما وضع فى معراج الحبيب » .

الرابع : فى بيان غريب ما تقدم :

شَمِمْت : بكسر الميم فى الماضى وفتحها فى المضارع ويجوز فتحها فى الماضى وضمها فى المضارع

أَو عَرْفًا : شكّ من الراوى لأن العَرْف ــ بفتح العين المهملة وسكون الراء بعدها فاء ــ هو الريح الطيب .

ومن ريح : بكسر الحاء بلا تنوين لأنه فى حكم المضافُ تقديره من ريح النبى صلى الله عليه وسلم أو عرقه . ووقع فى بعض الرّوايات بفتح الراء وبالقاف فأو على هذا للتنويع .

قال الحافظ : والأول هو المعروف . وفى رواية ما شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ رحمه الله تعالى : ضبط هذا اللفظ[1] بوجهين أحدهما بسكون

(١) يريد قوله : ولا عنبرة .

النون بعدها موحدة . والآخر بكسر الموحدة بعدها مثناة تحتية[1]. والأول هو المعروف ، والثانى طِيب معمول من أخلاط يجمعها الزعفران . وقيل هو الزعفران . ووقع عند البيهقى ولا شممت مِسْكا ولا عنبرًا ولا عَبيرا ذكرهما جميعًا .

يقيل : ينام فى القائلة وهى شدة الحرّ .

القوارير : آنية من زجاج . أَدُوف بالدال المهملة أى أخلطْ . يقال : داف الشىء يَدُوفه دوفا وأدافه : خلطه . الأَذْفر بذال معجمة أى طيب الرائحة والذَّفَر بالتحريك يقع على الطيِّب والكريه ويفرّق بينهما بما يضاف إليه ويوصف به .

السَّرَى : بفتحتين ـ خُرَاج[2] صِغَار لها لَذْع شديد .

عَبق به الطِّيب عَبقًا من باب تَعِب ـ ظهرت ريحُه بثوبه أو بدنه فهو عَبِق . قلت[3] : ولا يكون العَبق إلا للرائِحة الطيبة الزكية .

جُؤنة ـ بضم الجيم وهمزة ساكنة ، ويجوز تسهيلها : سَفَطٌ[4] مُغَشّى بجلْد يَجْعل فيه العطار طيبَه .

---

(١) أى عبيرة .

(٢) الخراج كغراب : القروح .

(٣) ط : قـالوا .

(٤) السفط : وعاء كالجوالق .

الباب العشرون

فى مشيه صلى الله عليه وسلم وأنه لم يكن يُرى له ظِلّ

قال أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة فكنت إذا مشيت سبقنى، فالتفت إلىّ رجل إلى جنبى فقلت : تُطْوى له الأَرض وخليل إبراهيم .

رواه الإمام أحمد وابن سعد [1] .

وقال يزيد بن مَرْثَد ـ بميم مفتوحة فراء ساكنة فثاء مثلثة مفتوحة فدال مهملة ـ وهو من التابعين رحمه الله تعالى : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى أسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه .

رواه ابن سعد [2] .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : ما رأيت أحدًا أَسْرع فى مِشْيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأَن الأَرض تُطْوى له ، إنا لنجهد أنفسنا وإنه غير مُكْترث .

رواه الإمام أحمد والترمذى فى الشمائل والبيهقى وابن عساكر من طرق [3] .

وقال ذَكْوان رحمه الله تعالى : لم يُرَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظلّ فى شمس ولا قمر .

رواه الحكيم الترمذى [4] . وقال : معناه لئلا يطأ عليه كافرٌ فيكون مذلةً لهُ .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٩/١ (ط بيروت) . ومسند أحمد ٢٥٨/٢ ، ٢٩٥ ،

(٢) سقط من الأصل وأثبته من طبقات ابن سعد ٣٧٩/١ . وتهذيب ابن عساكر ٣١٩/١ .

(٣) مسند أحمد ٣٥٠/٢ ، ٣٨٠ وسنن الترمذى كتاب المناقب باب ١٢ .

(٤) الخصائص الكبرى ١٦٩/١ .

وقال ابن سبع رحمه الله تعالى : فى خصائصه : إن ظلَّه صلى الله عليه وسلم كان لا يقع على الأرض وإنه كان نورًا وكان إذا مشى فى الشمس أو القمر لا يظهر له ظل[1] .

قال بعض العلماء : ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه : «واجعلنى نورًا[2]» وستأتى صفة مشيه صلى الله عليه وسلم فى باب آدابه .

نَجْهد ـ بفتح النون وضمّها ، يقال : جَهد دابتَه وأجْهدها إذا حمل عليها فوق طاقتها .

مُكْترث : أى غير مبالٍ ، ولا يستعمل إلا فى النفى وأما استعماله فى الإثبات فشاذ .

---

(١) الخصائص الكبرى ١/١٦٩ .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٧٠ .

الباب الحادى والعشرون

فى الآية فى صوته صلى الله عليه وسلم وبلوغه حيث لا يبلغه صوتُ غيره

روى ابن سعد عن قتادة وابن عساكر عنه ، عن أنس رضى الله تعالى عنه قال : ما بعَثَ الله نبيًّا إلا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيَّكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسَن الوجه حسَن الصوت[1] .

وقال علىّ رضى الله تعالى عنه : ما بَعث الله تعالى نبيًّا قط إلا بعثه صَبيح الوجه كريم الحسَب حسن الصوت ، إن نبيكم كان صبيح الوجه كريم الحسَب حسن الصوت .

رواه ابن عساكر .

وقال جبير بن مُطْعِم رضى الله تعالى عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حسَن النَّغمة .

رواه أبو الحسن بن الضحاك .

وقال البَرَاء رضى الله تعالى عنه : خطَبنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى أَسْمع العَواتق فى خدورهن .

رواه أبو نعيم والبيهقى[2] .

وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال للناس: اجلسوا ، فسمعه عبد الله بن روَاحة وهو فى بنى غَنْم[3] فجلَس مكانه

رواه أبو نعيم والبيهقى[4] .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٦/١ (ط بيروت) .

(٢) الخصائص الكبرى ١٦٤/١ .

(٣) كذا فى ط موافقا لما فى الخصائص ، وفى بقية النسخ : فى بنى تميم .

(٤) الخصائص ١٦٥/١ .

وقال عبد الرحمن بن معاذ التميمى رضى الله تعالى عنه : خطَبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنًى ففُتحت أسماعنا . وفى لفظ : ففتح الله أسماعنا حتى أنا كنا لَنسمع ما يقول ونحن فى منازلنا .

رواه ابن سعد وأبو نعيم[1] .

وقالت أم هانئ رضى الله تعالى عنها : كنا نسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل وأنا على عريشى .

رواه ابن ماجه[2] .

وقال البراء رضى الله تعالى عنه : قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى العِشاء « والتين والزيتون » فلم أسمع صوتا أحسَن منه .

متفق عليه[3] .

وقالت أم مَعْبَد رضى الله تعالى عنها : كان فى صوته صلى الله عليه وسلم صَحَلٌ .

رواه ابن عساكر وغيره[4] .

[تفسير الغريب]

العواتق : جمع عاتق يقال : عَتَقت الجاريةُ عن خدمة أبويها وعن أن يملكها زوجٌ فهى عاتق .

وفى البارع : العَاتق التى لم تَبِنْ عن أهلها والتى لم تتزوج .

---

(١) الخصائص ١٦٥/١ .

(٢) سنن ابن ماجة كتاب الإقامة باب رقم ١٧٩ . ومسند أحمد ٣٤٢/٦ ، ٣٤٣ والخصائص ١٦٥/١ .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير باب سورة « والتين » .

وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٧٧ .

(٤) تهذيب ابن عساكر ٤٢٦/١ . وقد سبق تخريج حديث أم معبد فى مواضع متفرقة من هذا الجزء .

وقال أبو زيد رحمه الله تعالى : هى التى أدركت ما لم تَعْنَس[1]. وقال الأصمعى : هى فوق المُعْصر[2].

صَحَل - بفتح الصاد والحاء المهملتين وباللام- شبه البُحَّة وهى غِلَظ الصوت . وفى رواية : صَهَل بالهاء بدل الحاء وهو قريب منه لأن الصهل صوت الفرس ، وهو يَصْهل بشدة وقوَّة .

وستأتى صفة كلامه صلى الله عليه وسلم فى أبواب آدابه .

---

(١) عنست الجارية - كسمع ونصر وضرب - عنوسا وعناسا : طال مكثها فى أهلها بعد إدراكها حتى خرجت من عداد الأبكار ولم تتزوج قط . (القاموس المحيط) .

(٢) المعصر : التى ادركت وبلغت شبابها .

الباب الثانى والعشرون

فى فصاحته صلى الله عليه وسلم

الفصاحة لغةً : البيانُ .

واصطلاحاً : خلوصُ الكلام من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد .

هذا باعتبار المعنى . وأمّا باعتبار اللفظ فهى كونه على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدْوَر[1] واستعمالهم له أكثر.

والفرق بينها وبين البلاغة : أن الفصاحة يوصف بها المفرد والكلام والمتكلم ، والبلاغة يوصف بها الأخيران فقط .

ففصاحة المفرد : خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس .

وفصاحة الكلام : خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد .

وبلاغته : مطابقته لمقتضَى الحال مع فصاحته .

وفصاحة المتكلم : ملكة يقْتدر بها على التعبير عن المقصود . وبلاغته : ملكة يقتدرُ بها على وجوه تأليف الكلام البليغ . فالبلاغة أخصُّ مطلقًا ، فكلٌّ بليغ فصيح ولا عكس ، والبليغ الذى يَبْلغ بعبارته كُنْه ضميره .

وقال الإمام العلامة أبو سليمان أحمد الخطابى رحمه الله تعالى: اعلم أن الله تعالى لمّا وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعَ البلاغ[2] من وَحْيه ونصَبه منصب البيان لدينه اختار له من اللغات أعْذَبها[3] ومن الألسن أفصحها وأبْينها، ثم أمدَّه بجَوامع الكَلِم التى جعلها رِدْءًا

(١) غير ط : إذا ورد استعمالهم له .

(٢) ط ، ص : موضع البلاغة . وما أثبته من ت ، م .

(٣) ط : أعربها .

لنبوّته وعلّما لرسالته ، لينتظم فىالقليل منها عِلْمٌ كثير يسهل على السامعين حفظه ولا يَئُودهم حَمْله ، ومن تتبع الجوامع من كلامه صلى الله عليه وسلم لم يَعْدَم بيانها .

وقال الإمام أبو السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير رحمهم الله تعالى فى أول النهاية : قد عرفت أيّدك الله تعالى وإيانا بلطفه وتوفيقه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصحَ العرب لسانا وأوضحَهم بيانا وأعذبهم نطْقًا وأسَدَّهم لفظًا وأبْيَنَهم لَهْجة وأقومَهم حُجة ، وأعْرفهم بمواقع الخطاب وأهداهم إلى طريق[1] الصواب ، تأييدًا إلَهيًّا ولفظا سَمائِيًّا وعناية ربانية ورعاية رُوحانية ، حتى لقد قال له عليٌّ رضى الله تعالى عنه وسَمِعه يخاطب وفد بنى نَهْد : يا رسول الله نحن بنو أبٍ واحدٍ ، ونراك تكلم وفودَ العرب بما لا نَفْهم أكثره فقال : «أدّبنى ربى فأحسن تأديبى وربِّيت فى بنى سعد» .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب العربَ[2] على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم يخاطب كلاًّ منهم بما يفهمون ويحادثهم بما يَعْلمون ، ولذلك قال صدّق الله تعالى قوله : «أمرت أن أخاطب النّاسَ على قَدْر عقولهم» فكأن الله تعالى قد أعْلمه ما لم يكن يعلمه غيره من بنى أبيه وجمع فيه ما تفرّق[3] ولم يوجد فى قاصى العرب ودانيه ، وكان أصحابه رضى الله تعالى عنهم ومن يفد إليه من العرب يعرفون أكثر ما يقوله وما جهلوه يسألونه عنه فيوضحه لهم .

قلت : قوله : «ولذلك قال : أُمِرتُ أن أُخاطِب النّاسَ على قَدْر عقولهم» .

رواه الحسن بن سفيان فى مسنده بسند ضعيف وله طرق تقوّيه .

وقال القاضى أبو الفضل عِيَاض رحمه الله تعالى : وأمّا فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحلّ الأفضل والموضع الذى لا يُجْهَل ، سَلاسة[4] طَبْع وبراعة مَنْزع وإيجاز مَقْطع ونَصاعة[5] لفظ وجَزالة[6] قولٍ وصحة معانٍ وقِلة تكلُّف ، أوتى

---

(١) ط : طرق .

(٢) ص ، ت ، م : يخاطب ألوفا . وما أثبته من ط .

(٣) ص : ما لا يعرف . وفى ت م : ما يعرف . وأظنه محرفا . وما أثبته .

(٤) ت ، م : سلامة طبع .

(٥) كذا فى ط موافقا للشفاء . وفى غيرها : وفصاحة لفظ .

(٦) ص : وحلاوة قول .

صلى الله عليه وسلم جوامعَ الكلم وخُصّ ببدائع الحكم وعَلِم ألسنة العرب ، يخاطب كلّ أمة بلسانها ويُحَاوِرها بلغتها[1] ويُبَارِيها فى مَنْزِع بلاغتها ، حتى كان كثير من أصحابه صلى الله عليه وسلم يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله ، من تأمّلَ حديثَه وسِيرَه[2] عَلِم ذلك وتحقَّقه[3] .

ففصاحة[4] لسانه صلى الله عليه وسلم غاية لا يدرك مدَاها ومنزلَة لا يدانى منتهاها وكيف يكون ذلك وقد جعل الله تعالى لسانَه سيفًا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو إليه عبادَه، فهو ينطق بحكمة عن أمره ، ويبين عن مراده بحقيقة[5] ذكره ، أفصح خلْق الله إذا لفظ وأنصحهم إذا وعظ ، لا يقول هُجْرا ولا ينطق هَذَرًا ، كلامه كله يُثْمر عِلْما ويُمْتَثل شرعا وحُكْما لا يتفوّه بشرٌ بكلام أحكم منه فى مقالته ولا أجْزَل منه فى عذوبته ، وخليقٌ بمن عبّر عن مراد الله بلسانه وأقام[6] الحجة على عباده ببيانه ، وبيّن مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ، أن يكون أحْكَم الخلق تِبْيانا وأفصحهم لسانا وأوضحهم بيَانًا ، وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته إلى شاهد ولا ينكرها موافقٌ ولا معاند .

* * *

قال القاضى رحمه الله تعالى : أمّا كلامه المعتاد وفصاحته المعلُومة وجوامع حِكَمه المأثورة فقد ألّف الناس فيها الدواوين وجُمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب . ومنها ما لا يُوازَى فصاحةً ولا يبارى بلاغةً . كقوله صلى الله عليه وسلم : «المسلمون تتكافأُ دماؤهم ويَسْعى بذمتهم أدْناهم وهم يدٌ على من سواهم» .

رواه أبو داود والنسائى عن على رضى الله تعالى عنه[7] .

---

(١) ص : بلغاتها .   (٢) فى نسخة من الشفاء : وسِيَره .

(٣) إلى هنا انتهى كلام القاضى عياض فى الشفاء ص ٥٨ (الطبعة العثمانية) وبعده فى ت م فقط :

ينظم ذا الشعر نثر بقـوله   فأحسنه فى نثره ونظامه

يناجى منجى من يناجى فى الجوى   وكل علم يرود فى كلامه

ولم ترد فى ط ، ص . ولعلها مقحمة محرفة .

(٤) ت م ص : فقد أوتى لسانه صلى الله عليه وسلم . وما أثبته من ط .

(٥) كذا فى ط وفى بقية النسخ : تحقيق ذكره .

(٦) ط : وأقام به الحجة .

(٧) سنن أبى داود كتاب الديات باب ١١ وكتاب الجهاد باب ١٤٧ .
وسنن ابن ماجة كتاب الديات باب ٣١ . ومسند أحمد ٢/١٨٠ ، ١٩٢ .

«المسلمون[1] كأسنان المشط» .

ابن لآل فى مكارم الأخلاق عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه .

«المرءُ مع من أحبَّ» .

الشيخان عن أنس رضى الله تعالى عنه[2] .

«لا خَيْرَ فى صُحْبَة من لا يرى لك مثلَ ما ترى له» .

ابن عَدِىّ عن أنس رضى الله تعالى عنه .

«الناسُ معادن كمعادن الذهب والفضة ، خِيَارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فَقِهوا» .

الشيخان عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه[3]

« ما هلك امرؤٌ عَرف قَدْر نفسه » .

ابن السمعانى فى تاريخه عن على رضى الله تعالى عنه .

« المستشار مُؤْتمن ، وهو بالخيار إن شاء تكلم وإن شاء سكت » .

أحمد عن أبى[4] مسعود عُقْبة بن عمرو[5] وصَدره عند الأربعة عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

« رحم الله عبدًا قال خيرًا فغَنِم أو سكَت عن شر فسَلِم » .

أبو الشيخ فى الثواب عن أبى أمامة والدَّيْلمىّ عن أنس رضى الله تعالى عنهما .

«أَسْلم تَسْلم يُؤْتك الله أجرَك مرتين » .

الشيخان فى قصة هرقل[6] .

---

(1) ط : الناس كأسنان المشط .

(2) صحيح البخارى كتاب الأدب باب ٩٦ . وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ١٦٥ .

(3) صحيح البخارى كتاب الأنبياء وكتاب المناقب وكتاب التفسير وصحيح مسلم كتاب الفضائل حديث رقم ١٦٨ .

(4) كذا فى ط وفى بقية النسخ : عن ابن مسعود .

(5) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة ، أبو مسعود الأنصارى من بنى الحارث بن الخزرج ، وهو مشهور بكنيته ويعرف بأبى مسعود البدرى لأنه رضى الله عنه كان يسكن بدرا . الاستيعاب ١٠٧٤/٣ .

(6) صحيح البخارى كتاب بدء الوحى وصحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ٧٤ . وكتاب الجهاد ، وكتاب التفسير .

«إن أحبكم[1] إلىّ وأقربكم منى مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطأون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون» .

الترمذى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه[2] .

«لعله كان يتكلم بما لا[3] يَعْنيه ويبخل بما لا يُغنيه» .

البيهقى فى الشُّعَب عن أنس رضى الله تعالى عنه والترمذى نحوه[4] .

«ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا» .

أبو داود بلفظ : ذو الوجهين فى الدنيا ذو لسانين فى النار[5]

نَهْيه عن قِيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنَع وهات ، وعقوق الأُمّهات ووأدِ البنات» .

رواه الشيخان[6] » .

اتّقِ الله حيثما كنت[7] وأتبع السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها وخالِق النَّاس بخُلق حسن » .

رواه الإمام أحمد وغيره عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه[8] .

«خير الأُمور أوساطها» .

ابن السمعانى فى الذيل عن على .

«أحْبِبْ حبيبَك هَوْنًا ما فعسى أن يكون بغيضك يومًا ما» .

البخارى فى الأدب المفرد والترمذى[9] عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه .

---

(١) ت م : إن أدناكم .

(٢) صحيح الترمذى كتاب البر ، باب رقم ٧١ .

(٣) ص ، ت ، م : فيما .

(٤) سنن الترمذى كتاب الزهد باب ١١ ولفظه : أو بخل بما لا ينقصه .

(٥) سنن أبى داود كتاب الأدب باب ٣٤ .

(٦) صحيح البخارى كتاب الرقاق باب ٢٢ وكتاب الزكاة باب ٥٣ وصحيح مسلم كتاب الأقضية حديث رقم ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ .

(٧) ص : حيث كنت .

(٨) مسند الإمام أحمد ٥/٣ . وسنن الترمذى كتاب البر باب ٥٥ ، وسنن الدارمى كتاب الرقاق .

(٩) صحيح الترمذى كتاب البر باب ٦٠ .

«الظُّلْم ظلمات يومَ القيامة .

البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما[1] .

« اللهم إنى أسأَلك رحمةً تَهْدى بها قلبى وتجمع بها شَمْلى وتَلُمُّ بها شعَثى وتُصْلح بها غائبى وترفع بها شاهِدى وتزكّى بها عملى وتُلْهمنى بها رُشْدى وتردّ بها أُلْفَتى وتعصمنى بها من كل سوء ، اللهم إنى أسأَلك الفَوْز فى القضاء ومنازل[2] الشهداءِ وعيش السّعداء والنَّصْر على الأَعداءِ » .

الترمذى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما[3] .

إلى غير ذلك ممّا روته الكافةُ عن الكافة من مقاماته صلى الله عليه وسلم ومحاضراته وخطبه وأَدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبةً لا يقاس بها غيره وحاز منها سبقًا لا يُقْدَر قَدْره .

* * *

وقد جَمعْتُ من كلماته صلى الله عليه وسلم التى لم يُسْبق إليها ولا يَقْدر أَحد أَن يُفْرِغ فى قالبه عليها كقوله صلى الله عليه وسلم «حَمِىَ الوطيس» قاله صلى الله عليه وسلم يوم حنين .

مُسْلم عن جابر رضى الله تعالى عنه[4] .

« مات حَتْف أنفه » .

البيهقى عن عبد الله بن عتيك رضى الله تعالى عنه . وقال : والله إنها كلمة ما سمعتها من أحدٍ من العرب قبلَه صلى الله عليه وسلم .

«لا يُلْدَغ المؤمن من جُحْرٍ مرتين » .

البخارى عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما[5] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب المظالم باب ٨ .

(٢) ط : ونزل .

(٣) صحيح الترمذى كتاب الدعاء باب ٣٠ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ٧٦ . هذا وتخريج هذه الأحاديث ليس من كلام القاضى عياض فى الشفاء ، وإنما هو من المصنف .

(٥) صحيح البخارى كتاب الأدب باب ٨٣ وصحيح مسلم كتاب الزهد حديث رقم ٦٣ .

«السعيدُ مَنْ وعِظ بغيره» .

الدَّيْلمى عن عُقْبة بن عامر القضاعى عن ابن مسعود مرفوعًا . ومُسْلم عن ابن مسعود موقوفًا وزاد : والشقىُّ من شَقِى فى بطن أمه[1] » .

هذا ماذكره القاضى[2] .

وزاد الثعالبىّ : كلُّ الصَّيْد فى جَوْف الفِرا» الرامهُرْمزى فى الأمثال عن[3] وهو مُرْسَل سنده جيد .

«لا يَنْتطح فيها عَنْزان» .

« هُدْنة على دَخن» .

«جَماعة على قَذى» .

« إنَّ المُنْبَتَّ لا أرضًا قَطَع ولا ظهرًا أبْقَى» .

« نُصِرتُ بالرُّعب» .

«أوتيت جوامعَ الكَلِم» .

«إنَّ مِمَّا أنبَتَ الربيعُ [4]يَقْتل حَبطا أو يُلمّ» .

رواه البخارى[5] .

قال ابن دُرَيْد : إنه من الكلام الفَرْد الوجيز الذى لم يُسْبق إلى مثله[6] .

«الإيمانُ قَيَّد الفَتْكَ »[7] .

« يا خَيْل الله اركبى » .

«اشتدّى أزْمةُ تَنْفرجى» انتهى .

---

(١) صحيح مسلم كتاب القدر حديث رقم ٣ .

(٢) الشفا للقاضى عياض ص ٦٠ – ٦١ .

(٣) بياض بالأصول .

(٤) ط : البقل :

(٥) صحيح البخارى كتاب الجهاد باب ٣٧ وكتاب الرقاق باب ٧ وصحيح مسلم كتاب الزكاة ، حديث ١٢١ .

(٦) ط : إلى معناه .

(٧) سنن أبى داود كتاب الجهاد باب ١٥٧ ومسند أحمد ٩٢/٤ .

قال القاضي : إلى غير ذلك مما يدرك الناظر العجب فى مُضَمَّنها ويذهب به الفكر فى أدنَى[1] حِكَمها .

وقال أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه : قال النبى صلى الله عليه وسلم «أنا النبىُّ لا كَذِب أنا ابن عبد المطلب أنا أعْرَب العرب ولدتنى قريش ونشأْت فى بنى سعد بن بكر ، فأنَّى يأْتينى اللحن» .

رواه أبو الحسن ابن الضحاك[2] .

وقد قال له أصحابه فيما رواه ابن أبى حاتم والبيهقى عن محمد بن إبراهيم التَّيْمى العسكرى والرامهُرْمزى معا فى الأمثال عنه عن أبيه عن جده قال : ما رأينا الذى هو أفصح منك . فقال : «ومايمنعنى وإنما أُنزل القرآن بلسانى لسان[3]عربى مبين وإنى من قريش ونشأْت فى بنى سعد بن بكر[4]» .

قال : فجمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وفصاحة[5] ألفاظ الحاضرة ورَوْنق كلامها .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : يا رسول الله ما لَكَ أفْصَحنا ولم تَخْرج من بين أظْهُرنا ؟ قال : «كانت لغة إسماعيل قد درست فجاءَ بها جبريل فحفظتها[6]» .

رواه أبو نعيم والبيهقى[7] .

وقالت برَّة [8] بنت عامر الثقفية سيِّدة نساء قوْمها لإخوتها : يا بنى عامر أفيكم من أبصر محمدًا صلىَّ الله عليه وسلم ؟ فقالوا : كلُّنا قد رأيناه أيام الموْسِم . فقالت : أفيكم من سمعه

---

(١) الشفا : فى أدانى حكمها .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٥٨ وذكر أن الطبرانى أخرجه .

(٣) ص ، ت ، م : بلسان عربى .

(٤) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان وابن أبى الدنيا فى كتاب المطر وابن أبى حاتم والخطيب فى كتاب النجوم وابن عساكر . الخصائص الكبرى ١/١٥٨ .

(٥) ط : ونصاعة ألفاظ .

(٦) ط : فحفظنيها .

(٧) الخصائص الكبرى ١/١٥٧ .

(٨) ط : مرة .

يتكلم ؟ قالوا : نعم . فقالت : كيف هو فى فصاحته ؟ قالوا يا أُختاه إن أَقْبح مَثالب العرب الكذِب ، أمّا فصاحته فما ولدت العربُ فيما مضى ولا تلد فيا بَقَى أفصح منه ولا أَذْرَب منه إذا تكلم يُعْجز اللبيبَ كلامَه ويخرس الخطيبَ خطَابه .

رواه أبو الحسن أحمد بن عبد الله محمد البكرى فى كتابه « أُنْس الواحش وريّ العاطش » .

وقال محمد بن عبد الرحمن الزُّهْرى عن أبيه عن جدّه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَيُدَالك الرجلُ امرأته ؟ قال : نعم . إذا كان مُلْقِحًا . فقال له أبو بكر : يا رسول الله لقد طُفْت فى العربَ وسمعت فِصَاحهم[1] فما سمعت أفصح منك .فقال : أَدَّبنى ربي ونشأْت فى بنى سعد بن بكر .

رواه ابن عساكر[2] » .

دالكه : ماطَله .

مُلْقحًا – بضم الميم وفتح القاف اسم فاعل من أَلْقَح الرجلُ فهو مُلْقِح إذا كان فقيراً . وهو غير مَقِيس . قاله فى القاموس . وقال غيره : معناه أيداعب الرجل امرأته يعنى قبل الجماع وسمّاه مَطْلا لكون غرضها الجماع – قال : إذا كان عاجزا فيكون ذلك محركاً لشهوته ولعجزه يسمىّ مُفْلسًا .

وقال زكريا بن يحيي بن يزيد السَّعْدى رحمه الله تعالى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنا أَعْرَبُ العربِ ولِدْتُ فى قريش ونشأْت فى بنى سَعْد فأَنّى يأْتينى اللحن »

رواه ابن سعد[3] .

---

(١) فصاحتهم .

(٢) الخصائص الكبرى ١/١٥٨ .

(٣) لم أجده فى طبقات ابن سعد فى باب نسبه ولا فى باب رضاعه ولا فى باب صفة كلامه . ويبدو أن المؤلف لم ينقله عن ابن سعد مباشرة وإنما نقله عن السيوطى فى الخصائص ، إذ أن السيوطى كان شيخه وهو ينقل عنه أكثر ما فى كتابه . والذى فى الخصائص : وأخرج ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعربكم أنا من قريش ولسانى لسان بنى سعد بن بكر » .

ثم قال : « وأخرج الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا أعرب العرب ولدت فى قريش » إلخ . فلعل هنا سقطا فى الأصل .

وقال بُرَيْدة رضى الله تعالى عنه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح الناس وكان يتكلم بالكلام لا يَدْرون ما هو حتى يخبرهم » رواه أبو الحسن ابن الضحاك وابن الجوْزى[1]

[معرفته صلى الله عليه وسلم بلهجات العرب]

وليس كلامه صلى الله عليه وسلم مع قريش والأنصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع غيرهم ، فانظرِ دعاوه صلى الله عليه وسلم لبنى[2] نَهْد وقد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم فى جملة الوفود فقام طهفة ابن رهْم النَّهْدى يشكو الجدْب فقال : أتيناك يا رسول الله من غَوْر تهامة بأكوار المِيس ترتمى بها العِيس ، نَسْتحْلب الصَّبِير ، ونَسْتَجْلِب الخَبِير ونَسْتعضِد البَرِير ، ونَسْتخيل الرِّهَام ، ونَسْتجيل الجهَام ، من أرض غائِلة[3] النِّطَاء ، غليظة الوِطَاء ، قد نَشف المُدْهُن ويَبِسَ الجِعْثِن ، وسقط الأملوج ، ومات العُسْلُوج ، وهلك الهَدِىّ ، ومات الوَدِىّ ، برِئْنا إليك يا رسول الله من الوثن ، والعَنَن ، وما يحدث به الزمن ، لنا دعوة السلام . وشريعة الإسلام ، ماطمًا البحر ، وقام يَعار ، وكنا نَعَم هَمَل أغفال . ما تبل بَبلَال .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم بارِكْ لهم فى مَحْضها ومَخْضها ومَذْقها . وابعث رعاتها[4] فى الدّثْر بيانع الثّمر وافْجُر لهم الثّمد ، وبارك لهم فى المال والولد ، مِن أقام الصلاة ، كان مسلما ، ومن آتى الزكاة كان مُحْسنا ، ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مُخْلصا ، لكم يا بنى نَهْد ودائع الشِّرْك ووضائع الملك لا تُلْطِطْ فى الزكاة ولا تُلْحِد فى الحياة ولا تَثَاقل عن الصَّلاة » .

ثم كتب معهم كتابا إلى بنى نهد : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بنى نهدبن زيد : السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله . لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارِض والفَرِيش . وذو العِنان الرَّكُوب والفلق الضَّبِيس ، لا يُمْنع سَرْحكم ، ولا يُعْضَد طَلْحكم ، ولا يُحْبس دَرّكم ، ما لم تُضْمِروا الرِّمَاق . وفى لفظ : الأرماق .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ص ٤٥٦ .
(٢) ص ، ت ، م : بنى نهد .
(٣) ط : عسالية .
(٤) ط : راعيها .

وتأكلوا الرِّبَاق ، من أقرَّ بما فى هذا الكتاب ، فله من الله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن أبَىَ فعليه الرِّبْوة

رواه أبو نعيم فى المعرفة والدَّيْلمى فى مسند الفردوس عن عمران بن حصين ، وأبو نعيم عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنهم مختصراً[١]

وكتابه صلى الله عليه وسلم لذى الْمِشْفَار[٢] مالك بن نمط[٣] لما لقيه وفد هَمْدان مَقْدَمَه من تبوك فقال مالك بن نمط : يا رسول الله نَصِيَّةٌ من هَمْدان ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قُلُص نَوَاج ، متصلة بحبَائل الإسلام ، لا تأخذهم فى الله لومةُ لائم ، من مِخْلاف خارِف ويام ، لا يُنْقَض عَهْدُهم عن سُنَّة ماحِل ، ولا سوداء عَنْقَفير ، ما أقام[٤] لَعْلَع ، وما جَرى يَعْفورٌ بصَلَّع

فكتب إليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « هذا كتابٌ من محمد رسول الله لمِخْلاف خارف وأهل جِنَاب الهَضْب وحِقَاف الرَّمْل ، مع وافدهَا ذى المعشار مالك بن نمط ومن أسلَم من قومه ، على أن لهم فِرَاعها ووِهَاطَها وعِزَازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون عِلاَفها ويرعون عَفَاءهَا لنا من دِفْئِهم وصِرَامهم ما سلَّموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصَّدقة الثَّلْبُ والناب والفَصِيل والفارِض والداجن[٥] والكبش الحَوَرِىّ ، وعليهم فيه الصالغ[٦] والقارح .

رواه أبو القاسم الزجَّاجى فى أماليه عن[٧] . . . مُعْضَلا .

* * *

(١) الشفا للقاضى عياض ٥٨ .
(٢) ط ، لذى المشار . وانظر ضبط المؤلف للكلمة ص ١٤٧ .
(٣) ط : ابن نبط .
(٤) ط : ما قام .
(٥) ص : الفسيل الداجن . ولم يرد فى تفسير الغريب ذكر لكلمة الفسيل .
(٦) ط : الضارع . وص ، ت ، م : الصابغ وما أثبته من تنبيهات المصنف الآتية بعد .
(٧) بياض بالأصول .

لأدعوهم إلى الله تعالى قلن : فادعهم ولا تجعل عبدَ العُزّى فيهم – يعنى أبا لهب ، فإنه غير مُجيبك إلى ما تدعوه إليه . وخرجن من عنده فلما أصبح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى عبد المطلب فحضروا ومعهم عدة من بنى عبد مناف وجميعهم خمسة وأربعون رجلا وسارع إليه أبو لهب وهو يظن أنه يريد أن يَنْزع عما يكرهون إلى ما يحبّون ، فلما اجتمعوا قال أبو لهب : هؤلاء عُمومتك وبنو عمك فتكلّم بما تريد ودع الصلاة ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة وإن أحبَّ من أخذك فحبسَك أسرتُك وبنو أبيك إن أقمتَ على أمرك فهو أيْسَر عليهم من أن يَثب بك بطونُ قريش وتُمدّها العرب ، فما رأيتُ يابن أخى أحدا قط جاء بنى أبيه وقومَه بشرٌ مما جئتَهم به .

فأسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يتكلم فى ذلك المجلس ومكث أياما وكثُر عليه كلامُ أبى لهب ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فأمره بإمضاء ما أمره الله به وشجَّعه عليه ، فجمعهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثانيةً فقال : الحمد لله أحمده وأستعينه وأومن به وأتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . ثم قال : إن الرائد لا يَكْذب أهلَه والله لو كَذَبْتُ الناسَ جميعًا ما كذَبْتكم ولو غَرَرْتُ الناسَ ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إنى لرسول الله إليكم خاصةً وإلى الناس كافة ، والله لَتموتن كما تنامون ولُتبعثن كما تستيقظون ولَتحاسَبُنَّ بما تعملون ، ولَتُجْزَونَّ بالإحسان إحسانا وبالسوء سوءا وإنها للجنة أبدا أو النار أبدا ، وإنكم لأول من أُنْذر ، ومَثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهلَه فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه . فقال أبو طالب : ما أحبَّ إلينا معاونتك ومُرَافدتك وأقبَلنا لنصحك وأشد تصديقنا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم ، غير أنى والله أسْرَعهم إلى ما تحب فامضِ لما أُمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك ، غير أنى لا أجد نفسى تطوّع إلى فراق دين عبد المطلب حتى أموت على ما مات عليه .

وتكلم القومُ كلاما ليِّنا غير أبى لهب فإنه قال : يا بنى عبد المطلب هذه والله السَّوءة خُذوا على يديه قبل أن يأخذ على يديه غيرُكم فإن أسْلمتموه حينئذ ذلَلْتم وإن منعتموه قُتلتم . فقال أبو طالب : والله لَنَمنعَنّه ما بقينا .

وقالت صفية بنت عبد المطلب لأبى لهب : أى أخى أيحسن بك خُذْلان ابن أخيك وإسلامه ؟ فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضِئضئ عبدِ المطلب نَبِىٌّ فهو هو .فقال: هذا والله الباطل والأمانى وكلام النساء فى الحِجَال ، إذا قامت بطون قريش كلها وقامت معها العرب فما قوّتنا بهم ؟ فوالله ما نحن عندهم إلا إكْلَة رأس[1] .

وروى الشيخان والبلاذرىّ عن ابن عباس ، والشيخان عن أبى هريرة ، ومسلم عن قَبِيصة ابن المخارق رضى الله عنهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه « وأنذر عشيرتك الأقربين » قام على الصَّفَا فعَلا أعْلاها حَجرا ثم نادى : يا صباحاه . فقالوا: من هذا ؟ وجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج يُرسل[2] رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا إليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنْ أخبرتكم أن خَيْلا تخرج من سَفْح هذا الجبل تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدِّقىَّ ؟ قالوا : ما جرَّبنا عليك كذبا .

فقال : يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار ، فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أُغْنى عنكم من الله شيئًا ، يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئًا ، يا عباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنقذ نفسك من النار فإنى لا أغنى عنك من الله شيئًا ، ياصفية عمة محمد ، ويا فاطمة بنت محمد أنقذا أنفسكما من النار فإنى لا أملك لكما من الله شيئًا ، غير أن لكما رحما سأبلّها ببَلاَلها ، إنى لكم نذيرٌ بَيْن يدَىْ عذابٍ شديد .

فقال أبو لهب : تبًّا لك سائرَ اليوم ألهذا جمعتنا ؟

فنزلت : « تبت يَدا أبى لهب »[3] إلى آخرها .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شابًّا من العرب جاء قومَه بأفضل مما جئتكم به إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة .

---

(١) أنساب الأشراف ١١٨/١ – ١١٩ .

(٢) ت ، م : أرسل .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة المسد) . وصحيح مسلم كتاب الفتن حديث رقم ٩١ . ومسند أحمد ٩٧٠٤٣/٣ وأنساب الأشراف للبلاذرى ١١٩/١ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

وروى ابن سعد والبيهقى وأبو نعيم عن على وأبو نعيم عن البرَاء بن عازب رضى الله عنهم قال : لما نزلت : « وأنذر عشيرتك الأقْرَبين » على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا على اصنع لنا رجْل شاة على صَاع من طعام . وفى رواية : مُدّ . وأعدَّ لنا عُسّ لبنٍ ثم اجمع بنى عبد المطلب .

قال علىّ : ففعلت، فاجتمعوا له وهو يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه ، منهم أعمامه أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ، فقدّمت إليهم تلك الجَفْنة ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها حُذْية فشقّها بأسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال : كلوا باسم الله . فأكل القوم حتى نَهلوا عنه ما ترى إلا آثار أصابعهم ، والله إن كان الرجل الواحد ليأْكل مثل ما قدّمتُ لجميعهم . ثم قال: اسق القومَ ، فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتى رَوُوا جميعا ، والله إنْ كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثلَه . وفى رواية من يأْكل المسِنَّة ويشرب العُسّ .

فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدَره أبو لهب إلى الكلام فقال: لَهدَّ ما سحَركم صاحبكم . فتفرقوا ولم يكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كان الغد قال يا علىّ عُدْ لنا بمثل الذى صنعت بالأمس من الطعام والشراب ففعلت ثم جمعتهم إليه فصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صنع بالأمس فأكلوا وشربوا حتى نهلوا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بنى عبد المطلب ، والله ما أعلم شابًّا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به ، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة . ثم قال : من يؤازرنى على ما أنا عليه ؟ قال على : فقلت : أنا يا رسول الله وإنى أحْدَثهم سِنًّا وسكت القوم . ثم قالوا : يا أبا طالب ألا ترى ابنَك . قال : دعوه فلن يَألوا ابنَ عمه خَيرا[1] .

---

(١) طبقات ابن سعد ١/١٨٧ . مختصرا . والوفا لابن الجوزى ١/١٨٤ .

تنبيه

فى بيان غريب ما سبق .

يُبادى : قال فى النور : الظاهر أنه بالموحدة أى يجاهر .

ضاق به ذَرْعا : يقال ضاق بالأمر ذَرْعًا أى عجز عن احتماله، وذَرْع الإنسان: طاقته التى يَبْلغها .

أُسْرة الرجل : وِزَان غُرْفة : رَهْطه .

يَرْبأ أهله ، بمثناة تحتية فراء فباء موحدة فهمزة ، يقال ربأْت القوم أربؤهم رَبْأً : كنت طليعةً لهم فوق شرف خوفًا أن يكبسهم العدوّ على غِرَّة .

الحُذَيَّة : تصغير حُذْوة بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الذال المعجمة : القطعة من اللحم . وقيل : إذا كسرت الحاء كانت بمعنى أن يقطع اللحم طولا .

المُسنة : الشاة التى سقطت ثناياها .

العُسّ : بضم العين وبالسين المهملة المشددة : القدح الكبير .

نهَلوا : بنون : أى شربوا حتى رَوُوا .

لَهَدّ : بفتح اللام والهاء والدال المهملة المشددة : كلمة يُتعجب بها ، فيقال : لهَدَّ الرجل أى ما أجلدَه ،ويقال إنه لَهدّ الرجل ، أى لنعم الرجل وذلك إذا أُثنى عليه لجَلَدِه وشدة بأسه . واللام فيه للتأكيد والمعنى هنا : لنعم ما سَحركم به .

الباب السابع

فى مشى قريش إلى أبى طالب
ليكف عنهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

قال الزُّهْرى وابن إسحاق : فلما بادَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قومَه بالإسلام وصدعَ به كما أمره الله لم يَبْعَد منه قومُه ولم يردُّوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وَعَابَها .

قال العُتقى : وكان ذلك سنة أربع .

فلما فعل ذلك أَعْظَموه وناكَروه وأجمعوا لخلافه وعداوته إلا من عَصم الله تعالى منهم بالإسلام وهم قليل مُسْتَخْفون .

وحَدِب على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومَنعه وقام دونَه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهرًا لأمره لا يردُّه عنه شيء .

فلما رأت قريشٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتِبهم من شيء أنكروه عليه من فِراقهم وعَيْب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِب عليه وقام دونه ولم يُسْلمه لهم ، مشى رجالٌ من أشرافهم إلى أبى طالب فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا وعابَ دِيننا وسفَّه أحلامنا وضلَّل آباءنا فإما أن تكفَّه وإما أن تخلِّىَ بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه . فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردَّهم ردًّا جميلا. فانصرفوا عنه .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يُظْهر دِين الله ويدعو إليه ثم شَرِى الأَمرُ بينه وبينهم حتى تباعدَ الرجالُ وتضاغنُوا وأكثرت قريش من ذِكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتذامَروا فيه وحضَّ بعضُهم بعضًا عليه .

ثم إنهم مشوا إلى أبى طالب مرة أخرى فقالوا له : يا أبا طالب إن لك سِنًّا وإن لك شرفًا ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهَيْناك من ابن أخيك فلم تَنْهه عنَّا وإنا والله لا نصبر على

هذا من شَتْم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعَيْب آلهتنا حتى تكفَّه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين . أو كما قالوا له . ثم انصرفوا عنه .

فَعظُم على أبى طالب فراقُ قومه وعداوتهم ولم يطبْ نفسًا بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ولا خِذْلانه ، فأرسل خلفه فقال : يا بن أخى إن قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا وكذا . للذى كانوا قالوا له . فأبْقِ على نفسك وعلىَّ ولا تحمِّلنى من الأمر ما لا أطيق .

فظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدا لعمِّه فيه بدَاء وأنه خاذِله ومُسْلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمّ والله لو وضعوا الشمسَ فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهْلِك فيه ما تركته ثم استعبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فلما ولَّى ناداه أبو طالب : اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسْلمك لشىء أبدا . ثم قال أبو طالب :

والله لن يَصِلوا إليك بجَمْعهم … حتى أوسَّد فى التراب دَفِينَا
فامضِى[1] لأمرك ماعليك غَضاضةٌ … وابْشر وقرّ بذاك منك عُيونا
ودعوتَنى وزعمتَ أنك ناصحى … فلقد صَدقتَ وكنت ثَمَّ أمينَا
لولا الملامةُ أو حِذَارى سُبَّة … لوجَدْتنى سمحاً بذاك مُبينا

قال فى الرَّوْض : خصَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الشمسَ باليمين لأنها الآية المبصرة وخصَّ القمر بالشمال لأنه الآية الممحوّة ، وخص صلى الله عليه وسلم النيِّرين حين ضرب المثل بهما لأن نورهما محسوس ، فالنور الذى جاء به من عند الله ، وهو الذى أرادوه على تركه ، هو أشرف لا محالة من النور المذكور . قال الله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نورَ الله بأفواههم ويأبى اللهُ إلاَّ أن يتم نوره »[2] فاقتضت بلاغة النبوّة لمّا أرادوه على ترك النور الأعلى أن يقابله بالنور الأدنى وأن يخص أعلَى النيرين وهى الآية المبصِرة بأشرف اليدين وهى اليمين ، بلاغةٌ لا مثلها وحكمة لا يجهل اللبيب فَضْلها . انتهى[3] .

* * *

(١) كذا بإثبات الياء للوزن .
(٢) التوبة : ٣٢
(٣) الروض الأنف ١/١٧٠ .

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبَىَ خِذْلانَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وإسلامَه ، وإجماعَه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم مشوا إليه بعُمَارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عُمَارة بن الوليد أنْهَد فتىً فى قريش وأَجْمَله ، فخذه فلك عَقْله ونَصْره واتخذه ولدًا فهو لك ، وأسلم إلينا ابنَ أخيك هذا الذى قد خالف ديننا ودين آبائِك وفرَّق جماعة قومك وسفَّه أحلامهم فنقتله فإنما هو رجلٌ برجل .

قال : والله لبئس ما تَسُومونني ! أتُعْطونى ابنكم أغْذُوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبدًا ، أرأيتم ناقةً تحِنّ إلى غير فَصِيلها ؟

فقال المُطْعِم بن عَدِىّ بن نوفل : والله يا أبا طالب لقد أنصفَك قومُك وجَهَدوا على التخلّص مما تَكْره ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا . فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعتَ خذلانى ومظاهرة القوم علىّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال . فحَقِب الأَمرُ وحَميت[1] الحربُ وتنابذَ القوم وبادَى بعضُهم بعضا .

فقال أبو طالب يعرِّض بالمطعم بن عدىّ ويعمّ من خَذله من بنى عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعدَ من أمرهم :

ألا قُـلْ لعمرٍ والوليـدِ ومُطْعِمٍ	ألا ليت حَظِّى من حِيَاطتكم بَكْرُ
من الخُور حَبْحَاب كثيرٌ رُغَـاؤه	يرشّ على الساقين من بوله قَطْـرُ
تخلَّف خَلْف الورْد ليس بلا حـقٍ	إذا ما علا الفَيْفاء قيل له وَبْـرُ
أرى أخَوَيْنـا من أبينا وأُمِّنـا	إذا سُئلا قالا إلى غيرنا الأمـر
بلى لهما أمـرٌ ولكن تجرْجَمـا	كما جَرْجمت من رأس ذى علق صَخْرُ
أخصّ خصوصًا عبدَ شَمس ونوفلاً	هما نَبذانا مثـل ما نُبذ الجَمْـر
هما أغْمـزَا للقـوم فى أخَوَيْهـما	فقـد أصبحا منهم أكفُّهما صِفْرُ
هما أشْرَكا فى المجد من لا أبَاله	من الناس إلا أن يرسّ لـه ذكر

(١) ت ، م : وقويت .

وتَـيْـم ومخـــزوم وزُهْـــرة منهم ... وكانوا لنــا مَوْلًى إذا بُغى النصرُ
فوالله لا تنفكّ منـــا عـــداوة ... ولا منهم ما كان من نَسْلنا شـفرُ

* * *

قال ابن إسحاق : ثم إن قريشا تذامَروا بينهم على من فى القبائِل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا ، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذِّبونهم ويَفْتنونهم عن دينهم ، ومنع الله تعالى رسولَه صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب .

وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوه إلى ما دعاهم إليه ، إلا ما كان من أبى لهب عدوّ الله الملعون .

فلما رأى أبو طالب من قومه ما سرَّه فى جدِّهم معه وحَدَبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر فضلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليَحْدِبوا معه على أمره فقال :

إذا اجتمعت يومًا قريشٌ لمفْخَرٍ ... فعبدُ منـاف سِـرُّهـا وصميمُهـا
وإن حصِّلت أشـرافُ عبدِ منافهـا ... ففى هـاشم أشرافهـا وقَديمُهـا
وإنْ فخـرتْ يومًـا فـإن محمدا ... هـو المصطفَى من سِـرِّهـا وكريمهـا
تداعت قريش غَثُّهـا وسَمِينهـا ... علينا فلم تظفـر وطاشَتْ حلومُهـا
وكنـا قديمـاً لا نقـر ظلاَمـة ... إذا ما ثنَـوْا صُعْر الخـدودِ نقيمها
ونَحْمِى حماهـا كلَّ يـوم كريهـة ... ونضرب عن أحجارهـا من يَرُومُها
بنـا انتعش العُـود الذواء وإنمـا ... بأكتافنا تَنْـدى وتنمى أرومُهـا

[تفسير الغريب]

حَدِب عليه ، بفتح الهاء وكسر الدال المهملتين فموحدة : أى عطف عليه ومنعه ، وأصل الحدب انحناء فى الظهر ، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورقَّ له .

لا يُعْتبهم : بضم أوله وكسر المثناة فوق : أى لا يرضيهم .

سفّه أحلامنا : بتشديد الفاء وبالهاء ، وهو فعل ماض ، أحلامنا مفعوله أى قال إنا قليلو العقل .

رَفِيقًا : براء ففاء فمثناة تحتية فقاف .

ثم شَرِى الأمر بينه وبينهم : بفتح الشين المعجمة فراء مكسورة فمثناة تحتية مفتوحة أى كثر وتزايد ، يقال شرى البَرْق يَشْرى إذا كثر لمعانه ويقال أشرى الرجل أيضا إذا غضب .

تضَاغَنُوا : تعادَوْا ، والضِّغْن : العداوة والحقد .

فتذامروا : بالذال المعجمة : أى حضّ بعضُهم بعضا على حَرْبه وعداوته .

استنهيناك : أى طلبنا منك أن تنهاه .

أو ننازِلَه وإياك أى : نحاربه وإياك .

يَهْلِك : بكسر اللام .

فأَبْق : بقطع الهمزة فموحدة ساكنة : فعل أمر : بَدا : بغير همز أى ظهر .

بَداء : بفتح الموحدة ممدودا : أى نشأ له فيه رأى .

استعبر : أى دمعت عيناه .

أوسِّد : أوضَع .

غضاضة : نقصان .

الملامَة : العَذْل .

السُّبّة بالضم : العار .

خذْلانه : أى تركه ونصرته .

إجماعه : عزمه .

بعُمارة : بضم العين وتخفيف الميم : كان من أجمل الناس وله قصة مع النجاشى .

أنْهَد فتى : بنون فهاء فدال مهملة : أى أشدّه وأقواه .

عَقْله بعين مهملة مفتوحة : أى دِيَته ، وأصله أن القاتل كان إذا قتل قتيلا جمع الدية من الإبل فعقَلها بفناء أولياء المقتول أى شدها فى عقلها ليسلمها إليهم .

تَسُومونى : تكلِّفونى . . أغْذُوه – بالغين والذال المعجمتين .

المطْعِم ، بكسر العين ، هلك كافرا قبل وقعة بدر .

المظاهَرة : بالظاء المعجمة المشالة : المعاونة .

ما بدالك : بغير همز أى ظهر .

فحِقب الأمر : بحاء مهملة فقاف مكسورة فموحدة : أى زاد واشتد .

وتنابذ القومُ بموحدة مفتوحة فذال معجمة أى تركوا ما كان بينهم من عَهْد .

قول أبى طالب : ألا ليت حظى من حفاظكم[1]: بكسر الحاء ، الحِفَاظ والحفيظة : الغضب . وقال بعضهم : لا يكون الحفاظ إلا فى الحرب خاصة .

قال أبو ذر : والقول الأول هو الصحيح . ويروى : من حِيَاطتكم وهى الحفظ .

البَكْر : الفتىّ من الإبل أى أنّ بكرًا من الإبل أنفعُ لى منكم ، فليته لى بدلا من حياطتكم .
الخُور : بضم الخاء المعجمة : جمع أخْوَر وهو الضعيف.

خَبْخاب : يروى بالخاء المعجمة وبالحاء المهملة وبالجيم . قال ابن السراج : الجبجاب بالجيم : الكثير الكلام فاستعاره هنا للرغاء ،والحبحاب –بالحاء المهملة : القصير . وبالخاء المعجمة : الضعيف .

الفَيْفاء : القَفْر .

الوِرْد بكسر الواو : المـاء الذى ترده الإبل .

والوَبْر : دُوَيّبة قَدْر الهر ، أى يشبِّه بالوبر لصغره . ويحتمل أن يكون أراد يصْغر فى العين لعلوّ المكان وبعده .

تجَرْجَما : بمثناة فوقية فجيم مفتوحتين فراء ساكنة فجيم : أى سقط وانحدر . يقال : تَجَرْجم الشىء إذا سقط .

---

(١) كذا والذى سبق فى الأبيات : من حياطتكم .

ذُو عَلَق : بعين مهملة فلام مفتوحتين فقاف : جبل فى ديار بنى أسد ، ترك صَرْف عَلَق إما لأنه جعله اسم بُقْعة ، وإما لأنه تركه لضرورة الشِّعر .

أغْمَزا للقوم : أى سبَّبا لهم الطعن فيهم ، يقال : غمزت الرجل إذا طعنتُ فيه .

الصِّفْر بكسر الصاد : الخالى[1]

إلا أن يَرسّ له ذِكْر : أى يذكر ذلك خفيًّا ، يقال رسَسْت الحديثَ إذا حدَّثت به فى خفاء ، .

شَفْر بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء : أى أحد .

سرّها وصميمها : أى خالصها وكريمها .

غَثّها وسمينها : أصل الغث : اللحم الضعيف ، فاستعاره هنا لمن ليس نَسبه هناك .

طاشت : ذهبت .

حُلُومها : عقولها .

ثَنَوا : عطَفوا .

صُعْر الخدود : بالعين المهملة : أى مائلة ، يقال صَعَّر خدَّه إذا أماله إلى جهة ، فعلَ المتكبِّر .

ونَضْرب عن أحجارها : بحاء مهملة فجيم : أى ندفع عن حصونها ومعاقلها ، يريد عن مواضعها المانعة . ومن رواه بالجيم والحاء أراد عن منازلها وبيوتها . والحجر هنا مستعار .

انتعش : حىّ وظهرت فيه الخضرة ، وأصل نَعش : رفع ، يقال نعشَه الله أى رفعه وبه سمى النَّعْش نعشًا .

العُود الذَّوَاء : بذال معجمة مشدَّدة وبالهمز : الذى جفَّت رطوبته ولم ينته إلى حد اليبْس .

الأكناف : النواحى .

أُرُومها : جمع أرومة وهى الأصْل .

---

(١) فيما ذكره المصنف نظر لأن الوزن يقتضى الصرف .

الباب الثامن

فى إسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه

روى ابن أبى حاتم عن الأَجْلَح قال : كان حمزة بن عبد المطلب رجلا حسنَ الشَّعر حسن الهيئة صاحب صَيْد ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على أبى جهل فولع به أبو جهلٍ وآذاه ، فرجع حمزة من الصيد وامرأتان تمشيان خلفه فقالت إحداهما : لو علم ذا ما صنع أبو جهل بابن أخيه أَقْصَر عن مِشْيته . فالتفت إليهما فقال : وماذاك ؟ قالت : أبو جهل فَعل بمحمد كذا وكذا .

فدخلته الحميّة فجاء حتى دخل المسجدَ وفيه أبو جهل فعلا رأْسَه بقَوْسه ثم قال : دِينى دينُ محمدٍ ، إن كنتم صادقين فامنعونى . ووثبت إليه قريشٌ فقالوا : يا أبا يَعْلى . يا أبا يَعْلى فأَنزل الله تعالى : « إذ جعلَ الذين كفروا فى قلوبهم الحميَّة » إلى قوله : « وأَلْزَمهم كلمةَ التقوى[1] » .

قال الأَجلح : أَراد حمزةَ بن عبد المطلب .

وروى ابنُ اسحاق قال : حدثنى رجل من أَسْلَم وكان واعِيَةً ، والطبرانى برجال ثقات ، عن يعقوب عن عتبة بن المغيرة والطبرانى برجال ثقات عن محمد بن كعب القُرَظى رحمهم الله ، أن أبا جهل مرَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصَّفَا فآذاه وشتمه ونال منه بعضَ ما يكره من العَيْب لدينه والتضعيف لأَمره فلم يكلِّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاةٌ لعبدِ الله بن جُدْعان فى مَسْكن لها تسمع ذلك ، ثم انصرف عنه فعمدَ إلى نادى قريش عند الكعبة فجلس معهم ، فلم يلبث حمزةُ بن‌عبد المطلب أن أقبل متوشِّحا قَوْسَه راجعاً من قَنَص له ، وكان صاحبَ قَنَص يرميه ويخرج له ، فكان إذا رجع من قنصه لم يصلْ إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمرّ على نادى قريش

---

(١) سورة الفتح ٢٦ .

إلا وقف وسَلَّم وتحدث معهم ، وكان أعزَّ فتىً في قريش وأشدَّه شكيمةً ، فلما مرَّ بالمولاة وقد رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له : يا أبا عُمَارة : لو رأيت ما لقي ابنُ أخيك محمد آنفا من أبي الحكم ابن هشام ، وجده هنا جالسًا فآذاه وسبَّه وبلَغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلِّمه محمد .

فاحتمل حمزةَ الغضبُ لِمَا أراد الله تعالى به من كرامته ، فخرج يسعى لم يقف على أحد مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلما دخل المسجدَ نظر إليه جالساً في القوم فأقبل نحوه ، حتى إذا قام على رأسه رفع القوسَ فضربه بها فشجَّه بها شجة مُنْكَرة وقال : أتشتمه وَأَنا[1] على دينه أقول ما يقول ؟ فرُدَّ عليَّ ذلك إن استطعت .

فقامت رجالٌ من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل : دَعُو أبا عمارة فإني والله قد سبَبْت ابنَ أخيه سبًّا قبيحا .

زاد يونس بن بُكَيْر عن ابن اسحاق : ثم رجع حمزةُ إلى بيته فقال : أنت سيد قريش اتبعتَ هذا الصابئَ وتركت دينَ آبائك ؟ لَلْموتُ خيرٌ لك مما صنعتَ . وقال : اللهم إن كان رُشْدًا فاجعل تصديقه في قلبي ، وإلا فاجعل لي مما وقعتُ فيه مَخْرَجا . فبات بليلة لم يبت مثلَها من وَسْوسة الشيطان ، حتى أصبح فغدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي إني قد وقعت في أمرٍ لا أعرف المخْرَج منه وإقامةُ مثلي على مالا أدرى ما هو أَرُشْد أم هو غَيٌّ شديد فحدِّثني حديثا فقد اشتهيتُ يابن أخي أن تحدِّثني .

فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليه فذكَّره ووعظه وخوَّفه وبشَّره ، فألقى الله تعالى في قلبه الإيمانَ بما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهد إنَّك لصادق فأظهر يا ابن أخي دِينك فوالله ما أُحبُّ أن لي ما أَظَلَّتْه السماءُ وأني على ديني الأول .

وتمَّ حمزةُ على إسلامه وعلى ما بايع عليه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم من قوله

فلما أسلم حمزةُ عرفت قريشٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عَزَّ وامتنع ، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه . وقال حمزةُ حين أَسْلَم :

---

(١) غير ص : فأنا .

حمدتُ الله حين هَدى فؤادى | إلى الإسلام والدينِ الحنيفِ
لِدينٍ جاء من ربٍّ عزيز | خبيرٍ بالعباد بهم لطيفِ
إذا تُليت رسائله علينا | تحدَّر دمعُ ذى اللُّب الحصيفِ
رسائِل جاء أحمد من هداها | بآيات مبيَّنة الحروفِ
وأحمد مُصْطفًى فينا مطاع | فلا تغشوه بالقولِ الضعيفِ
فلا والله نُسْلمه لقوم | ولَّما نَقْضِ فيهم بالسيوفِ
ونترك منهم قَتْلى بقاع | عليها الطير كالوِرْد العُكوفِ
وقد خبِّرت ما صنعت ثقيف | به فجزَى القبائلَ من ثقيفِ
إلهُ الناس شرَّ جزاءِ قوم | ولا أسقاهُم صَوْبَ الخريفِ(١)

[تفسير الغريب]

داعيةً : حافظا لما يسمع .

ابن جُدْعان : بضم الجيم وإسكان الدال ، ثم عين مهملتين : هلَك على كُفْره .

فعمَد : بفتح الميم فى الماضى وكسرها فى المستقبل .

إلى نادٍ من قريش : أى أهلُ نادٍ من قريش .

القَنَص : بفتح القاف والنون وبالصاد المهملة : الصيد .

الشَّكيمة : بفتح الشين المعجمة وكسر الكاف فمثناة تحتية ساكنة فميم مفتوحة فهاء تأنيث ، يقال فلان شديد الشكيمة إذا كان عزيز النفس أبيّا قويا وأصله من شكيمة اللجام وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

آنفا : بمد الهمزة وقصرها أى الآن والساعة .

فاحتمل حمزةَ : مفعول مقدَّم والغضبُ : فاعلٌ مؤخر .

---

(١) قصة إسلام حمزة فى سيرة ابن هشام ٢٩١/١ . وسيرة ابن كثير ٤٤٥/١ .

فشجّه أى أثّر فى رأسه أثرا .

أتشتِمه : بكسر المثناة الثانية ويجوز ضمها . حكاه ابن دُرَيْد . وعلى ما تابَع : بالمثناة الفوقية وبعد الأَلف باء موحدة . وفى بعض النسخ الصحيحة : بايع بالموحدة وبالمثناة بعد الأَلف ، من المبايعة ، والأَول أَظهر من سياق القصة .

الباب التاسع

فى إرسال قريش عتبةَ بن أبى ربيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرِض عليه أشياء ليكفّ عنهم

روى ابن أبى شيبة وَعبْد بن حُمَيْد وأبو يعلى والحاكم وصححه عن جابر بن عبد الله والبيهقى وابن عساكر عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهم قالا : اجتمع نفرٌ من قريش يوماً فقالوا : انظروا أَعْلَمكم بالسِّحْر والكَهانة والشِّعر فليأْت هذا الرجلَ الذى فرَّق جماعتنا وشتَّت أمرنا وعاب دِيننا ، فليكلِّمه ولينظر ماذا يردّ عليه .

فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة .

وعند ابن اسحاق وابن المنذر عن محمد بن كعب القُرَظى : أن عتبة بن ربيعة قال يوما ، وكان جالسا فى نادى قريش ، والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمدٍ فأُكلِّمَه وأَعْرض عليه أُموراً لعله يقبلُ بعضها فنعطيه ايَّها شاء ويكفُّ عنا . وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويَكْثرون . فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلِّمه .

وروى أبو يعلى بسند جيد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : اجتمعت قريشٌ للنبى صلى الله عليه وسلم يومًا فقالوا : انظروا أَعْلمكم بالسحر والكَهانة والشِّعر فليأْت هذا الرجُلَ الذى فرَّق جماعتنا وشتَّت أمرنا وعابَ دِيننا فيكلِّمه ولينظر ما يردّ عليه . قالوا : ما نعلم أحدًا غير عُتْبة بن ربيعة فقالوا : أنت أبا الوليد . انتهى .

فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمتَ من السِّطَة فى العشيرة والمكان فى النَّسب وإنك قد أتيت قومَك بأَمرٍ عظيم فرَّقت به جماعتهم وسفَّهت أحلامَهم وعِبْت آلهتهم ودينهم وكفَّرت من مَضى من آبائهم ، يا محمد أنت خيرٌ أم عبدُ الله ؟ فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنت خيرٌ أم

عبدُ المطلب ؟.. فسكت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . قال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خيرٌ منك فقد عَبدوا الآلهة ، وإن كنت تزعم أنك خيرٌ منهم فتكلَّم نَسمعْ قولك ، إنا والله ما رأينا سخْلة قط أشْأم على قومه منك ، فرَّقت جماعتنا وأشتَتَّ[1] أمرَنا وعِبْت دِيننا وفضحتنا فى العرب ، حتى طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنًا والله ما نَنْتظِرُ إلا مثلَ صيحة الحُبْلى أن يقوم بعضُنا بعضا إليك بالسيوف حتى نتفانَى ، أيها الرجل اسمع منى أعرض عليك أُموراً تنظر فيها لعلك تَقْبل منا بعضَها .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل أبا الوليد أَسمعْ .

قال : ياابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعناه لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به الشَّرف سوَّدْناك علينا حتى لا نَقْطَع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد مُلْكا ملَّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأْتيك رَئِيًّا لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطبَّ وبذلنا فيه أموالَنا حتى نُبْرِئك منه ، فإنه ربما غلَب التابعُ على الرجل حتى يُداوَى منه . أو كما قال له .

حتى إذا فرغ عُتْبَة ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له : أقد فرغتَ أبا الوليد ؟ قال : نعم . قال : فاسمع منى قال : أفعلُ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم «حم» الله أعلم بمراده به «تنزيلٌ من الرحمن الرحيم» مبتدأ «كتابٌ» خبره «فُصِّلت آياته» بيِّنت بالأحكام القصص والمواعظ «قرآنا عربيًّا» حال من الكتاب بصفته «لِقَوْم» يتعلق بفصلت «يَعْلمون» يفهمون ذلك ، وهم العرب أو أهل العلم والنظر وهو صفة أُخرى لقرآنا «بشيرا» للعاملين به «ونذيرا» للمخالِفين له «فأَعْرَض أكثرُهم» عن تدبّره وقبوله «فهم لا يسمعون» سماعَ تأَمل وطاعة «وقالوا» للنبى . «قلوبُنا فى أكِنَّة مما تَدْعونا إليه» أغطية جمع كِنَان «وفى آذاننا وَقْرٌ» صَمَمٌ وأصله الثقل «ومن بَيْننا وبينك حِجَابٌ» خلاف فى الدين «فاعْمَلْ» على دينك «إننا عاملون» على ديننا .

ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعه عتبة أنصت لها

---

(١) كذا فى ت ، م . وفى ص : واستثنيت . وفى ط : واستشتت .

وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما ، فسمع منه إلى أن بلغ : «فإن أعرضوا» أى كفار مكة عن الإيمان بعد هذا البيان «فقل أنْذَرْتكم» خَوَّفتكم «صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمود» مُنع من الصرف للعلمية والتأنيث لأنه أريد به القبيلة ، أى عذابا يهلككم مثل ما أهلكهم .

فأمسك عتبة على فِيه وناشَده الرَّحِم أن يكفَّ عنه ، ثم انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى السَّجْدة منها فسجَد ثم قال :قد سمعتَ أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك . فقال : ما عندك غير هذا ؟ فقال : ما عندى غير هذا .

فقام عُتْبة ولم يعدْ إلى أصحابه واحتبس عنهم فقال أبو جهل : والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا قد صَبا إلى محمد وأعجبه طعامُه ، وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلِقوا بنا إليه . فأتوه . فقال أبو جهل : والله يا عتبة ما جئناك إلا أنك قد صبَوْت إلى محمد وأعجبك أمره فإن كان لك حاجة جمَعْنا لك من أموالنا ما يُغْنيك عن طعام محمد .

فغضب وأقسم لا يكلِّم محمدا أبدا وقال : لقد علمتم أنى من أكثر قريش مالاً ولكنى أتيته . فقصَّ عليهم القصة .

قالوا : فما أجابك ؟ قال : والله الذى نصبها بَنِيَّة ما فهمتُ شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقةً مثلَ صاعقة عاد وثمود فأمسكتُ بفيه وناشدتُه الرحم أن يكفّ ، وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يَكْذب فخفْت أن ينزل عليكم العذاب .

قالوا : ويلك يكلِّمك الرجلُ بالعربية لا تدرى ما قال ؟ !

قال : والله ما سمعت مثلَه ، والله ما هو بالشِّعر ولا بالسِّحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخَلُّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزِلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعتُ نبأ فإن تُصبْه العربُ فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلْكه مُلْككم وعِزُّه عزكم وكنتم أسعدَ الناس به ، يا قوم أطيعونى فى هذا الأمر واعصونى بعدَه ، فوالله لقد سمعتُ من هذا الرجل كلامًا ما سمعتْ أذناى كلامًا مثلَه وما دريت ما أردُّ عليه .

قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد .

قال : هذا رأيى فيه فاصنعوا ما بدا لكم[1] .

[تفسير الغريب]

السِّطَة ـ بكسر السين وفتح الطاء المهملتين ـ أى من الوسَط حَسبًا ونَسبا ، وأصل الكلمة الواو ، والهاء عوض عن الواو كعِدَة من الوعد . وتقدم ذلك فى سَفَره إلى الشام ونكاحه خديجةَ .

سفَّهت أحلامَنا : أى قلت إنهم صغيرو العقول .

أعْرِضْ عليك : وهو مجزوم جواب شرطٍ مقدَّر ويجوز رفعه ، وكذلك قوله أَسْمَع

رَئيًّا : الرئى : التابع من الجن بوزن كمىّ ، وهو فعيل أو مفعول سمِّى به لأَن يتراءى لمتبوعه أو هو من الرَّأى من قولهم : فلان رئىّ قومه . إذا كان صاحَب رأيهم وقد تكسر راؤه لإتباعها ما بعدها .

الطِّب : مثلث الطاء : العلاج فى النفس والجسم .

يداوَى : بفتح الواو مبنى للمفعول .

أفعلْ : بالجزم جواب شرط مقدر ويجوز رفعه .

(١) الوفا لابن الجوزى ٢٠١/١ . وسيرة ابن كثير ٥٠١/١ عن عبد بن حميد .

الباب العاشر

فى أسئلة المشركين رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
أنواعًا من الآيات وخَرْق العادات على وجه العِنَاد لا على وجه الهدى والرشاد

فلهذا لم يجابوا إلى كثير مما سألوا لعلم الله سبحانه وتعالى أنهم لو عاينوا أو شاهدوا ما أرادوا لاستمروا فى طغيانهم يَعْمهون ولظلُّوا فى غيهم وضلالهم يترددون ، فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف .

قال الله تعالى : «أَوَلم يَكْفهم أنا أَنْزلنا عليك الكتابَ يُتْلَى عليهم[1]» .

وفى هذا المعنى قيل :

لو لم تكن فيه آياتٌ مبيَّنة　　　كانت بَداهتُه تُنْبيك بالخبر[2] .

قال الله تعالى : «ولو أننا نَزَّلنا إليهم الملائكةَ وكلَّمهم الموتى» كما طلبوا «وحشَرْنا» جمعنا عليهم «كلَّ شىء» طلبوه «قِبَلا» بكسر القاف وفتح الباء أى معاينَةً ، فنصبه مصدر فى موضع الحال ، وبضمها جمع قبيل أى فَوجا فوجا ، فنصبه حالٌ من كلّ وإن كان نكرة نافية من العموم ، أى : ولو جئناهم بالملائكة قبيلا قبيلا وبما طلبوا ورأوا ذلك معاينة «ما كانوا ليؤْمنوا إلا أن يشاء الله» استثناء منقطع أو متصل أى ما كانوا ليؤمنوا إلا فى حال مشيئة الله «ولكن أَكْثرَهم» أى الكفار «يَجْهلون» . فيحلفون أنهم يؤمنون عند نزول الآيات . أو المؤمنون يجهلون أن الكافرين لا يؤمنون فيطلبون نزول الآيات ليؤمنوا .

قال فى الرَّوْض : وكان سؤالهم تلك الآيات جهلاً منهم بحكمة الله تعالى فى امتحانه الْخَلْق وتعبّدهم بتصديق الرسل وأن يكون إيمانهم عن نَظَر وفِكْر فى الأدلة ، فيقع الثوابُ على حسب ذلك ، ولو كشف الغطاء وحصل لهم العلم الضرورى لطلب الحكمة التى من أجلها

---

(١) سورة العنكبوت ٥١ .

(٢) ت ، م : من خبر . والبيت لعبد الله بن رواحة .

يكون الثواب والعقاب إذ لا يُؤْجَر الإنسانُ على ما ليس من كَسبه كما لا يُؤْجر على ما خُلق فيه من لونٍ وشعر ونحو ذلك ، وإنما أعطاهم من الدليل ما يقتضى النظرُ فيه العلمَ الكَسْبى .

وروى ابن اسحاق وابن جرير والبيهقى عن ابن عباس أن أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا عند غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلِّموه وخاصِموه حتى تُعْذروا فيه . فبعثوا إليه فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا ، وهو يظن أنْ قد بَدَا لهم فيما يكلمهم فيه بَدَاء ، وكان حريصا عليهم يحب رُشْدهم ويعزّ عليه عَنَتُهم ، حتى جلس إليهم فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء وعِبْت الدين وشتمت الآلهة وسفَّهت الأحلام وفرَّقتَ الجماعةَ ، فما بقى أمرٌ قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك . أو كما قالوا له . فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وإن كنت إنما تريد به الشرف فينا فنحن نسوِّدك علينا ، وإن كنت تريد به مُلْكا ملَّكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأْتيك رَئِيًّا تراه قد غَلَبَ عليك ــ وكانوا يسمون التابع من الجن رَئِيًا ــ فربما كان ذلك بذلْنا أموالَنا فى طلب الطبّ لك حتى نُبْرئك منه أو نُعْذَر فيك .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بى ما تقولون ، ما جئتُ بما جئت به أطلب أموالكم ولا الشرفَ فيكم ولا المُلْك عليكم ، ولكنَ الله تعالى بعَثنى إليكم رسولا وأنزل علىّ كتابا وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا ، فبلَّغتكم رسالاتِ ربى ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة وإن تردُّوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم . أو كما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . .

قالوا : يا محمد إن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضنا لك فإنك قد علمت أنه ليس أحدٌ أضيقَ بلدًا ولا أقلَّ مالا ولا أشدَّ عَيشا منا ، فاسأَل لنا ربَّك أنهارا كأنهار العراق والشام ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن ممن يبعث لنا منهم قُصَىّ بن كِلَاب ، فإنه كان شيخَ صِدْق فنسأَلهم عما تقول : أحقٌّ هو أم باطل ، فإن صدَّقوك وصنعتَ ما سأَلناك صدَّقناك وعرَفْنا منزلتك من الله وأنه بعثك إلينا رسولا كما تقول .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بهذا بُعثت لكم ، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به وقد بلَّغتكم ما أُرسلت به إليكم ، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردُّوه أَصبر لأَمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا : فإذا لم تفعل فخُذْ لنفسك ، سَلْ ربَّك يبعث معك ملَكا يصدِّقك بما تقول ويراجعنا عنك ، وسَلْه فليجعل لك جنَانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يُغْنيك بها عما نراك تبتغى ، فإنك تقوم بالأَسواق وتلتمس الرزقَ وتلتمس المعاشَ كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك إن كنت رسولا .

فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أَنا بفاعل ، ما أَنا بالذى سأَل ربَّه هذا وما بعثت إليكم بهذا ، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا أَو كما قال . فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظُّكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علىّ أَصبر لأَمر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم .

قالوا : فأَسقطْ السماء علينا كِسَفًا كما زعمت أَن ربك إن شاء فَعل ، فإنا لا نؤمن لك إلا أَن تفعل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك إلى الله عز وجل ، إن شاء أَن يفعله بكم فعله .

قالوا : يا محمد فَما عَلِم ربُّك أَنا سنجلس معك ونسأَلك عما سأَلناك عنه ونطلب إليك ما نطلب فيتقدم إليك فيعْلِمك ما تُراجعنا به ويخبرك ما هو صانعٌ فى ذلك بنا إذا لم نقبل منك ما جئتنا به ؟ إنه قد بلغنا أنك إنما يعلِّمك هذا رجلٌ باليمامة يقال له : الرحمن، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أَبدا فقد أَعْذَرْنا إليك يا محمد ، وإنا والله لا نتركك وما بلَغت منا حتى نُهْلكك أَو تهلكنا .

وقال قائلهم : نحن نعبد الملائكة وهى بنات الله . وقال قائلهم : لن نؤمن لك حتى تأْتينا بالله والملائكةِ قبيلا .

فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبدُ الله بن أَبى أُمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وهو ابن عمته وهو لعاتكة بنت عبد المطلب،

وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه ، فقال : يا محمد عرّض عليك قومُك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله تعالى كما تقول ويصدّقوك ويَتَّبعوك فلم تفعل ، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فَضْلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجِّل لهم بعضَ ما تخوِّفهم به من العذاب فلم تفعل . أو كما قال له . فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلّما ثم تَرْقَى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها ثم تأتى بصَكٍّ معه أربعة من الملائكةِ يشهدون لك أنك كما تقول وأيم الله إن لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أُصدِّقك . ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينًا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، لِمَا رأى من مباعدتهم إياه .

فلما قام عنهم قال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدا قد أبَى إلا ما ترون من عَيْب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا ، وإنى أعاهد الله لأَجلسنَّ له غدًا بحجر ما أطيق حَمْله . أو كما قال . فإذا سجد فى صلاته فضَخْت به رأسَه فأَسْلِمونى عند ذلك أو امنعونى ، فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بَدا لهم . قالوا : والله لا نُسْلمك لشيء أبدا فامض لما تريد .

فلما أصبح أبو جهل أخذ حَجرا كما وصف ، ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره ، وغدا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو وكان بمكة وقِبْلته إلى الشام ، وكان إذا صلى صلى بين الركنين الركن اليمَانى والحجَر الأسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلِّى وقد غَدتْ قريشٌ وجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجرَ ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع مهزومًا مُنْتقعا لونُه مَرْعوبا قد يبستْ يداه على حَجره حتى قذَف بالحجر من يده .

وقامت إليه رجال من قريش فقالوا : ما بك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة ، فلما دنوت منه عرَض لى دونه فحلٌ من الإبل لا والله ما رأيت مثلَ هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهمَّ بى أن يأكلنى .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ذاك جبريل لو دَنا لأخذه .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فيما سأله قومهُ لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آبائهم : «ولو أنّ قُرْآنا سُيِّرت» نقلت «به الجبالُ» عن أماكنها «أو قطِّعت» شققت به الأرض فجعلت أنهارا وعيونا «أو كُلِّم به الموتى» بأن يَحْيَوْا وجواب لو محذوف اكتفى بمعرفة السامعين مراده وتقديره : لكان هذا القرآن أو وهم يكفرون بالرحمن وإن أجيبوا إلى سؤالهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى «بل لله الأمرُ» أى أمر خلقه «جميعا» فيتصرف فيهم كيف يشاء .

وأنزل أيضاً : «وما منَعنا أن نُرْسل بالآيات» التى اقترحها أهل مكة «إلا أن كذَّب بها الأوَّلون» لما أرسلناها فأهلكناهم ولو أرسلناها إلى هؤلاء لكذَّبوا بها واستحَقُّوا الإهلاك ، وقد حكمنا بإمهالهم لإتمام أمر محمد صلى الله عليه وسلم :

قال ابن إسحاق : وأنزل الله سبحانه وتعالى فى قولهم : خذ لنفسك سَلْ ربك أن يبعث معك ملَكا يصدِّقك الى آخره : «وقالوا ما لهذا الرسولِ يأكُلُ الطعامَ ويَمْشى فى الأسواقِ لولا» هلا «أُنْزل إليه مَلك فيكون معه نَذِيرا» يصدِّقه «أو يُلْقَى إليه كنزٌ» من السماء ينفقه ولا يحتاج إلى المشى فى الأسواق لطلب المعاش «أو تكون له جَنَّة» بستان «يأْكل منها» أى من ثمارها فيكتفى بها وفى قراءة : «نأْكل» بالنون أى نحن فيكون له علينا مزيّة بها . «وقال الظالمون» أى الكافرون للمؤمنين «إن» ما «تتبعون إلا رجلاً مَسْحورا» مَخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى : «اُنظر كيف ضَربوا لك الأمثالَ» بالمسحور والمحتاج إلى ما ينفقه وإلى مَلَك يقوم معه بالأمْر «فَضَلُّوا» بذلك عن الهدى «فلا يستطيعون سبيلاً» طريقا إليه «تبارك» تكاثر خيرُ «الذى إن شاء جعلَ لك خَيْرا من ذلك» الذى قالوا من الكنز والبستان «جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار» أى فى الدنيا لأنه شاء أن يعطيه إياها فى الآخرة «ويجعلْ لك قصورًا» أيضا إلى قوله تعالى : «وما أرسلنا قَبْلك من المُرْسلين إلا إنهم لَيأْكلون الطعامَ ويَمْشون فى الأسواق» فأنت مثلهم فى ذلك ، وقد قيل لهم كما قد قيل لك «وجعلنا بَعْضكم لبعض فِتْنة» بلية ابتلى بها الغنىّ بالفقير والصحيح بالمريض والشريف بالوضيع يقول الثانى فى كلّ : مالى لا أكون كالأول فى كلّ «أتَصْبرون» على

ما تسمعون ممن ابتليتم بهم، استفهام بمعنى الأمر أى اصبروا «وكان ربُّك بصيرا» بمن يَصْبر ويمن يجزع .

وأنزل الله تعالى فيما قال عبد الله بن أبى أمية - وقد تقدم أنه أسلم بعد : «وقالوا لن نُؤْمِن لك حتى تَفْجُر لنا من الأرض يَنْبوعا» عينا ينبع منها الماء «أو تكون لك جَنَّة» بستان «من نخيل وعنبٍ . فتفجِّر الأنهارَ خِلَالها» وسطها «تفجيرا أو تُسْقط السماء كما زعمتَ علينا كِسَفا» قطعا «أو تأْتِىَ بالله والملائكة قَبيلاً» مقابَلَةً وعِيانا فنراهم . «أو يكون لك بيتٌ من زُخْرف» ذهب «أو تَرْقَى» تصعد «فى السماء» بسلّم «ولن نُؤْمن لرقيِّك» لو رقيت فيها «حتى تنزِّل علينا» منها «كتابًا» فيه تصديقك «نَقْرؤه» قل لهم : «سبحان ربِّى هل كنتُ إلا بَشَرًا رسولا» كسائر الرسل والبشر ولم يكونوا يأْتون بآية إلا بإذن الله .

قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى قولهم فيما قد بلغنا : إنما يعلِّمك رجلٌ باليمامة يقال له الرحمن : ولن نؤمن به أبدا ، يعنون به مسيلمة بن حبيب الحنفى ، روى وُثَيْمة بن موسى عن سعيد بن المسيّب أن مسيلمة تسمَّى بالرحمن فى الجاهلية قبل أن يولد عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم كان من المعمَّرين : «كذلك» أى مثل إرسالنا الرسلَ قبلك يا محمد «أرسلناك» ثم بين المرسَل إليهم فقال : «فى أمة قد خلَتْ» مضت «من قبلها أُمَمٌ لتتلوَ» لتقرأ عليهم «الذى أَوْحينا إليك» من القرآن وشرائع الإسلام «وهم يَكْفرون بالرحمنِ» . قل لهم يا محمد الرحمن الذى أنكرتم معرفته : «هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه مَتَاب» توبتى ومرجعى .

وأنزل الله تعالى فيما عرضوا عليه من أموالهم : «قُلْ ما سأَلتكم» على الإنذار والتبليغ «من أجرٍ فهو لكم» أى لا أسأَلكم عليه أجرا إن «أَجْرِىَ» ما ثوابى «إلا على الله ، وهو على كل شىء شهيد» مُطَّلع يعلم صدقه .

وأنزل الله تعالى فيما قال أبو جهل وما همَّ به : «أرأيت» فى مواضعها الثلاثة للتعجب «الذى يَنْهَى» هو أبو جهل «عَبْدًا» هو النبى صلى الله عليه وسلم «إذا صلَّى أرأيت إن كان» أى المنهى «على الهُدَى أو» للتقسيم «أَمَر بالتقوى . أرأيت إن كذَّب» أى الناهى النبىَّ «وتولَّى» عن الإيمان . «ألم يعلم بأن الله يرَى» ما يَصْدر منه أى يعلمه فيجازيه عليه .

أى : أَعجبتَ منه يا مخاطَب ، من حيث نَهْيه عن الصلاة ، ومن حيث أن المنهىَّ على الهُدَى آمرٌ بالتقوى ، ومن حيث أن الناهى مكذِّب متولٍّ عن الإيمان .

«كلاَّ» رَدْع له «لئن» لام قسم «لم يَنْته» عما هو عليه من الكفر «لَنَسْفعنْ بالناصية» لَنجرّن بناصيته إلى النار «ناصية» بدل نكرة من معرفة «كاذبة خاطئة» وصفها بذلك مجازا والمراد صاحبها . «فليَدْعُ نادِيَه» أى أهل ناديه وهو المجلس يَنْتدى أى يتحدث فيه القوم . وكان قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة : لقد علمت ما بها أكثر ناديًا منى لأملأن عليك هذا الوادى إن شئت خيلاً جُرْدًا ، ورجالاً مُرْدًا .

«سنَدْعُ الزبانية» الملائكة الغِلاظ الشداد لإهلاكه . فى الحديث : «لو دعا نَاديَه لأخذته الزبانية عيانًا» .

«كلا» رَدْع له «لا تُطِعْه» يا محمد فى ترك الصلاة «واسجُدْ» صلِّ لله «واقتربْ» منه بطاعته[1] .

وروى أبو يعلى وأبو نعيم عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : لما نزلت : «وأنذرْ عَشِيرتَك الأَقربين» صاح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أبى قُبَيْس : ياآل عبد مناف إنى نذير . فجاءته قريشٌ فحذَّرهم وأنذرهم قالوا : تزعم أنك نبي يوحى إليك ، وإن سليمان سخِّر له الريحُ والجبال ، وإن موسى سخر له البحر ، وإن عيسى كان يحيى الموتى ، فادع الله أن يجعل هذه الصخرة التى تحتك ذهبا فننحت منها وتغنينا عن رحلة الشتاء والصيف فإنك تزعم أنك كهيئتهم . فبَيْنا نحن حوله إذ نزل عليه الوحى فلما سرِّى عنه قال : والذى نفسى بيده لقد أعطانى ما سألتم ولو شئت لكان ، ولكنه خيَّرنى بين أن تدخلوا باب الرحمة فيؤمن منكم وبين أن يَكِلكم إلى ما اخترتم لأنفسكم فتضلُّوا عن باب الرحمة ولا يؤمن منكم ، فاخترتُ باب الرحمة فيؤمن منكم ، وأخبرنى إن أعطاكم ذلك ثم كفرتم به يعذبكم عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين .

فنزلت : «وما منَعَنا أن نُرْسلَ بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون» حتى قرأ ثلاث آيات . «ولو أن قرآنًا سيرِّت به الجبال» الآية .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٠٩ - ٣١٣ .

وروى الإمام أحمد والنسائى والحاكم والضياء فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سأل أهلُ مكة رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن ينحِّى عنهم الجبال فيَزْرعون ، فأتاه جبريل فقال : إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن شئت أصبح الصفا لهم ذهبا فمن كفرَ منهم بعد ذلك عذَّبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم بابَ التوبة والرحمة . قال : أى رب بابَ الرحمة .

وفى رواية : إن شئت أن تستأنى بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذى سألوا فإن كفروا أهلكتُهم[1] كما أهلكتُ مَنْ قبلَهم من الأمم . قال : لا بل أستأنى بهم . فأنزل الله : «وما منعنا أن نُرْسل بالآيات إلا أنْ كذَّب بها الأولون» .

وروى ابن جرير عن قَتادة قال : قال أهلُ مكة فذكر نحوه وفيه : فأتاه جبريل فقال : إن شئت كان الذى سألك قومُك ولكنه إن كان ثم لم يؤمنوا لم يُنْظروا ، وإن شئتَ استأنيتَ بقومك . قال : بل أستأنى بقومى . فأنزل الله تعالى : «وما مَنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذَّب بها الأولون» الآية .

وأنزل الله تعالى : «ما آمنت قبلَهم من قريةٍ أهلكناها أفهم يؤمنون» .

[تفسير الغريب]

أصبحْ : بالسكون جواب الشرط .

اليمامة ـ بفتح المثناة التحتية : مدينة باليمن .

الصَّكّ ـ بفتح الصاد المهملة وتشديد الكاف : الكتاب .

وايم الله : من ألفاظ القسم كقولك : لعَمْر الله وعهد الله وفيها لغات كثيرة ، تفتح همزتها وتكسر ، وهى همزة وصلٍ وقد تقطع .

أَسلِمونى : بقطع الهمزة المفتوحة .

ما بدا لهم : بغير همز أى ظهر .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٤٨٢ .

مُنْتقَعًا – بفتح القاف– امتقع لونه فهو منتقَع لغة فى انتقع أى تغير من حزن أصابه.

الفحل – بفتح الفاء وإسكان الحاء – الذكَر من الحيوان والمراد به هنا من الإبل .

الحجرَ – بفتح الحاء والجيم .

هامته – بميم مخففة مفتوحة : الرأس .

القَصَر – بفتح القاف والصاد المهملة والراء . والقَصرة : أَصل العُنق . والجمع قَصَر بفتحهما .

الباب الحادى عشر

فى امتحانهم إياه بأشياء لا يعرفها إلا نبى

قال ابن إسحاق : إن النَّضْر بن الحارث ، وكان من شياطين قريش ، وكان ممن يُؤْذِي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . والصواب أنه هلك ببدر وهو مشرك على يدى على ابن أبى طالب رضى الله عنه . فقال : يا معشر قريش والله قد نزل بكم أمرٌ ما أتيتم له بحيلة بعدُ ، قد كان محمدٌ فيكم غلاما حَدثًا أرْضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم الشَّيبَ فى صُدْغيه وجاءكم بما جاءكم به قلتم : ساحر . ولا والله ما هو بساحر وقد رأينا السَّحَرة ونَفْثهم وعَقْدهم . وقلتم : كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة تَخالُجَهم وسمعنا سَجْعهم ، وقلتم : شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، لقد روَيْنا الشِّعر وسمعنا أصنافه كلها هَزجه ورَجَزه . وقلتم : مجنون . لا والله ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون فما هو بخَنْقه ولا وسوسته ولا تخليطه ، يا معشر قريش انظروا فى شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمرٌ عظيم .

وكان النضر قد قدِم الحِيرةَ وتعلَّم بها أحاديث ملوك الفُرْس ، فكان إذا جلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا فذكَّر فيه بالله وحذَّر قومه ما أصاب مَن قبلَهم من الأُمم من نِقْمة الله عز وجل ، خَلَفه فى مجلسه إذا قام ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحْسَنُ حديثاً منه ، فهلم إلىّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه . ثم يحدثهم عن ملوك فارس ثم يقول : بماذا محمد أحسن حديثا منى ؟ وما أحاديثه إلا أساطير الأولين اكتَتبها كما كتبتها .

قال ابن هشام : وهو الذى قال فيما بلغنى : سأُنزل مثلَ ما أنزل الله .

قال ابن إسحاق : وكان ابن عباس يقول فيما بلغنى : إنه أنزل فيه ثمانى آيات من القرآن : قوله تعالى «إذا تُتْلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين[1]» وكل ما ذكر فيه الأساطير من القرآن .

---

(١) سورة القلم ١٥ .

فلما قال لهم ذلك النضر بن الحارث بعثوه وبعثوا معه عُقْبة بن أبى مُعَيْط إلى أحبار يهود المدينة وقالوا لهما : اسألاهم عن محمد وصِفَا لهم صفته وأخبِراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علمٌ ما ليس عندنا من علم الأنبياء .

فخرجا حتى قدِما المدينةَ فسألا أحبارَ يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفَا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله ، وقالا : إنكم أهلُ التوراة وقد أتيناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا . فقالت لهما أحبار يهود : سَلُوه عن ثلاثٍ نأمُركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبيٌّ مرسَل وإن لم يفعل فالرجل مُتَقوِّل[1] فروْا فيه رأيكم : سَلُوه عن فِتْية ذهبوا فى الدهرالأول ما كان أمرهم ، فإنه قد كان لهم حديثٌ عجيب ، واسألوه عن رجل طوَّاف قد بلغ مَشارقَ الأَرض ومغاربها ما كان نَبؤه ، واسألوه عن الروح ما هى ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبى ، وإن لم يفعل فهو رجل متقوِّل[2] فاصنعوا فى أمره ما بدا لكم .

فأقبل النَّضْر بن الحارث وعقبةُ بن أبى مُعَيْط حتى قدِما مكةَ على قريش فقالا : قد جئناكم بفصلِ ما بينكم وبَيْن محمد ، قد أمرنا أحبارُ يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها ، فإن أخبركم عنها فهو نبىٌّ وإن لم يفعل فالرجل مقتول فروْا فيه رأيكم .

فجاءوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسألوه فى تلك الأشياء فقال لهم : أُخبركم بما سألتم عنه غدًا . ولم يَسْتثن . فانصرفوا عنه .

قال ابن إسحاق : ومكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة وفى سِيرَ الزُّهْرى وموسى بن عُقْبة : أن الوحى إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام لا يحْدِث الله تعالى فى ذلك وحيا ولا يأتيه جبريلُ ، حتى أَرْجَف أهلُ مكة وقالوا : وعدنا محمدٌ غدًا واليومَ خمسة عشر ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشىءٍ مما سألناه عنه . حتى أحزَن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مُكْثُ الوحى عنه وشقَّ عليه ما يتكلم به أهلُ مكة .

ثم جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم من الله عز وجل بسورة الكهف وفيها معاتبته إياه على حُزْنه عليهم ، وخَبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطوَّاف والروح .

---

(١) ص : مفتون . وبقية النسخ : مقتول . وما أثبته من ابن هشام ١/٣٠١ .

(٢) الأصل : مقتول . ولعله تحريف .

قال ابن إسحاقَ : فذكِر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه : لقد احتبست عنى يا جبريل حتى سُؤْتُ ظنا . فقال له جبريل : «وما نَتَنَزَّلُ إلاَّ بأَمرِ ربِّك له ما بين أيدينا وما خَلْفَنا ومَا بَيْن ذلك وما كان ربُّك نَسِيًّا» فافتتح اللهُ سبحانه سورة الكهف بحَمْدِه وذكر نبوّة رسوله صلى الله عليه وسلم فقال : «الحمدُ» وهو الوصف بالجميل الثابت «لله» وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أَو هُمَا ؟ احتمالات أَفْيَدها الثالث «الذى أَنْزَل على عبده» محمد «الكتابَ» القرآن «ولم يَجْعل له» أى فيه «عِوَجاً» اختلافا وتناقضا «قيِّما» مستقيما «ليُنْذر» يخوف بالكتاب الكافرين «بأْسًا» عذابا «شديدًا من لَدُنْه» من قِبَل الله «ويبشِّر المؤمنين الذين يَعْملون الصالحات أَنّ لهم أَجرًا حَسنًا ماكثين فيه أَبدا» وهو الجنة «ويُنْذر» من جملة الكافرين «الذين قالوا اتَّخَذَ اللهُ ولدًا ما لهم به» بهذا القول «مِنْ عِلْمٍ ولا لآبائهم» من قبلهم القائِلين له «كَبُرَتْ» عَظُمت «كلمةً تَخْرجُ مِنْ أفواههم» كلمة تمييز مفسِّر للضمير المبْهَم ، والمخصوص بالذمّ محذوف أَى مقالتهم المذكورة «إنْ» ما «يَقُولون» فى ذلك إلا مَقُولاً «كذبًا» «فلعلَّك باخِعٌ» مُهْلك «نفسَك على آثارهم» بعد تولِّيهم عنك «إن لم يُؤْمنوا بهذا الحديثِ» القرآن «أَسَفًا» غيظًا وحزنا منك لحرصك على إيمانهم «إنا جعَلْنا ما علَى الأَرضِ» من الحيوان والنبات والشجر والأَنهار وغير ذلك «زِينةً لها لنَبْلوهم» لنختبر الناسَ ناظرين إلى ذلك «أَيُّهم أَحْسنُ عملاً» فيه أى أزهد له «وإنا لَجاعِلُون ما عليها صَعِيدا» فُتَاتا «جُرُزًا» يابسا لاينبت.

ثم استقبل قصة الخبر فيما سأَلوا عنه من شأْن الفتية فقال : «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصحابَ الكهفِ» الغار فى الجبل «والرَّقيمِ» اللوح المكتوب فيه أَسماؤهم وأَنسابُهم «كانوا» فى قصتهم «من» جُمْلة «آياتنا عَجبا» خبر كان وما قبله حال ، أَى كانوا عجبًا دون باقى الآيات وأَعجبها ؟ ليس الأَمر كذلك .

اذكر «إذ أَوَى الفِتْيةُ إلى الكَهْف» جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار «فقالوا رَبُّنَا ربُّ السمواتِ والأَرض لن نَدْعُوَ من دونه» غيره «إلهـا. لقد قُلْنا إذًا شَطَطًا» أى قولا ذا شطط ، أى إفراط فى الكفر إن دعونا إلها غير الله فَرْضًا

«هؤلاء» مبتدأ «قَوْمُنا» عطف بيان «اتخذوا من دُونِه آلهةً» الخبر : «لولا» هلا

« يأتون عليهم » على عبادتهم « بسُلْطانٍ بَيِّن » بحجة ظاهِرة « فمن أَظْلَم » أى لا أحد أظلم « ممن افتَرى على الله كَذِبا » بنسبة الشريك إليه تعالى إلى آخر القصة .

ثم قال تعالى : « سيقولون » أى المتنازعون « فيهم » فى عدَد الفتية فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم أى يقول بعضهم : هم « ثلاثةٌ رابعهم كَلْبهم » « ويقولون » أى بعضهم : « خمسةٌ سادسهم كَلْبهم » والقولان لنصارى نجران « رَجْمًا بالغيبِ » أى ظنا فى الفتية عنهم ، وهو راجع إلى القولين معا ونَصْبه على المفعول أى لظنهم ذلك . « ويقولون » أى المؤمنون « سَبْعةٌ وثامنهم كَلْبُهم » الجملة من المبتدأ والخبر صفة سبعة بزيادة الواو ، وقيل تأكيد أو دلالة على لَصْق الصفة بالموصوف ، ووصف الأَوَّلَيْن بالرجم دون الثالث يدل على أنه مَرْضِىّ صحيح « قل ربِّ أَعْلَم بعِدَّتهم ما يَعْلمهم إلا قليل » من الناس . قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل . وذكر أنهم سبعة « فلا تُمَارِ » تجادل « فيهم إلا مِرَاء ظاهرا » بما أُنزل إليك . « ولا تَسْتَفْتِ » تطلب الفتيا « فيهم منهم » من أهل الكتاب اليهود « أحدا . ولا تقولنَّ لشىء إنى فاعلٌ ذلك غدًا » أى فيما يُستقبل من الزمان « إلا أن يشاء الله » أى إلا ملتبسًا بمشيئة الله بأن تقول : إن شاء الله « واذكُرْ ربَّك » أى مشيئته معلِّقا بها « إذا نسيتَ » التعليقَ بها ويكون ذِكْرها بعد النسيان كذِكْرها مع القول . قال الحسن وغيره : ما دام فى المجلس . وروى ابن أبى حاتم والطبرانى عن ابن عباس فى الآية قال : إذا نسيت الاستثناء استَثْنِ إذا ذكرت . قال : وهى خاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

« وقُل عَسى أن يَهْدِين ربِّ لِأَقْربَ مِنْ هذا » من خبر أهل الكهف فى الدلالة على نبوّتى « رَشَدًا » هداية وقد فعل الله تعالى ذلك .

« ويسألونك عن ذى القَرْنين » اختلف فى اسمه فقيل اسمه الصَّعب . وبه جزم كعب الأَحبار ونقله ابن هشام فى التيجان عن ابن عباس . وقال الشيخ تقى الدين المقريزى فى الخُطَط : إنه التحقيق عند علماء الأَخبار . وقال الحافظ فى الفتح بعد أن أورد قول أعشى ابن ثعلبة :

والصعبُ ذو القرنين أمْسَى ثاويًا بالحِنْو فى حَدث هناك مقيمُ

والحنْو - بكسر الحاء المهملة وسكون النون فواو : مكان فى ناحية المشرق . ثم ذكر

شواهدَ أُخر يؤخذ من أكثر هذه الشواهد أن الراجح فى اسمه الصعب . وقيل المنذر : . وقيل غير ذلك .

ولقِّب بذى القرنين قيل لأنه بلَغ قَرْن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مَطْلعها رواه الزبير بن بَكَّار عن الزُّهرى . وقيل لأنه مَلكهما . وقيل لأنه رأى فى منامه أنه أخذ بقَرْنى الشمس، وقيل لأنه كان له قرنان حقيقة . وهذا أنكره الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه . وقيل لأنه كان له ضَفيرتان تواريهما ثيابه . وقيل كانت الغَدِيرتان طويلتين من شَعره حتى كان يطَأ عليهما . وقيل لأنه دخل النور والظُّلْمة . وقيل لأنه عُمِّر حتى فَنِى فى زمانه قرنان من الناس . وقيل غير ذلك .

واختلف فى نبوته : فقيل كان نبيًا . وبه جزم جماعة . وهو مرويّ عن عبد الله بن عمرو بن العاصى . قال الحافظ : وعليه ظاهر القرآن وروى الحاكم من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا أدرى ذو[1] القرنين كان نبيًا أولا» وذكر وهب فى المبتدأ أنه كان عبدًا صالحا وأن الله تعالى بعثه إلى أربعة أمم اثنتين منها طول الأرض ، واثنتين منها عرض الأرض فذكر قصةً طويلة ذكرها الثعلبى فى تفسيره .

وروى الزبير بن بكَّار وسفيان بن عُيَيْنة فى جامعه والضياءُ المقدسى فى صحيحه ، كلاهما من طريق آخر بسند صحيح كما قال الحافظ عن أبى الطفيل أن ابن الكوَّاء قال لعلى رضى الله عنه : أخبرنى عن ذى القرنين نبيًّا كان أم مَلِكا ؟ قال : لم يكن نبيا ولا مَلِكا ولكن كان عَبْدا صالحا أحبه الله فأحبَّه ، ونصَح لله فنصَحه ، بعثه إلى قومه فضربوه على قَرْنه ضربةً مات فيها ، ثم بعثه الله إليهم فضربوه ، ثم بعثه فسُمِّى ذا القرنين . قال الحافظ : وفيه إشكال لأن قوله : لم يكن نبيا مغايرٌ لقوله : بعثه الله إلى قومه إلا أن يحمل البَعْث على غير رسالة النبوّة .

والأكثر : أنه كان من الملوك الصالحين . وذكره البخارى قبل ترجمة إبراهيم صلى الله عليه وسلم . قال الحافظ : وفى ذلك إشارة إلى تَوْهين قول من زعم أنه الإسكندر اليونانى ، لأن الإسكندر كان قريبا من زمن عيسى ، وبين زمن إبراهيم وعيسى أكثر من

---

(١) ط : ذا القرنين .

ألفي سنة . والذي يظهر أن الإسكندر المتأخر لقب بذى القرنين تشبيهًا بالمتقدم لسعَة مملكته وغلبته على البلاد الكثيرة ، أو لأنه لما غلب على الفرس وقتل ملكهم انتظم له مُلْكُ المملكتين الواسعتين الرُّوم والفرس فلقِّب ذو القرنين بذلك .

والحق : أن الذى قصَّ الله نبأه فى القرآن هو المتقدم ، والفرق بينهما من أوجه : أحدها ما ذكرته . والذى يدلّ على تقدم ذى القرنين ما رواه الفاكهىّ عن عُبَيْد بن عمير أحد كبار التابعين : أن ذا القرنين حجَّ ماشيا فسمع به إبراهيم فتلقَّاه .

وذكر ابن هشام فى التيجان أن إبراهيم تحاكم إلى ذى القرنين فى شىء فحكم له .

ثانى الأَوْجُه : قال الإمام فخر الدين كان ذو القرنين نبيّا وكان الإسكندر كافرا . ولكن الجمهور على خلاف قوله إنه كان نبيا .

ثالثها : كان ذو القرنين من العرب . وأما الإسكندر فهو من اليونان .

وشُبْهة من قال إن ذا القرنين هو الإسكندر : ما رواه ابنُ جرير بإسناد فيه ابن لَهِيعة أن رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فقال : كان من الروم فأُعطى مُلْكا فسار إلى مصر وبنىَ الإسكندرية . إلى آخره .

وهذا لو صحَّ لدفع النزاعَ ، ولكنه ضعيف .

هذا خلاصة كلام الحافظ فى الفتح[1] .

وقال الشيخ تقى الدين المقريزى فى الخُطَط : اعلم أن التحقيق عند علماء الأخبار أن ذا القرنين الذى ذكره الله تعالى فى القرآن اسمه الصَّعْب بن الحارث . وساق نسَبه إلى قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وأنه ملك من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم أيضا العرب العَرْباء .

كان ذو القرنين تُبَّعا متوَّجًا ولما تولى المُلْك تجبَّر ثم تواضع لله تعالى . وقد غلط من ظن أن الإسكندر هو ذو القرنين الذى بنى السَّدَّ فإن لفظة «ذو» عربية ، وذو القرنين من ألقاب ملوك اليمن ، وذاك رومى يونانى وبسَط الكلام على ذلك[2] وذكر الحافظ عمادُ

---

(١) انظر فتح البارى ١٩١/٧ - ١٩٣ .

(٢) خطط المقريزى ٢٦٨/٢ (ط لبنان) .

الدين ابن كثير نحو ما سبق عن الحافظ وصوَّب أن ذا القرنين غير الإسكندر اليونانى وبسَط الكلامَ على ذلك[1] . « قل سأتلو » سأقصّ « عليكم منه » من حاله « ذِكْرا » خبرًا . إلى آخر القصة .

وقال تعالى فيما سألوه عنه من الروح الذى يحيا به البدَن : « قل » لهم « الروحُ من أمْرِ ربى » أى علمه لا تعلمونه . « وما أُوتيتم من العِلْم إلا قليلاً » بالنسبة إلى علمه تعالى . وكلام ابن اسحاق يدل على أن هذه الآية مكِّية . ورواه الترمذى عن ابن عباس ، ورجالُه رجال مسلم .

وفى الصحيحين أن اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الروح بالمدينة فنزلت هذه الآية[2] .

قال الحافظ : ويمكن الجمع بأن يتعدَّد النزول ويحمل سكوته فى المرة الثانية على توقُّع مزيد بيان فى ذلك وإلا فما فى الصحيح أصحّ .

* * *

قال ابن اسحاق : فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق ، وعرَفوا صدقه فيما حدَّث ومَوْقع نبوته فيما جاءهم من علم الغيب حين سألوه عنه ، حال الحسدُ منهم له بَيْنهم فقال قائِلهم : « لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه » أى اجعلوه لغوًا باطلا وهُزُوًا « لعلكم تَغْلبون » بذلك فإنكم إن ناظرتموه وخاصمتموه غلبكم بذلك .

فقال أبو جهل يومًا ، وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أتى به من الحق : يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذِّبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر ، وأنتم الناس عددًا وكثرة ، فيَعْجز كلُّ مائة منكم عن رجل منهم ؟

فأنزل الله تعالى فى ذلك : « وما جَعْلنا أصحابَ النار إلا ملائِكةً » فلا يطاقون كما تتوهّمون « وما جعلنا عِدَّتهم إلاَّ فتنةً » ضلالا « للذين كَفروا » بأن يقولوا : لِمَ كانوا تسعة

---

(١) البداية والنهاية ٢/١٠٥ ، ١٠٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة الكهف) .

وصحيح مسلم كتاب المنافقين حديث رقم ٣٢ .

عشر «ليستَيْقن الذين أُوتوا الكتابَ» أى اليهود صِدْقَ النبى صلى الله عليه وسلم فى كونهم تسعة عشر الموافق لِمَا فى كتابهم «ويَزْداد الذين آمَنُوا» من أهل الكتاب «إيماناً» تصديقا لموافقة ما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم لِمَا فى كتابهم[1] «ولا يَرْتاب» يشك «الذين أُوتوا الكتابَ والمؤمنون» من غيرهم فى عدد الملائكة «ولِيقولَ الذين فى قلوبهم مَرضٌ» شكٌّ بالمدينة «والكافرون» بمكة «ماذا أراد اللهُ بهذا» العدد «مَثَلا» سمَّوه مثلاً لغرابته وأغرب حالاً . «كذلك» أى مثل إضلال مُنْكِر هذا العَدد وهدى مصدِّقه «يضلّ اللهُ مَن يشاء ويَهْدى من يشاء ، وما يَعْلم جنودَ ربِّك» أى الملائكة فى قوّتهم وأعوانهم «إلا هو» سبحانه وتعالى[2] .

تنبيـه

فى بيان غريب ما سبق .

النَّضر : بنون وضاد معجمة .

مُكْثُ : مرفوع فاعل أَحْزَن .

---

(١) ص : كتبهم .

(٢) سيرة ابن هشام ٣١٣/١ .

الباب الثانى عشر

فى سبب نزول قوله تعالى : «ولا تَجْهر بصلاتك ولاتُخَافِتْ بها وابتغ بين ذلك سبيلا[1]»

روى سعيد بن منصور والإمام أحمد والشيخان عن ابن عباس ، وابن اسحاق وابن جرير عنه من طريق آخر فى الآية قال : نزلت ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة مُتَوارٍ ، فكان إذا صلَّى بأَصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن ومن أَنزله ومن جاء به وتفرقوا عنه وأَبَوْا أن يسمعوا منه ، وكان الرجل إذا أَراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضَ ما يتلوه وهو يصلى استرق السَّمْع دونَهم فرَقًا منهم ، فإن رأَى أَنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشيةَ أَذاهم فلم يستمع ، فإن خفَض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئاً ، فأَنزل الله تعالى : «ولا تَجْهر بصلاتك[2]» بقراءتك فيها فيسبّ المشركون القرآن ويتفرقوا عنك «ولا تُخَافِتْ» تُسِرّ «بها» فلا ينتفع بها أَصحابُك ولا من أَراد أن يسمعها ممن يَسْترق[3] ذلك لعله يَرْعوى إلى بعض ما يستمع فينتفع به . «وابْتغِ» اقصدْ «بَيْن ذلك» بين الجهر والمخافتة «سبيلًا» طريقا وسَطا .

قال عُرْوة بن الزبير فيما رواه ابن اسحاق عنه : أَول من جَهر بالقرآن بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكةِ عبدُ الله بن مسعود ، اجتمع يومًا أَصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعتْ قريشٌ هذا القرآن يُجْهَر لها به قطّ ، فمَنْ رجلٌ يُسْمعهموه ؟ فقال عبد الله بن مسعود : أنا . قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أَرادوه . قال : دَعُونى فإن الله تعالى سيمنعنى .

---

(١) سورة الإسراء ١١٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة الإسراء وكتاب التوحيد ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٤٥ .

(٣) ت ، م : يستمع .

فغَدَا ابنُ مسعود حتى أَتى المقامَ فى الضحى وقريش فى أَنديتها حتّى قام عند المقـام ثم، قال : بسم الله الرحمن الرحيم : «الرحمنُ عَلَّم القرآن» ثم استقبلها يقرؤها وتأَمَّلوه يقولون: ماذا قال ابن أُمِّ عَبْد ؟ ثم قالوا : إنه ليتلو بعضَ ما جاء به محمد . فقاموا إليه فجعلوا يضربون فى وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف إلى أَصحابه وقد أَثَّروا بوجهه فقالوا : هذا الذى خشينا عليك . قال: ما كان أَعداء الله تعالى أَهْوَن علىّ منهم الآن ولئن شئتم لأُغَادينهم بمثلها غدًا . قالوا : لا حَسْبك ، قد أَسْمَعتَهم مايكرهون[1] .

لأُغادينهم : أى آتيهم غدوةً بذلك .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣١٤ .

الباب الثالث عشر

فى اعتراف أبى جهل وغيره بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

روى ابن اسحاق والبيهقى عن الزُّهْرى والحافظ محمد بن يحيي الذُّهْلى فى الزُّهْريات عن الزهرى ، عن سعيد بن المسيَّب بسند صحيح أنه حدّث أن أبا سفيان بن حرب وأبا جهل والأَخْنَس بن شَرِيق خرجوا ليلةً ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلِّ من الليل فى بيته ، فأَخذ كلٌّ رجل منهم مجلسا يسمع فيه وكلٌّ لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق فتلاوَموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعضُ سفهائكم لأَوقعتم فى قلبه شيئاً . ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثلَ ما قالوا أولَ مرة . ثم انصرفوا .

حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كلٌّ واحد منهم مجلسَه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد أن لا نَعُود . فتعاهدوا علي ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الأَخنس بن شَرِيق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان فى بيته فقال : أخبرنى يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعتَ من محمد . ولفظ الذهلى : إن أبا سفيان قال للأَخنس : فما تقول أنت ؟ قال : أراه الحق . انتهى قال أبو سفيان : والله يا أبا ثعلبة لقد سمعتُ أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأَخنس : وأنا والله كذلك .

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيتَه فقال : يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعتَ من محمد ؟ قال : ما سمعت؟ تنازعنا وبنو عبد مناف الشرفَ فأَطعموا فأَطْعَمْنا وحَملوا فحملنا وأَعطوا فأَعطينا حتى إذا تجاثَيْنا على الرُّكَب وكنا كفرسَىْ رهَان قالوا

مِنّا نبيٌّ يأْتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ ! والله لا نُؤْمن به أبدا ولانُصَدِّقه[1].

تنبيـه

اختلف فى إسلام الأَخْنَس بن شَرِيق وسيأْتى بَسْط الكلام على ذلك .

وروى البيهقى عن المغيرة بن شُعبة قال : أول يوم ٍ عرفتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنى كنت أمشى مع أبى جهل بن هشام فى أزقّة مكة إذ لقينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا الحكَم هلمّ[2] إلى الله وإلى رسوله أدعوك إلى الله ؟ فقال أبو جهل : يا محمد هل أنت مُنْتهٍ عن سبٍّ آلهتنا هل تريد أن نشهد أنك قد بلَّغت ؟ فوالله لو أعلم أن ما تقول حقٌّ اتبعتك ، فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم. فأقبل علىّ فقال : والله إنى لأَعلم أن ما يقول حق ، ولكن بنى قُصَىّ قالوا فينا الحجابة . قلنا نعم ، ثم قالوا : وفينا النَّدْوة قلنا نعم . ثم قالوا : وفينا اللِّوَاء . قلنا نعم . ثم قالوا : وفينا السِّقاية . قلنا نعم . ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكَّت الرُّكَب قالوا منا نبى ! والله لا أفعل[3] .

[تفسير الغريب]

الأَخْنَس : بفتح الهمزة فخاء معجمة ساكنة فنون مفتوحة فسين مهملة .

شَرِيق : بشين معجمة مفتوحة فراء مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فقاف .

تجاذَيْنا : بمثناة فوقية مفتوحة فجيم فألف فذال معجمة مفتوحة فياء مثناة ساكنة فنون فألف : قال فى الصِّحاح : الجاذِى المُقْعِى منتصبَ القدمين وهو على أطراف الأَصابع والجمع جِذاء مثل نائم ونِيام . قال أبو عمرو جذا وجَثَا لغتان . قال ابن الأَعرابى : الجاذى على قدميه والجاثى على ركبتيه .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣١٥ .

(٢) الأصل : هل إلى الله . وما أثبته من سيرة ابن كثير عن البيهقى .

(٣) سيرة ابن كثير ١/٤٠٦ .

الباب الرابع عشر

فى تحير الوليد بن المغيرة فيما يصف به القرآنَ والآيات التى أُنزلت فيه

روى ابن إسحاق ومقاتل فى تفسيره وابن أَبى حاتم وأَبو نُعَيْم والبيهقى والواحدىّ من طرق عن ابن عباس قال : لما أُنزل على النبى صلى الله عليه وسلم سورة غافر قرأَها النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فسمعها الوليد ثم انطلق إلى مجلس بنى مخزوم فقال : والله لقد سمعت من محمد كلاما آنفاً ما هو من كلام الإِنس ولا من كلام الجن ، إنَّ أَسْفله لَمُغْدق وإن أَعلاه لَمُونِق ، وإن له لحَلاوة وإن عليه لَطَلاوة ، وإنه يَعْلو ولا يُعْلَى . ثم انصرف .

فقالت قريش : لقد صبأَ الوليد ، والله لئِن صبأَ الوليد لتَصْبأَنّ قريش كلها . وكان يُقال للوليد ريحانةُ قريش . فقال أَبو جَهْل : أَنا أَكفيكموه .

فانطلق حتى دخل عليه وهو حزين فقال : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه فإنك أَتيت محمداً تتعرَّض لما قِبَلَه .

فقال : لقد عَلمتْ قريش أَنى من أَكثرها مالا .

قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك «أنك كاره له . قال : وماذا أَقول فيه ؟ والله إنه ليس من كلام الإِنس ولا من كلام الجِن . فقال له أَبو جهل : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : دعنى أُفكر فيه .

فلما اجتمع بقومه قال وقد حضر الموسم : يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستَقْدَم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأَمرِ صاحبكم هذا ، فأَجمعوا فيه رأْيًا واحداً ولا تختلفوا فيكذِّب بعضكم بعضاً . قالوا : فأَنت يا أَبا عبد شمس أَقم لنا رأْياً نَقولُه فيه . قال : بل أَنتم فقولوا أَسمع .

قالوا : نقول كاهن . قال : والله ما هو بكاهن ، فقد رأينا الكُهَّانَ فَمَا هو بزَمْزمةِ الكاهن ولا سجْعِهِ .

قالوا : فنقول مجنون . قال : والله ما هو بمجنون فقد رأينا الجنونَ وعَرَفْناه فما هو بخَنقِهِ ولا تَخَالُجه ولا وسوسته .

قالوا: فنقول شاعر . قال ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعركله رَجَزه وهَزَجه وقَرِيضه ومقبوضه ومَبْسوطه فما هو بشاعر .

قالوا : فنقول ساحر . قال : والله ما هو بساحر لقد رأينا السحَّار وسِحْرهم فما هو بنَفْثه ولا عُقَدِه .

قالوا : فما نَقُول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله إن لقوله حلاوة وإن عليه طلاوة وإن أصله لمُغْدق وإن فرعه لمثمر وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا وأنا أعرف أنه باطل ، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر ، فَما يقول سِحْرٌ يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته .

فتفرَّقوا عنه بذلك ، وجعلوا يجلسون بسُبُل الناس حين قدِموا الموسمَ لا يمرُّ بهم أحد إلا حذَّروه إياه وذكروه لهم .

وأنزل الله تعالى فى الوليد وفى ذلك من قوله : «ذَرْنى» أى اتركنى . وهى كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه[1] وغضبه وكره أن يُشْفَع لمن اغتاظ عليه . «ومن خلقتُ وحيداً» أى منفرداً بلا أهل ولا مال «وجعلت له مالا ممدودا» واسعًا متصلا من الزروع والضروع والتجارة . «وبنين» عشرة أو أكثر «شهودا» يشهدون المحافل وتُسْمع شهادتهم «ومَهَّدتُ» بسطتُ «له» فى العيش والعمر والولد «تمهيدا . ثم يَطْمع أن أَزِيدَ كَلاَّ» لا أزيده على ذلك «إنه كان لآياتنا» أى القرآن «عنيدا» معاندا «سأُرْهقه» أكلِّفه «صَعُودا» مشقة من العذاب أو جبلا من نار يصعد فيه ثم يهوى أبدا «إنه فَكَّر» فيما يقول فى القرآن الذى سمعه

(١) ص : من شدة غيظه .

من النبي صلى الله عليه وسلم . وقَدّر فى نفسه ذلك . « فقُتل » لُعن وعذِّب « كيف قدَّر » على أى حال كان تقديره . « ثم قتل كيف قدر » تكرير للمبالغة وثم للدلالة على أن الثانية أبْلَغ من الأولى وفيما يقدِّر على الأصل . « ثم نَظَر » فى وجوه قومه أو فيما يَقْدح به فى القرآن . « ثم عَبَس » قبض وجهه وكَلَّحه ضِيقًا بما يقول « وبَسر » زاد فى القبض والكلوح « ثم أَدْبَر » عن الإيمان « واسْتكبر » تكبر عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم فقال فيما جاء به : « إنْ » « ما هذا إلا سِحْرٌ يُؤْثر » ينقل عن السحرة « إنْ » ما « هذا إلا قول البشر » . كما قالوا : إنما يعلِّمه بَشَرٌ « سأُصْليه » أُدْخله « سَقَر » جهنم « وما أدراك ما سقر » تعظيم لشأْنها « لا تُبْقِى ولا تَذَر » شيئاً من لحم ولا عصب إلا أكلتْه ثم يعود كما كان « لَوَّاحة للبشر » مُحْرِقة لظاهر الجلد .

قال ابن اسحاق : وأنزل الله تعالى فى النفر الذين كانوا معه يُسِفُّون[1] القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به : « الذين جعلوا القرآن عِضِين » أصنافا ، وواحدة العِضين عِضة « فوربِّك لنَسْأَلنهم أجمعين » سؤال توبيخ « عما كانوا يعملون » .

قال ابن إسحاق : وصدرت العرب من ذلك الموسم بأَمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذِكْرُه فى بلاد العرب كلها[2] .

[تفسير الغريب]

الطُّلَاوة : بضم الطاء المهملة وبفتحها : الحُسْن والقبول .

مُونق : حَسَن مُعْجِب .

الزَّمْزمة : كلام خفىّ لا يُفْهَم .

السَّجْع : الكلام المنثور الذى له نهايات كنهايات الشعر .

بخَنقِه : يريد الاختناق الذى يصيب المجنون .

التخالُج : اضطراب الأعضاء وتحركها من غير إرادة .

---

(١) كذا بالأصل . وفى ابن هشام : يصنفون القول .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٢٧٠ .

الوَسْوسة : ما يلقيه الشيطان فى نفس الإنسان . الرَّجَز والهزج والقريض والمقبوض والمبسوط : هذه الخمسة أنواع من الشعر وقوله فما هو بنَفْثه ولا بعَقْده إشارة إلى ما كان يفعل الساحر من أن يعقد خيطا ثم ينفث ومن ذلك قوله تعالى . «ومن شرِّ النفَّاثات فى العُقَد» يعنى الساحرات .

العَذْق : بعين مهملة مفتوحة فذال معجمة الكثير الشُّعَب والأطراف . هذه رواية ابن اسحاق قال فى الروض : استعارة من النخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها إذا جنى . وهذه الرواية أفصح من التى بعدها لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله وفى رواية ابن هشام بغين معجمة فدال مهملة : الماء الكثير .

وإن فرعها لجناة أى فيه ثمر يُجْنَى .

السُّبُل : بضم أوله وثانيه جمع سبيل وهو الطريق .

الباب الخامس عشر

فى عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالأذى والفتنة

قال ابن اسحاق : ثم إن قريشاً تذامَروا بينهم على من فى القبائِل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا ، فوثبت كلُّ قبيلة على من فيها من المسلمين يعذِّبونهم ويفتنونهم عن دينهم فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ممن استضعفوه منهم ، فمنهم من يَفْتتن من شدة البلاء الذى يصيبهم ومنهم من تصلَّب لهم ويعصمه الله تعالى .

روى ابن إسحاق عن سعيد بن جُبَيْر قال : قلت لابن عباس : أكان المشركون يَبْلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يُعْذَرون به فى ترك دينهم ؟ قال : نعم ، والله إنْ كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه[1] ويعطشونه حتى ما يقدر يستوى جالسًا من شدة الضُّرِّ الذى نزل به حتى يقولوا له : اللات والعُزَّى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم حتى إن الجُعل ليمرّ بهم فيقولون له : هذا الجُعل إلهك من دون الله فيقول نعم . افتداء منهم مما يَبْلغون من جهدهم .

وكان أبو جهل الخبيث هو الذى يُغْرى بهم رجالَ قريش ، إذا سمع بالرجل أسْلَم له شَرَف ومَنعةٌ أنَّبه وأخْزَاه[2] فقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حِلمك ولَنفيِّلَنَّ رأيك ولنضعن شَرفك . وإن كان تاجرا قال : والله لنكْسِدن تجارتك ولنهلكن مالَك . وإن كان ضعيفا ضربه وأغْرى به .

فمن المستضعفين بلال رضى الله عنه ، وكان صادق الإسلام طاهر القلب .

قال ابن إسحاق وغيره : فكان أُمية بن خلف يخرجه إذا حَمِيت الظَّهِيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يأْمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا تزال

---

(١) ص : ويجوعونه .

(٢) الأصل : وحرا . وما أثبته من ابن هشام ١/٣٢٠ .

هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعُزَّى فيقول وهو فى ذلك البلاء : أَحَد أَحَد أنا كافر باللات والعُزَّى[1]

وروى البلاذُرىّ عن عمرو بن العاص قال : مررت ببلال وهو يعذَّب فى الرمضاء ولو أن بَضْعة لحمٍ وضِعت عليه لَنَضِجَت وهو يقول : أنا كافر باللات والعزى . وأمية مغتاظ عليه فيزيده عذابا فيُقْبل عليه فيَدْغت فى حَلْقه فيُغْشَى عليه ثم يفيق[2] .

وروى ابن سعد عن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال : حجَجْت – أو قال اعتمرت – فرأيت بلالاً فى حَبْلٍ طويل يمده الصبيان وهو يقول : أَحَد أحد أنا أكفر باللات والعزى وهُبَل ونائلة وبُوَانة فأَضجعه أُمية فى الرمضاء[3] .

وروى البلاذرى عن مجاهد قال : جعلوا فى عُنق بلال حبلا وأمروا صبيانهم أن يشتدُّوا به بين أَخْشَبَىْ مكة – يعنى جبليها – ففعلوا ذلك وهو يقول : أَحَد أَحَد[4].

وروى ابن سعد عن عروة قال : كان بلال من المستضعفين من المؤمنين وكان يُعَذَّب حين أَسْلَم ليرجع عن دينه فما أَعطاهم قط كلمة مما يريدون ، وكان الذى يعذبه أُمية بن خلف الجُمحى[5] .

وروى البلاذرى عن عمير بن إسحاق قال : كان بلالٌ إذا اشتدّ عليه العذاب قال : أَحد أَحد . فيقولون له : قل كما نقول فيقول : إن لسانى لا ينطق به ولا يُحسنه[6] .

قال البلاَذُرىّ : وروى أن بلالاً قال أعطشونى يوماً وليلة ثم أخرجونى فعذَّبونى فى الرمضاء فى يوم حارّ[7] .

قال ابن إسحاق : وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال : كان ورقة بن نوفل يمرّ ببلال وهو يعذَّب وهو يقول : أحد أحد . فيقول ورقة : أَحَد أحد والله يا بلال . ثم

---

(١) سيرة ابن هشام ٣١٨/١ ، ٣٢٠ .
(٢) أنساب الأشراف ١٨٥/١ . وفيه : فيذهب خلقه . محرقة .
(٣) أنساب الأشراف ١٨٥/١ .
(٤) أنساب الأشراف ١٨٥/١ .
(٥) أنساب الأشراف ١٨٥/١ .
(٦) أنساب الأشراف ١٨٥/١ .
(٧) أنساب الأشراف ١٨٦/١ .

يُقْبل على أُمية بن خلَف ومن يصنع ذلك به من بنى جَمَح فيقول : أحلف بالله لئن قتلتموه لأتخذنه حَنانًا .

حتى مرّ به أبو بكر الصديق رضى الله عنهما وهم يصنعون به ذلك ، وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال أبو بكر لأُمية : ألا تتقى الله فى هذا المسكين حتى متى تعذبه ؟ قال أنت أفسدتَه فأنقذه مما ترى[1] . قال أبو بكر : أفعل ، عندى غلام أسود أجْلَد منه وأقوى على دينك أعطيكه به . قال : قد قبلت . قال : هو لك . فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه[2] .

وروى البلاذرى بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال : لمّا أسلم بلال أخذه أهله فقَمَطوه وألقوا عليه من البطحاء ، وجعلوا يقولون : ربُّك اللاتُ والعزى . فيقول أَحَد أَحد . فأتى عليه أبو بكر رضى الله عنه فقال : عَلَامَ تعذِّبون هذا الإنسان ؟ فاشتراه بسبع أواقٍ وأعتقه . فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم أنه قد اشتراه فقال : الشركةَ يا أبا بكر . فقال : قد أعتقتُه يا رسول الله[3] .

وروى البلاذرى بسند جيد عن إسماعيل بن أبى خالد عن قيس قال : اشترى أبو بكر بلالا بخمس أواقٍ[4] .

* * *

ومنهم خبَّاب بن الأَرتّ بالمثناة الفوقية .

قال البلاذرى : قالوا كان الأَرت سَوَادِيًّا ، فأغار قومٌ من ربيعة على الناحية التى كان فيها فسبَوْه وأتوا به الحجاز فباعوه فوقع إلى سِبَاع بن عبد العزى الخزاعى حليف بنى زهرة . وزعم أبو اليقظان أن خَبَّابا كان أخا سِبَاع لأُمِّه[5]

---

(1) ت ، م : مما ترى فيه .

(2) سيرة ابن هشام ٣١٨/١ .

(3) أنساب الأشراف ١٨٦/١ .

(4) أنساب الأشراف ١٨٦/١ .

(5) أنساب الأشراف ١٧٥/١ .

قال البلاذرى : وخَبَّاب فيما يقول ولده : ابن الأَرتّ بن جندلة بن سعد بن خُزَيمة ، من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم ، وإنه وقع عليه سَبْى فصار إلى أم أَنْمار مولاته فأعتقته وإنه كانت به رتَّة ، كان أَلْكَن إذا تكلم بالعربية فسمى الأَرَتّ[1] .

وروى البلاذرىّ عن كردوس أن خَبَّابا أسلم سادسَ ستة[2] .

وروى البلاذرى عن الشَّعْبى قال : أعطوهم ما أرادوا حين عُذِّبوا إلا خَبَّاب بن الأَرت فجعلوا يُلْصقون ظهره بالأَرض على الرَّضْف حتى ذهبَ ماءُ مَتْنه[3] .

وروى البلاذرى عن الشَّعْبى ، ومن طريق آخر عن أبى ليلى الكِنْدى قال : جاء خَبَّاب إلى عمر رضى الله عنهما فقال له عمر : اذْنُه ادنه . فأجلسه على مُتَّكئه وقال : ما أَحدٌ أَحق بهذا المجلس منك إلا رجل واحد . قال : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : بلال – وفى رواية الشعبى ، عمار بن ياسر . قال : ما هو بأحق منى إن بلالا كان له فى المشركين من يمنعه[4] الله به ، ولم يكن لى أحد ، لقد رأيتُنى يومًا وقد أوقدوا لى نارًا ثم سلقونى فيها ثم وضع رجل رِجلَه على صدرى فما اتقيت الأَرض إلا بظهرى ثم كشف خباب عن ظهره فإذا هو قد بَرِص[5] .

وروى البلاذرى عن أبى صالح قال كان خباب قَيْنًا وكان قد أسلم ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَأْلفه ويأْتيه فأُخبرت بذلك مولاته فكانت تأْخذ الحديدة وقد أَحْمتها فتضعها على رأسه ، فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم انصر خَبَّابا فاشتكت مولاته رأسها وهى أُم أَنمار فكانت تَعْوى مع الكلاب ، فقيل لها اكتوى فكان خباب يأْخذ الحديدة قد أحماها فيكوى بها رأسها[6] .

قال محمد بن عمر الأَسْلَمى وكان الذى يعذِّب خبابا حين أسلم ولازم رسولَ الله

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٧٦ .

(٢) أنساب الأشراف ١/١٧٦ .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٧٦ .

(٤) غير ط : منعه .

(٥) أنساب الأشراف ١/١٧٧ .

(٦) أنساب الأشراف ١/١٧٨ .

صلى الله عليه وسلم عتبةُ بن أَبي وقاص . وقيل وهو الثبت الأَسود بن عبد يَغُوث[1].

وروى البخارى ومحمد بن عمر الأَسلمى والبيهقى عن خَبَّاب رضى الله عنه قال : "أَتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بُرْدَه فى ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت : يا رسول الله أَلا تدعو الله لنا ؟ فقعد مُحمرًّا وجهه فقال : إنْ كان من كان قبلكم ليمشَّط أَحدُهم بأَمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعَصب ما يَصْرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشارُ على مَفْرِق رأْس أَحدهم فيُشقّ باثنتين ما يَصْرفه ذلك عن دينه ، وليتمنّ اللهُ هذا الأَمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه[2] .

* * *

ومنهم صُهَيْب بن سِنَان الرومى .

روى ابن سعد عن عروة قال : "كان صهيب من المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا يعذبون فى الله[3] .

* * *

ومنهم عامر بن فَهيرة .

قال البلاذرى : قالوا كان عامر من المستضعفين فكان يعذَّب بمكة ليرجع عن دينه حتى اشتراه أَبو بكر وأَعتقه[4] .

وروى ابنُ سعد عن محمد بن كعب القُرُظى - بضم القاف وكسر الظاء المُشَالَة المعجمة - قال : كان عامر بن فهيرة يعذَّبُ حتى لا يدرى ما يقول[5] .

ومنهم أَبو فُكَيْهة واسمه أَفلح ويقال يَسار . وكان عبدًا لصفوان بن أُمية فأَسلم حين أَسلم بلال ، فمرّ به أَبو بكر رضى الله عنه وقد أَخذه أُمية بن خلف فربط فى رجله حبلًا

(١) أنساب الأشراف ١٧٩/١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب وكتاب الإكراه . وصحيح مسلم كتاب البر حديث رقم ٥٣ .

(٣) أنساب الأشراف ١٨١/١ .

(٤) أنساب الأشراف ١٩٤/١ .

(٥) أنساب الأشراف ١٥٨/١ .

وأمر به فجرٌ ثم ألقاه فى الرمضاء فمر به جُعْلٌ فقال : أليس هذا ربك فقال : الله ربى خلقنى وخلقك وخلق هذا الجُعْل فغلظ عليه وجعل يَخْنقه ومعه أخوه أُبىّ بن خلف يقول : زِدْه عذابًا حتى يأْتى محمد فيخلصه بسحْره . فأخرَجه نصفَ النهار فى شدة الحرّ مقيدًا إلى الرمضاء ووضع على بطنه صخرة فدلع لسانُه فلم يزل على تلك الحال حتى ظنوا أنه قد مات ، ثم أفاق فمرّ به أبو بكر رضى الله عنه فاشتراه وأعتقه[١]

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القُرَظى قال : كان أبو فُكَيْهة يعذَّب حتى – لا يدرى ما يقول[٢]

* * *

ومنهم عمّار بن ياسر وأبوه وأمه سُمَيَّة وأخوه عبد الله رضى الله عنهم .

روى البلاذرى والبيهقى عن مجاهد قال : أول من أظهر الإسلام أبو بكر وبلال وخَبَّاب وصُهَيْب وعمَّار ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه قومه ، وأما الآخرون فأُلْبسوا دروعَ الحديد وصُهروا فى الشمس حتى بلغ الجهد منهم ، وجاء أبو جهل إلى سُمَيَّة فطعنها فى قلبها فهى أول شهيدة فى الإسلام[٣] .

وروى ابن سعد عن محمد بن كعب القُرظى قال : أخبرنى من رأى عمارَ بن ياسر متجردًا فى سراويل . قال : ونظرت إلى ظهره فإذا فيه حَبَط فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا ما كانت قريش تعذِّبنى فى رَمْضاء مكة[٤] .

وروى البلاذُرى عنه أيضا قال : كان عمار يعذَّب حتى لا يدرى ما يقول[٥] .

وروى البلاذرى عن أم هانئ رضى الله عنها أن عمار بن ياسر وأباه ياسرًا وأخاه عبدالله ابن ياسر وسُمَيّة بن عمار كانوا يعذَّبون فى الله فمرَّ بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال :

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٩٤ .
(٢) أنساب الأشراف ١/١٥٨ .
(٣) أنساب الأشراف ١/١٥٨ .
(٤) أنساب الأشراف ١/١٥٨ .
(٥) أنساب الأشراف ١/١٥٨ .

صَبْرًا آل ياسر فإن موعدكم الجنة . فمات ياسر فى العذاب وأغلظت سمية لأبى جهل فطعنها فى قلبها فماتت ، ورُمى عبد الله فسقط[1] .

* * *

ومنهم جارية بنى المؤمل بن حبيب .

قال البلاذرى : وكان يقال لها فيما ذكر أبو البخترىّ : لَبِيبة[2] ، أسلمت قبل إسلام عمر بن الخطاب فكان عمر يعذِّبها حتى يَفْتر فيدَعها ثم يقول : أما إنى أعتذر إليك بأنى لم أدَعْك إلاسآمة[3] فتقول : كذلك يعذبك ربك إن لم تُسْلِم .

وروى ابن سعد عن حسان قال : قدمت مكة معتمرا والنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يؤذَوْن ويعذَّبون ، فوقفتُ على عمر وهو متوزر[4] يَخْنق جارية بنى عمرو بن المؤمل حتى تسترخى فى يديه فأقول قد ماتت . فاشتراها أبو بكر فأعتقها[5] .

* * *

ومنهم زِنِّيرة – بزاى فنون مشددة مكسورتين فمثناة تحتية ساكنة وهى فى اللغة الحصاة الصغيرة ويروى : زَنْبَرة بزاى مفتوحة فنون ساكنة فباء موحدة – الرومية كان عمر بن الخطاب وأبو جهل يعذِّبانها .

قال البلاذرى : قالوا وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء واتباعهم محمدًا ؟ فلو كان ما أتى به محمدٌ خيرا وحقا ماسبقونا إليه أفسبقَتْنا زِنِّيرة إلى رُشْد وهى من ترون . وكانت زنيرة قد عذِّبت حتى عميت فقال لها أبو جهل : إن اللات والعزّى فعلتا بك ما ترين . فقالت ، وهى لا تبصر : وما تدرى اللات والعزى من يَعْبدهما ، ولكن هذا أمرٌ من السماء وربِّى قادر على أن يرد بَصرى . فأصبحت تلك الليلة وقد رد الله بصرها ، فقالت

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٩٠ .

(٢) كذا وفى أنساب الأشراف : لبينة .

(٣) فى أنساب الأشراف : إلا عدامة . ولعله تحريف .

(٤) كذا فى ط . وفى بقية النسخ : وهو موتور . وفى أنساب الأشراف : مؤتزر .

(٥) أنساب الأشراف ١/١٩٥ ، ١٦٦ .

قريش : هذا من سِحْر محمد فاشتراها أبو بكر رضى الله عنه فأعتقها[1] .

* * *

ومنهم أم عُنَيْس – بعين مهملة مضمومة فنون فمثناة تحتية فسين مهملة – ويقال عبيس بباء موحدة فمثناة تحتية . أَمَة لبنى زُهْرة ، وكان الأسود بن عبد يغوث يعذبها فابتاعها أبو بكر[2] .

* * *

ومنهم النَّهْدية وابنتها . وكانت مولَّدة لبنى نهد بن زيد فصارت لامرأة من بنى عبدالدار فكانت تعذبهما وتقول : والله لا أقلعت عنكما أو يعتقكما بعضُ من صبأبكما[3] . فمر بهما أبو بكر رضى الله عنه وقد بعثتْهما فى طَحِين لها وهى تقول : والله لا أعتقكما أبدًا فقال : حل يا أم فلان فقالت حل أنت والله أفسدتهما فأعتِقْهما . قال : فبكم هما ؟ قالت : بكذا وكذا . قال : قد أخذتهما به وهما حُرَّتان أرجعا إليها طحينها قالتا : أَوْ نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها قال : أو ذاكما إن شئتما .

ومنهم أم بِلَال حمامة . ذكرها أبو عمر فى الدُّرَر فيمن كان يعذَّب فى الله فاشتراها أبو بكر وأعتقها . وأهملها أبو عمر فى الاستيعاب واستدركوها على الاستيعاب .

* * *

والحاصل مما تقدم : أن أبا بكر رضى الله عنه اشترى جماعة ممن كان يعذب فى الله تعالى ، وهم بلال وأمه وعامر بن فهيرة وأبو فكيهة وجارية بنى المؤمل والنهدية وابنتها وزِنِّيرة .

وروى الحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير قال : قال أبو قحافة لأبى بكر رضى الله عنهما : يا بنى أراك تعتق رقابًا ضعافا فلو أنك فعلت ما فعلت فأعتقت رجالا جُلَداء يمنعونك ويقومون دونك ؟ فقال أبو بكر رضى الله عنه : يا أبت إنما أريد ما أُريد لله

---

(1) أنساب الأشراف ١/١٩٦ .

(2) أنساب الأشراف ١/١٩٦ .

(3) أنساب الأشراف : لا أقلعت عنك أو يعتقك بعض من صباتك .

عز وجل . فأنزل الله تعالى : « فأمّا من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى » إلى آخر السورة[1].

قال عمار بن ياسر رضى الله عنه يذكر بلالا وأصحابه الذين أعتقهم أبو بكر مما كانوا فيه من البلا وكان اسم أبى بكر عَتِيقا :

جزى الله خيرًا عن بلالٍ وصَحْبه ... عَتِيقا وأخْزى فاكها وأبا جهلِ

عشيَّةَ هَمَّا فى بلال وصحبه ... ولم يَحْذَرا ما يحذر المرءُ ذو العقل

بتوحيده ربَّ الأنام وقوله ... شهدت بأن الله ربى على مَهَلِ

فإن تقتلونى تقتلونى ولم أكن ... لِأُشْرِك بالرحمن من خِيفة القَتْلِ

فيارَبَّ إبراهيم والعبد يُونس ... وموسى وعيسى نَجِّنى ثم لا تُمْلِ

لمن ظل يَهْوَى العز من آل غالب ... على غير حق كان منه ولا عَدْلِ

[تفسير الغريب]

رمضاء مكة : الحجارة التى أحرقتها الشمس .

الجُعْل – بضم الجيم وسكون العين : دابة من الحشرات .

أنّبه : بالَغ فى توبيخه . الذّعت – بذال معجمة فعين مهملة : الخَنْق والدّعت بالدال والذال : الدفع العنيف . والدعت أيضا : المَعْك فى التراب .

لأتخذنه حَنانا : يعنى لئن قتلتموه وهو على هذه الحالة لأتخذنه حنانا أى أتخذنّ قبره مَسْكَنا ومُستَرْحما ، والحنان : الرحمة . كذا ذكر عُرْوةُ قولَ ورقة هنا فدلَّ على أنه عاش بعد البعثة . وتقدم الكلام على ذلك فى باب بدء الوحى .

سَواديًّا : أى من أهل سَواد العراق .

ماء مَتْنه : بمدّ ماء قال فى الصحاح : مَتُن الشئ بالضم متانة فهو متين أى صُلْب . ومَتْنا الظهر : مُكْتَنفا الصُّلْب عن يمين وشمال من عَصب ولحم ، يذكَّر ويؤنث

القَيْن : الحدّاد . صَهروهم : أحرقوهم .

الرَّضْف : الحجارة المحمّاة .

جُلَداء بضم الجيم وبالمد جمع جَلْد بالفتح وهو القوىّ الشديد .

---

(١) سيرة ابن كثير ٤٩٣/١ .

الباب السادس عشر

في الهجرة الأُولى إلى الحبشة وسبب رجوع من هاجر إليها من المسلمين

وكانت فى شهر رجب سنة خمس من المبعث .

قال ابن إسحاق فلما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابَه من البلاء وما هو فيه من العافية من الله تعالى ثم من عمه أبي طالب ، وأنه لا يَقْدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها مَلِكًا لا يُظْلَم عنده أحد وهى أرض صِدْق ، حتى يجعل الله تعالى لكم فَرَجًا مما أنتم فيه .

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارًا إلى الله تعالى بدينهم فكانت أولَ هجرة كانت فى الإسلام .

وكانوا – فيما قيل – اثنى عشر رجلا وامرأتين . وقيل عشرة رجال . وبه قال ابن إسحق وابن هشام وقيل اثنى عشر رجلا وثلاث نسوة . وقيل اثنى عشر رجلا وأربع نسوة . وقيل : اثنى عشر رجلا وخمس نسوة . وجزم به العراقىّ فى الدُّرَر .

وكان أول من هاجر منهم عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى يعقوب بن سُفْيان رحمه الله تعالى عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط .

وعبد الرحمن بن عوف . وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه امرأته سَهْلة بنت سُهَيْل بن عمرو . والزبير بن العوام بن ربيعة[1] . ومُصْعَب بن عُمَيْر ، وأبو سلمة بن عبد الأسد وامرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وعثمان بن مَظْعون ، وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حَثْمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد .

---

(١) كذا بالأصل ، والذى فى ابن هشام ٣٢٢/١ : الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .

قال الحافظ الوقشي : كذا وقع وإنما هو غانم بن عامر بن عبد الله بن عَبِيد بفتح العين المهملة — ابن عَوِيج بفتح العين المهملة وكسر الواو فمثناة تحتية فجيم وأقره الخُشني وذكر أبو عمر مثله .

وروى الطبراني بسند صحيح عن ليلى بنت أبي حَثْمة قالت : كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما تَهَيأْنا للخروج إلى أرض الحبشة أتانا عمر بن الخطاب وأنا على بعيري وأنا أريد أن أتوجه فقال : أين يا أُمّ عبدِ الله ؟ فقلت : آذيتمونا في ديننا فنذهب في أرض الله حيث لا نُؤْذى . فقال : صَحِبكم الله . ثم ذهب فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رِقّة عمر فقال : ترجِّين أن يُسْلم ؟ والله لا يسلم حتى يسلم حمارُ الخطاب !

وسهيل بن بَيْضاء وأبو سَبْرة بن أبي رُهْم العامري ويقال بدله : حاطب بن عمرو العامري . زاد بعضهم : وأم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو امرأة أبي سَبْرة بن أبي رُهْم ، وعبد الله بن مسعود وجَزم ابن إسحاق بأنه إنما كان في الهجرة الثانية وصححه الحافظ .

قال ابن هشام وكان عليهم عثمان بن مَظْعون فيما ذكر لي وأنكر ذلك الزُّهْري وقال : لم يكن لهم أمير .

فخرجوا متسلّلين سرًّا حتى أتوا الشُّعَيْبِية منهم الراكب ومنهم الماشي ، ووفق الله للمسلمين ساعةَ جاءوا سفينتين للتجار حمَلوهم فيهما بنصف دينار وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدًا .

قالوا : وقدِمْنا أرضَ الحبشة فجاوَرْنا بها خيرَ جار أَمِنَّا على دِيننا وعبَدْنا الله تعالى لا نُؤْذَى ولا نسمع شيئًا نكرهه .

وكان المشركون يقولون : لو ذكر محمد آلهتنا بخير قَرَّرناه وأصحابَه ولكنه لا يذكر من خالفه من اليهود والنصارى بمثل ما يذكر به آلهتنا من الشتم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اشتد عليه ما نال أصحابَه من أذاهم وتكذيبهم وأَحزَنته ضلالتهم ، وكان يتمنى هداهم ، فاتفق أنه قرأ يومًا سورة النجم وكان يرتل

قراءته فلما بلغ : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الآخرى[1] » ارتصده الشيطان فى سَكْتة من سكتاته فألقى عندها : وإنهن الغَرانيق العُلاَ وإنّ شفاعتهن لترتجى . محاكيًا نَغْمته بحيث سمعه من دنا إليه فظنها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعها فوقعت فى قلب كل مشرك بمكة وزلّت بها ألسنتهم وتباشروا بها وقالوا : إن محمدا قد رجع إلى ديننا . فلما بلغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آخرَ النَّجم سجد وسجد معه كلُّ مُشْرك غير الوليد بن المغيرة كان شيخا كبيرا ملأ كفّه ترابا فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود بسجود النبى صلى الله عليه وسلم ، وعجب المسلمون لسجود المشركين معهم ولم يكن المسلمون سمعوا ما ألقى الشيطانُ كما قاله موسى بن عُقْبة ، وأما المشركون فاطمأنوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وفشَتْ تلك الكلمة فى الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرضَ الحبشة ومن بها من المسلمين .

ولما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذلك ساءه فأنزل الله تعالى : « وما أرسَلْنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تَمَنّى » قرأ « ألقى الشيطانُ فى أُمْنيته » أى فى قراءته كما قال الفرّاء ويؤيده ما رواه ابن جرير وعلقه البخارى فى صحيحه عن ابن عباس فى قوله تعالى : « إذا تمنىّ ألقى الشيطان فى أمنيته » قال : إذا حَدَّث ألقى الشيطانُ فى حديثه[2] « فَيَنْسَخُ الله » يُبْطل « ما يُلْقِى الشيطان ثم يُحْكم الله آياته » يثبتها « والله عليمٌ » بإلقاء الشيطان ماذكر « حَكِيم » فى تمكينه منه يفعل ما يشاء إلى آخر الآية .

والذى قدمناه من قصة الغرانيق له طرق كثيرة ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح وهى مَراسيل يَحتجّ بمثلها من يحتج بالمرسَل وكذا من لا يحتج به لاعتضاد بعْضها بعضًا روى الأُولَ : ابنُ جَرِير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس .

قلت : ورواه الحافظ ضياء الدين المقْدسى فى صحيحه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

---

(١) سورة النجم ١٩ ، ٢٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة الحج) .

والثانى : رواه ابن جرير عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

والثالث : رواه ابن جرير عن أبى العالية .

قال الحافظ : وقد تجرأ أبو بكر بن العربى كعادته فقال : ذكر الطبرى فى ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها . وهو إطلاق مردود عليه . وكذا قول القاضى : هذا الحديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقةٌ بسند سليم إلى آخر كلامه . قال الحافظ : جميع ذلك لا يتمشَّى على القواعد ، فإنَّ الطرق إذا كثرت وتباينت مخارجها دلَّ ذلك على أن للقصة أصلا[1] . انتهى وسيأْتى الكلام على ذلك بأَبْسط مما هنا فى أبواب عصمته صلى الله عليه وسلم .

* * *

قال ابن إسحاق فلما أن بلغ المسلمين الذين بأَرض الحبشة ذلك وأن أهل مكة أسلموا حتى إن الوليد بن المغيرة وأبا أُحَيْحة قد سجدا خلفَ النبى صلى الله عليه وسلم فقال القوم : فمن بقى بمكة إذا أسلم هؤلاء ؟ وقالوا : عشائرنا أحبُّ إلينا . فخرجوا راجعين حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركْبًا من كِنَانة فسأَلوهم عن قريش وعن حالهم فقال الركب : ذكَر محمدٌ آلهتهم بخير فتابعه الملأُ ثم رجع فعاد لشَتْم آلهتهم وعادوا له بالشرّ فتركناهم على ذلك .

فائتمر القومُ بالرجوع إلى الحبشة ثم قالوا : قد بَلَغْنا نَدْخل فننظر ما فيه قريش ويُحْدِثُ عَهْدًا من أراد بأَهله ثم يرجع .

ولم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً إلا ابن مسعود فإنه مكث يسيرا ثم رجع

---

(١) قصة الغرانيق هذه مفتراة لا أصل لها ، كما ذكر ابن العربى وغيره ص ٣٥٤ الاكتفاء .

قال السهيلى : وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة . . ثم قال : والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته .

وقال القاضى عبد الجبار فى كتابه : «تنزيه القرآن عن المطاعن» ص ٢٤٣ : «فإن قيل : فما المراد بقوله : « إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته » وكيف يصح ذلك على الأنبياء ؟

وجوابنا : أن المراد : إذا تلا يلحقه السهو فى قراءته وذلك معروف فى اللغة ، فلذلك قال بعده : « فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته » ولو كان المراد غير ما ذكرناه من التلاوة لم يصح ذلك . فأما ما يرويه الحشوية من أنه صلى الله عليه وسلم ذكر فى قراءته أصنامهم وقال : إن الغرانيق العلا شفاعتهن ترتجى . حتى فرح الكفار فلا أصل له ، ومثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة » .

إلى أرض الحبشة وكانوا خرجوا فى رجب سنة خمس فأقاموا شعبان ورمضان ، وكانت السجدة فى رمضان وقدموا فى شوال من السنة المذكورة .

وكان من قدم على رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم منهم من أقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بَدْرا ومنهم من حُبس عنه حتى فاته بدر وغيره ، ومنهم من مات بمكة . ودخل عثمانُ بن مَظْعون بجوارٍ من الوليد بن المغيرة .

فلما قدم أولئك النفر مكة اشتد عليهم قومهم وسطَتْ عليهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديدًا .

ولما رأى عثمان بن مَظْعون ما فيه أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان الوليد بن المغيرة قال : والله إنّ غدوِّى ورواحى آمِنًا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابى وأهلُ دِينى يَلْقون من البلاء والأذى فى الله ما لا يصيبنى لَنقصٌ كبير فى نفسى . فمشى إلى الوليد فقال يا أبا عبد شمس وفَتْ ذِمتُك وقد ردَدْتُ إليك جوارك . قال : لِمَ يا بن أخى ، لعله آذاك أحد من قومى ؟ قال : لا ولكنى أرْضَى بجوار الله عز وجل ولا أريد أن أستجير بغيره . قال : فانطلقْ إلى المسجد فارْدُدْ علىَّ جوارى علانية كما أجَرْتُك علانيةً . فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يردّ علىّ جوارى . قال : صَدَق قد وجدتُه وفيًّا كريم الجوار ولكننى قد أحببت ألا أستجير بغير الله عز وجل فقد رددت عليه جواره .

ثم انصرف عثمان ولَبيد بن ربيعة بن مالك فى مجلس من قريش يُنْشدهم قبلَ إسلامه ، فجلس عثمان معهم فقال لبيد :

ألا كل شئٍ ما خلاَ الله باطلُ

فقال عثمان : صدقتَ .

فقال لبيد :

وكلُّ نعيمٍ لا محالَة زائلُ

فقال عثمان : كذبتَ ، نعيمُ الجنة لا يزول . قال لبيد : يا معشر قريش والله ما كان

يُؤْذى[1] جَلِيسكم فمتى حَدث هذا فيكم ؟ فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا دِيننا فلا تجدنّ فى نفسك من قوله . فردَّ عليه عثمان حتى شَرِى أمرُهما فقام ذلك الرجل فلطَم عينه فخَضَّرها[2] والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلَغ عثمان فقال : أمَا والله يا ابن أخى إنْ كانت عينُك عما أصابها لَغَنيّة ولقد كنت فى ذمة مَنِيعة . فقال عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لَفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها فى الله عز وجل وإنى لفى جوار من هو أعزّ منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فقال له الوليد : هلمّ يا ابن أخى إن شئت إلى جوارك فعُدْ . فقال : لا .

ولما أجار أبو طالب أبا سلمة بن عبد الأسد مشى إليه رجالٌ من بنى مخزوم فقالوا له : يا أبا طالب هذا منعتَ ابنَ أخيك محمدًا فمالك ولصاحبنا تمنعه ؟ فقال : إنه استجار بى وهو ابن أُختى وإن أنا لم أمنع ابنَ أختى لم أمنع ابنَ أخى . فقام أبو لهب فقال : يامعشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالونّ توثّبون عليه فى جواره من بين قومه ، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه فى كل ما قام فيه حتى يَبْلغ ما أراد . قالوا : بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة . وكان لهم وليًّا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأَبقَوْا على ذلك .

فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يحرِّض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

إن امرءاً أبو عتيبة عمُّــــه ... لفى رَوضـةٍ ما إنْ يُسَام المظالمـا
أقــول لـه وأين منـه نصيحتى ... أبا معتب ثبِّت سـوادك قائِمـا
ولا تقبلن الدهرَ ما عشت خُطَّـةً ... تُسَبُّ بهـا إمّـا هبطت المواسما
وولِّ سـبيل العَجْـز غيرك منهم ... فإنك لم تُخْلق على العجز لازمَا
وحاربْ فإن الحرب نصْف ولن ترى ... أخا الحرب يعطِى الخسفَ حتى يُسالِما

(١) ط : ما كان يؤذيكم .
(٢) خضرها : ورمها .

وكيف ولم يَجنُوا عليك عظيمةً ... ولم يخذُلوك غانماً أَو مُغَارمـا
جزَى الله عنا عبدَ شمس ونوفلا ... وتيْما ومَخْزوما عُقوقًا ومأْثَمـا
بتفريقهم من بعد ودٍّ وأُلفـة ... جماعتَنـا كَيما ينـالوا المحارمَا
كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى مُحَمَّدًا ... ولمّا تروا يومًا لدى الشِّعْب قائمًا[1]

تَنْبيهاتٌ

الأول : ظاهر كلام ابن إسحاق أَن رجوع من هاجر إلى الحبشة كان بعد أَن صار المسلمون هناك زيادة على الثمانين ، فإنه بعد أَن ذكر خروجَ أَصحاب الهجرة الأُولى ذكر خروج جعفر وأَصحابه ، ثم ذكر بعد ذلك أَن المهاجرين إلى الحبشة بلغَهم إسلامُ أَهل مكة فأَقبلوا لمّا بلَغهم ذلك . فذكر نحو ما تقدم ، وأَن الراجعين : عثمان بن عفان ، وأَبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة ، وامرأَته سهلة بنت سُهَيْل ، وعبد الله بن جحش ، وعُتْبة بن غَزْوان ، والزبير بن العوَّام ، ومُصْعَب بن عمير ، وسُوَيْبط بن سعد ، وطُلَيْب بن عمرو ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وأَبو سلَمة بن عبد الأَسد ، وامرأَته أُم سلمة ، وشَمَّاس ابن عثمان ، وسلمة بن هشام بن المغيرة حبسه عمُّه بمكة فلم يَقْدم إلا بعدَ بَدْر وأُحد والخندق ، وعَيَّاش بن أَبي ربيعة ، وعمار بن ياسر – شكّ فيه أَكان خرج – ومُعَتِّب بن عوف ، وعثمان ابن مَظْعُون ، وابنه السائب بن عثمان ، وأَخوا عثمان : قُدَامة وعبد الله ، وخُنَيْس بن حُذَافة ، وهشام بن العاصي حُبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدِم بعد بدر وأُحد والخندق . وعامر بن ربيعة وامرأَته ليلى بنت أَبي حَثْمة بن غانم وعبد الله ابن مَخْرَمة ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو وكان حُبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة حتى كان يوم بدر فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدراً ، وأَبو سَبْرة بن أَبي رُهْم وامرأَته أُم كلثوم بنت سهل بن عمرو ، والسَّكْران بن عمرو وامرأَته سَوْدة بنت زَمْعة ، مات بمكة قبل مُهَاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعد بن خَوْله ، وأَبو عبيدة بن الجراح ، وعمرو بن الحارث بن زهير وسهيل ابن بيضاء ، وعمرو بن أَبي سَرْح .

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٧٠ – ٣٧١ .

قال : فجميع من قدم مكةَ من أصحابه من أَرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا[1].
انتهى .

وموسى بن عقبة ذكر أَن الراجعين من الحبشة للسبب السابق هم المهاجرون أولاً وبه صرح فى الطبقات والعيون والإشارة والمورد .

* * *

الثانى : ذكر موسى بن عُقْبة أَن ابن مسعود مكث بمكة قليلا ورجع إلى الحبشة حتى قدم فى المرة الثانية مع من قدِم وتعقبه فى زاد المعاد بأَن عبد الله بن مسعود شهد بدرًا وأَجهز على أَبى جهل ، وأَصحاب هذه الهجرة إنما قدموا المدينة مع جعفر وأَصحابه بعد بدر بأَربع سنين أَو خمس . وبسَط الكلام على ذلك . ثم قال : وقد ذكر - يعنى ابن عُقْبة - فى هذه الهجرة الثانية عثمانَ بن عفان وجماعة ممن شهدوا بدرًا ، فإما أَن يكون هذا وَهْمًا وإما أَن يكون لهم قَدْمةٌ أُخرى قبل بدر ، فيكون لهم ثلاث قَدمات : قَدْمة قبل الهجرة ، وقَدْمَة قبل بَدْر ، وقَدْمَة عام خَيْبر .

قلت : هذا هو الصحيح بلا شك .

قال : وعلى هذا فيزول الإشكال . انتهى ملخصا .

التنبيه الثالث

فى بيان غريب ما سبق

الشُّعَيْبة : بضم الشين المعجمة وفتح العين المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الموحدة تصغير شعبة مكان على ساحل البحر بطريق اليمن .

الغرانيق : بالغين المعجمــة ها هنا الأَصنام وهى فى الأَصل الذُّكور من طَيْر المـاء وقيل طير الماء مطلقا إذا كان أَبيض طويل العنق واحدها غُرْنوق بضم الغين وفتح النون . وغِرْنَيْق بكسر الغين وفتح النون ، سمِّى به لبياضه وقيل هو الكرْكِىّ . وكانوا يزعمون أَن الأَصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبِّهت بالطيور التى تَعْلُو فى السماء وترتفع

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٦٤ - ٣٦٩ .

الباب السابع عشر

فى إسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

قال ابن إسحاق : وكان إسلام عمر عقب الهجرة الأُولى إلى الحبشة .

قال فى « الزَّهْر » : وكان إسلامه فى ذى الحجة سنة ست من المبعث وله ست وعشرون سنة فيما ذكره ابن سعد عن ابن المسيَّب .

وقال ابن الجوزى : سنة خمس . قال أبو نعيم : بعد إسلام حمزة بثلاثة أيام .

قال ابن إسحاق : وكانوا – أى المسلمون – قريبا من أربعين من رجال ونساء وتقدم ذكرهم فى الباب الثالث من أبواب المبعث .

وقال ابن المسيّب فيما رواه ابن سعد : كانوا أربعين رجلا وعشر نسوة .

وروى إسحاق بن بشر عن ابن عباس أنهم كانوا يومئذ تسعة وتسعين[1] رجلا وثلاثا وعشرين امرأة ثم إن عمر أَسْلَم .

قال فى الزَّهْر : ولعل هذا هو الصواب ، فقد كان فى الحبشة ثلاثة وثمانون كما ذكر ابن إسحاق .

قلت : ابن إسحاق إنما ذكر ذلك فى الذين هاجروا ثانياً وإسلام عمر كان بين الهجرتين كما تقدم عن ابن عباس ، فالزيادة على الأربعين حصلت بعد إسلام عمر وإسحاق كذّاب يَضع ، لا يُصَادم ما رواه ما ذكره الثقات . والله أعلم .

* * *

واختلف فى سبب إسلامه كما سأُبينه .

وقد روى قصة إسلامه ابنُ إسحاق ، وابن سعد ، وأبو يعلى ، والحاكم عن أنس ، والبزار والطبرانى عن أَسْلَم مولاه عنه ، وأبو نُعَيْم عن ابن عمر .

---

(١) كتب فوقها فى ط : وثلاثين . وعليها حرف ظ .

قال أَسْلَم مولاه عنه : أتحبون أن أعلمكم بإسلامى ؟ قلنا : نعم قال : كنت أشد الناسِ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلست يومًا مع أبى جهل بن هشام أو شيبة ابن ربيعة ، فقال أبو جهل : يا معشر قريش إن محمدا قد شتم آلهتكم وسفَّه أحلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون فى النار ، ألاَ ومن قتل محمدا فله علىّ مائة ناقة حمراء وسوداء وألف أوقية من فضة .

قال عمر : فخرجت متقلدًا السيفَ مُتَنكِّبا كِنانتى أريد النبىَّ صلى الله عليه وسلم ، فمررت على عِجْل وهم يريدون ذَبْحه فقمت أنظر إليهم فإذا صائح يصيح من جوف العجل : ياذَريح ، رجل يصيح ، بلسان فصيح ، يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . قال عمر : فقلت فى نفسى إن هذا لأمرٌ مايراد به إلا أنا . قال : ثم مررت بغنم فإذا هاتف يهتف ويقول :

يا أيها النـاس ذَوُوا الأجسام ... ما أنتم وطائِش الأَحـلامِ[1]

ومُسْند الحكم إلى الأَصنـام ... فكلكم أَوْرَه كالكهـامِ

أَمَا تـرون ما أرى أمـامى ... من ساطع يَجْلو دُجَى الظلامِ

قـد لاحَ للناظـر من تهـام ... أكـرمه الرحمنُ مـن إمـام

قـد جـاء بعدَ الكفر بالإسلام ... والبرِّ والصِّلات للأَرحـام

ويزجُـر النـاس عن الآثـام ... فبادِروا سـبقًا إلى الإسـلامِ

بلا فتـور وبلا إحجـام

قال عمر : فقلت والله ما أراه إلا أرادنى . ثم مررت بالضِّمار فإذا هاتف يهتف من جوفه :

تُـرك الضمار وكان يُعْبَد مـرةً ... قبـلَ الصـلاة مع النبى محمدِ

إنّ الذى وَرث النبوة والهـدَى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدِى

سيقول من عبدَ الضمارَ ومثلَـه ... ليت الضمارَ ومثـلَه لم يُعْبَـدِ

فاصبر أبـا حفص فإنك امـرؤ ... يـأْتيك عِـزّ غير عز بنى عَـدِى

---

(١) كذا . وقد سبقت رواية الأبيات بغير هذا الترتيب فى باب الهواتف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

لا تَعْجلن فأَنت ناصـرُ دِينـه حقًّا يقينا باللسانِ وباليـدِ[1]

قال عمر : فوالله لقد علمت أنه أرادنى . فَلَقِيَنى رجل من قريش .

قال ابن إسحاق : هو نُعَيم بن عبد الله النحَّام وكان قد أَسلم وكان يخفى ذلك فرقًا من قومه . فقال : أَين تذهب يابن الخطاب ؟ قلت : أُريد هذا الصابئ الذى فرَّق أَمرَ قريش وسفَّه أَحلامها وعاب دينها وسبَّ آلهتها فأَقتله . فقال له نعيم : والله لقد غَرَّتك نفسك من نفسك يا عمر أَترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على وجه الأَرض وقد قتلتَ محمدًا ؟ أَفلا ترجع إلى أَهل بيتك فتقيم أَمرَهم ؟! قال : وأَىّ أَهل بيتى ؟ قال : خَتَنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمر وأُختك فاطمة بنت الخطاب ، فقد والله أَسْلَما وتابعَا محمدا على دينه فعليك بهما . وإنما فعل ذلك نُعَيم ليَصرف عمرَ عن أَذى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فرجع عمر عامدًا إلى أُخته وخَتَنه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أَسلم بعضُ من لا شئ له ضمَّ الرجلَ والرجلين إلى الرجل يُنْفق عليه ، وكان ضمَّ رجلين من أَصحابه إلى زوج أُخت عمر فقرع عمر عليهم الباب وعندهم خبَّاب بن الأَرت معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها فلما سمعوا حسَّ عمر تغيَّب خبَّابٌ فى مَخْدَع لهم أَوفى بعض البيت وأَخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع حين دنا من البيت قراءةَ خَبَّاب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهَيْنمة التى سمعتُ ؟ قالا له : ما سمعتَ شيئا . قال : بلى والله لقد أخبرت أَنكما تابَعْتما محمدًا على دينه . وبطَش بختَنه سعيد بن زيد فقامت إليه أُخته بنت الخطاب لِتكفَّه عن زوجها ، فضربها فشجَّها فلما فعل ذلك قالت له أخته وخَتَنه : نعم قد أَسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بَدا لك .

فلما رأَى عمر ما بأُخته من الدم ندم على ما صنع فارعوَى وقال لأُخته أَعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرءون آنفا أَنظر ما هذا الذى جاء به محمد . وكان عمر كاتبًا فلما قال ذلك قالت له أُخته : إنا نخشاك عليها . قال : لا تخافى . وحلَف لها بآلهته ليردّنها إذا

---

[1] تبدو أمارات الصنع على هذه الرواية ، وقد نسب مثل هذا إلى العباس بن مرداس .

قرأها إليها . فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت : يا أخى أنت نَجِس على شِرْكك وإنه لا يمسّه إلا الطاهر . فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ صدراً منها فقال ما أَحْسَن هذا الكلام وأكرَمَه .

وفى رواية أنه وجد فى الصحيفة : بسم الله الرحمن الرحيم . فذكر من أين اشتق . ثم رجع إلى نفسه فقرأ سَبَّح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم حتى بلغ « آمنوا بالله ورسوله وأنفِقوا مما جعلكم مُسْتَخْلَفين فيه » فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . انتهى .

فلما سمع ذلك خَبَّاب خرج إليه فقال له يا عمر والله إنى لأرجو أن يكون الله تعالى قد خصَّك بدعوة نبيه فإنى سمعته أمس وهو يقول : اللهم أَيِّد الإسلامَ بأَبى الحكَم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب فاللهَ الله يا عمر . فذكر الحديث .

* * *

وفى رواية مجاهد عمن روى أن عمر قال : كنت للإسلام مُبَاعدا وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أصبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزَوَّرة عند دُور آل عمر بن عبد عمران المخزومى ، فخرجت ليلةً أُريد جلسائى أُولئك فى مجلسهم ذلك فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا فقلت فى نفسى : فلو أنى جئت فلانا الخمَّار وكان بمكة يبيع الخمر ، لعلى أجد عنده خمرا فأشرب منها فخرجت فلم أجده . فقلت فى نفسى : فلو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلِّى وكان إذا صلى استقبل الشامَ وجعل الكعبةَ بينه وبين الشام ، فكان مُصَلاَّه بين الركنين الركن الأسود والركن اليمَانى فقلت حين رأيته : والله لو سمعتُ لمحمد الليلة حتى أسمعَ ما يقول . فقلت لئن دنوت منه أستمع لأُروِّعنه فجئت من قِبَل الحجر فدخلت تحت ثيابه فجعلت أمشى رويدًا رويدا ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائِم يصلِّى يقرأُ القرآن حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه إلا ثيابُ الكعبة ، فلما سمعت القرآن رقَّ له قلبى فبكيت ودخلنى الإسلام ، فلم أزل قائِما فى مكانى

حتى قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم صلاتَه وانصرف، فتبعته حتى دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر[1] أدركتُه ، فلما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حِسِّى عَرفنى فظن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنما تبعته لأُوذيه فنَهمنى[2] ثم قال : ما جاء بك يا بن الخطاب هذه الساعة ؟ قلت : جئت لأُومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله . قال : فحمد الله تعالى ثم قال : قد هداك الله يابن الخطاب . ثم مَسَح صدرى ودعا لى بالثبات . ثم انصرفتُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته .

وفى رواية أن خبَّابا لما قال لعمر : فالله الله يا عمر . قال له عمر عند ذلك : دُلَّنى يا خبَّاب على محمد حتى آتيه فأسلم . فقال خباب : هو فى بيته عند الصفا معه نفر من أصحابه . فأَخذ عمر سيفه متوشحَه ثم عَمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجلٌ من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خَلل الباب فرجع وهو فَزِع[3] فقال : يارسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشِّحا السيفَ ، فقال حمزة بن عبد المطلب : فَأْذن له فإن كان يريد خيرًا بذلناه له وإن كان جاء يريد شرًّا قتلناه بسيفه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائذن له فإن يُرد اللهُ به خيرا يهده فأَذِن له الرجل وفتحوا له ، وأَخذ رجلان بعَضُدَيْه حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أَرسِلوه . فأَرسَلوه ، فنهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه فى الحجرة فأَخذ بحُجْزته أَو بمجمع ردائه ثم جَبذه جَبْذةً شديدة وقال : ما جاء بك يا بن الخطاب ؟ فوالله ما أَراك[4] أن تنتهى حتى يُنْزِل الله بك قارعةً . فقال[5] : يارسول الله جئت لأُومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله . فكبَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرةً عرف أَهلُ البيت من أَصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أَسلم ،

---

(١) ط : ودار أزهر .
(٢) الأصل : فنهمه .
(٣) ت ، م : وهو جزع .
(٤) ط : ما أرى .
(٥) غير ط : فقلت .

فكبّروا تكبيرة سُمعت بطرق مكة وتفرّقوا من مكانهم وقد عزُّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما سيمنعان رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوٍّهم .

وقال عمر حين أسلم :

الحمد لله ذى المنِّ الذى وجبَتْ
له علينــا أيادٍ كلها عِــبَرُ

وقد بدأنا فـكذَّبنـا فقالَ لنـا · صِــدْقَ الحديث نبيٌّ عنده الخبرُ

وقد ظلمتُ ابنةَ الخطاب ثمهَدى · ربى وقالوا جميعا قد صَبا عُـمَرُ

وقد ندمتُ على ما كان من زَلَلى · بظُلْمها حين تُتْلَى عندها السُّوَرُ

لمَّا دَعتْ ربَّها ذا العَرْش خالقَها · وأن أحمد فينا اليوم مُشْتَــهر

نَبىٌّ صدق أتى بالحق من ثقــة · وافِى الأمانة ما فى وعده خَورُ(1)

* * *

وروى ابن اسحاق عن بعض آل عمر قال : قال عمر لما أسلمتُ تلك الليلة تذكّرت أىّ أهلِ مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأُخبره أنى قد أسلمت . قال : فقلت : أبو جهل . فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه فخرج أبو جهل فقال : مرحباً وأهلا يا بن أختى ما جاء بك؟قلت : جئت لأُخبرك أنى قد آمنت بالله ورسوله وصدقت بما جاء به . فضرب الباب فى وجهى وقال : قبحَّك الله وقبح ما جئت به .

وروى أيضا بسند صَحيح عن ابن عمر قال : لما أسلم عمر قال : أىّ قريش أنْقَل للحديث ؟ قيل له : جميل بن مَعْمَر الجُمَحى . قال : فغدَا عليه . قال عبد الله : وغدوتُ معه أتْبع أثرَه وأنظر ماذا يفعل حتى جاءه فقال له : أعلمتَ يا جميل أنى أسلمت ودخلتُ فى دين محمد ؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجرُّ رداءه وتبعه عمر ، واتبعتُ أبى حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش – وهم فى أنديتهم حول

---

(1) لا يظهر على هذا الشعر أصالة ولا رواء ، بل هو نظم متكلف حاول به صانعه أن يحكى قصة إسلام عمر رضى الله عنه .

الكعبة - ألا إن ابن الخطاب قد صَبأ . قال: يقول عمر مِنْ خَلْفه : كذَب ولكنى أسلمتُ وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . وثاروا إليه فما بَرح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رءوسهم وطَلع فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدَا لكم فأحلف بالله أن لو كنا ثلاثمائة لقد تركناها أو تتركوها لنا .

فبينا هو على ذلك إذ أقبل شيخٌ من قريش عليه حُلة حِبَرة وقميص مُوَشّى حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبأ عمر . قال : فمَهْ ، رجلٌ اختار لنفسه أمرًا فما تريدون منه ؟ أترون بنى عدىّ بن كعب يُسْلمون لكم صاحبَكم؟ هكذا خَلُّوا عن الرجُل. قال : فوالله فكأنما كانوا ثوباً كُشِط عنه . فقلت لأبى بعد أن هاجر إلى المدينة : يا أبى مَن الرجلُ الذى زجَر القومَ عنك بمكة يومَ أسلمتَ وهم يقاتلونك ؟ قال : ذاك أى بُنىّ العاصى بن وائل السَّهْمى[1] . ومات مُشْركا .

وروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : بَيْنا عمر فى الدار خائفا إذ جاءه العاصى بن وائِل السَّهمى وعليه حلة حِبَرة وقميص مكْفُوف بحرير فقال: ما بك ؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوننى لأننى أسلمتُ.قال : لا سبيل إليك أَمِنْت . فخرج العاصى فلقى الناسَ قد سالَ بهم الوادى فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد ابنَ الخطاب الذى صَبأ . قال : لا سبيل إليه . فكَرَّ الناس وتصدَّعوا عنه[2] .

وروى البخارى عن ابن مسعود قال : ما زلنا أعِزَّةً منذ أَسْلَم عمر[3] .

وروى عنه قال : والله ما استطعنا أن نصلى عند الكعبة ظاهرين حتى أسلم عمر[4] .

وروى ابن ماجه عن ابن عباس قال : لما أسلم عمرُ نزل جبريلُ فقال : يا محمد لقد استبشر أهلُ السماء بإسلام عمر[5]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٤٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب .

(٣) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) صحيح البخارى كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

(٥) سنن ابن ماجه ، المقدمة ، باب رقم ١١ .

وروى الإمام أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وابنُ حبان عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اللهم أعِزَّ الإسلامَ بأَحبِّ هذين الرجلين إليك : بأبى جهل أو بعمر بن الخطاب . قال : وكان أحبَّهما إليه عمر[1] .

تنبيـه

فى بيان غريب ما سبق

أَوْرَه : بهمزة مفتوحة فواو ساكنة فراء مفتوحة : وهو الحمق[2] وقيل الخرق .

الكَهَام : بفتح الكاف وتخفيف الهاء : السيف الكَلِيل . ولسانٌ كَهام أى عَيِيٌّ، وفرس كَهام : بطيء . وكأن ذا فى الأصل والله أعلم مأخوذ من هذا ، فيكون معناه : أكلكم أحمق وأخْرَق عَيِىّ أو كليل لم يُغْن شيئاً أو بطيء عن الحق والخير

والصِّلات ـ بكسر الصاد : جمع صِلة وهى الإحسان إلى الأقارب .

وتقدم بيان ذَرِيح فى الباب الرابع .

المَخْدَع عندهم:البيت يكون فى جوف البيت شبه البَهْو الذى يصنعه الناس فى أوساط[3] المجالس .

الهَيْنمة : صوت وكلام لا يُفْهَم .

ارْعَوى : رجع ، يقال ارعويت عن الشيء إذا رجعت عنه وازدجرت .

جبَذه :بجيم فباء موحدة مفتوحتين جَبْذًا من باب ضرب مثل جَذَب أى مدَّه إلى نَفْسه .

الحَزْوَرة ـ بحاء مفتوحة مهملة فزاى ساكنة : سوق كانت بمكة وأدخلت فى المسجد لمَّا زِيد فيه

---

(١) صحيح الترمذى كتاب المناقب باب ١٧ ومسند أحمد ٩٥/٢

(٢) كذا ، وقد سبق التنبيه على أن الأوره هو الأحمق .

(٣) ت ، م : فى البساط المجالس .

طَلِح : بفتح الطاء المهملة وكسر اللام : فعل ماض أى أعْيَا .

نهمَه : زجره .

الحِبَرة : ضرب من بُرود اليمن .

هكذا عن الرجل : قال أبو ذر : هكذا : هنا اسم سمّى به فعل ومعناه : تنحوْا ولا يحتاج معه إلى زيادة خَلُّوا . وقال فى الرَّوْض : هكذا كلمة معناها الأمر بالتنحّى فليس يعمل فيها ما قبلها كما يعمل إذا قلت : جلست هكذا . أى على هذه الحال وإن كان لابد من عامل إذا جعلتها للأمر لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا وهاء التنبيه ، فيقدّر العامل إذن مضمرا كأنك قلت : ارجعوا هكذا وتأخّروا هكذا واستغنى بقولك : «هكذا». عن الفعل [كما استغنى(1)] برويدًا عن ارْفُقْ .

سال الوادى بالناس : أى امتلأ كامتلائه من السَّيْل فى كثرتهم وسرعة مَشْيهم .

---

(1) زيادة يقتضيها السياق .

الباب الثامن عشر

في دخول بني هاشم وبني المطَّلب بني[2] عبد مناف الشِّعْب
وكتابة قريشٍ الصحيفةَ الظالمة

قال أبو الأسود والزُّهْري وموسى بن عُقْبة وابن اسحاق : إنّ قريشا لما رأت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدًا . أصابوا فيه أَمْنًا وقرارًا ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، وكان رجلاً ذا شكيمة لا يُرَام ما وراء ظهره امتنع به أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازُّوا قريشا فكان هو وحمزة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وجعل الإسلامُ يَفْشُو في القبائل . فأجمعوا رأيهم واتفق رأْيهم على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : قد أفسدَ علينا أبناءنا ونساءنا فقالوا لقومه : خذوا منّا دِيَةً مضاعفة وليقتله رجلٌ من غير قريش ويريحنا وتريحون أنفسكم . فأبى قومُه بنو هاشم من ذلك وظاهَرهم بنو المطَّلب بن عبد مناف .

فلما عرفت قريشٌ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد منعَه قومُه فأجمع المشركون من قريش على مُنَابذتهم وإخراجهم من مكة إلى الشِّعْب وأجمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على ألا يُنْكحوهم ولا يَنْكحوا إليهم ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم ، ولا يَقْبلوا منهم صُلْحا ولا تأْخذهم بهم رأفة حتى يُسْلموا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم للقتل .

فلما اجتمعوا لذلك كتبوا صحيفةً ثم تعاهَدوا وتعاقدوا على ذلك .

والذي كتب الصحيفة : قال ابن اسحاق : منصور بن عكرمة . قال ابن هشام : ويقال النضر بن الحارث . فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشُلَّت بعض أصابعه .

---

(٢) ط : ابن عبد مناف .

وقال غيره : بغيض بن عامر . فشُلَّت يده . وقال غيره : هشام بن عمرو بن الحارث العامرى وأسلم بعد ذلك .

ويُجْمع بين هذه الأقوال باحتمال أن يكون كتب بها نُسَخ .

ثم علَّقوا الصحيفة فى جَوْف الكعبة توكيدًا على أنفسهم وقطعوا عنهم الأسواقَ ولم يتركوا طعاما ولا إداما ولا بَيْعا إلا بادروا إليه واشتروه دُونَهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطَّلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شِعْبه مُؤْمنهم وكافرهم ، فالمؤمن دِينًا والكافر حَمِيَّةً .

وخرج من بنى هاشم أبو لهب إلى قريش فظاهَرهم ولقى هندَ بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشًا. فقال : يا بنت عتبة هل نصرتُ اللات والعزّى وفارقتُ من فارقها وظاهرَ عليها ؟ قالت : نعم جزاك الله خيرًا يا أبا عتبة .

وروى البلاذُرىّ عن ابن عباس قال : حُصِرْنا فى الشِّعْب ثلاثَ سنين وقطعوا عنا المِيرةَ حتى إن الرجل ليَخرج بالنفقة فما يُبَايَع حتى يرجع ، حتى هلَك من هلك[1] .

وقال أبو طالب فيما صنعت قريش من ذلك واجتمعوا له :

أَلا بلِّغا عنِّى على ذات بَيْننـا	لُؤَيًّا وخصا من لؤى بنى كعبِ
أَلم يعلموا أَنَّا وجَـدْنا محمـدًا	نبيًّـا كموسى خُـطَّ فى أول الكُتْبِ
وأَن عليــه فى العبـاد محبــةً	ولا خير مِمَّن خصَّه الله بالحُبِّ
وأَن الذى لَصَّقـتم فى كتـابـكم	لكم كائن نَحْسًا كراغيةِ السَّقْـبِ
أَفِيقوا أَفِيقوا قبل أَن يُحفر الثَّرى	ويُصْبح من لم يَجْن ذَنْبًا كذِى ذَنْبِ
ولا تَتْبعوا أَمرَ الوشَاةِ وتَقْطَعوا	أَواصرنا بعدَ المودة والقُـربِ
وتستجلبوا حَربًا عَوانًا وربمـا	أَمرَّ على من ذَاقه حَلَب الحربِ
فلسنا وربِّ البيت نُسْلم أَحمدًا	لعَزَّاء من عَضِّ الزمان ولا كَـربِ

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٣٤ . وفيه : فما يباع . وعلق عليها المحقق بقوله : « كذا فى الأصل ، لعله : يباع منه . أو يبتاع » . وما هنا صحيح لا يحتاج إلى التقدير .

ولمَّا تَبِنْ منَّاومنكم سوالفٌ وأيْدٍ أُترت بالقَسَاسِيَةِ الشُّهْب

بمعترك ضَنْكٍ[1] ترى كِسَرَ القَنَا به والنسُورَ الطُّخْمَ يَعْكُفنَ كالشَّرب

كأَن مجالَ الخيل فى حَجراته ومَعْمَعَة الأَبطال معركة الحربِ

أَليس أَبونا هاشمٌ شَدَّ أَزْرَه وأَوصَى بَنيه بالطِّعان وبالضَّربِ

ولَسْنا نملُّ الحربَ حتى تملَّنا ولا نشتكى ما إن يَنُوب من النكْبِ

ولكننا أَهلُ الحفائِظ والنُّهى إذا طار أَرواحُ الكُمَاة من الرُّعب

* * *

قال ابن اسحاق وغيره : فأَقاموا على ذلك ثلاثَ سنين حتى جَهِدوا ، لا يصل إليهم شيء إلا سرًّا مستخفيًا به من أَراد صِلتهم من قريش .

وقد كان أَبو جهل لقى حكيمَ بن حِزَام معه غلام يحمل قمحًا يريد به عمته خديجة وهى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعب ، فتعلَّق به وقال : أَتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ؟ ! لا تذهب أَنت وطعامك حتى أَفضحك بمكة . فقال له أَبو البَخْترِىّ ابن هشام بن الحارث -وهلَك كافرا- : طعامٌ كان لعمَّته عنده أَفتمنعه أَن يأْتيها بطعامها ؟ خَلِّ سبيل الرجل . فأَبى أَبو جهل حتى نال كلٌّ واحد منهما منْ صاحبه فأَخذ أَبو البخترى لَحْىَ بعير فضربه به فشجَّه ووَطِئه وَطْئا شديدا ، وحمزةُ بن عبد المطلب قريبٌ يرى ذلك وهم يكرهون أَن يَبْلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأَصحابَه فيشمتوا بهم[2] .

وكان أَبو طالب فى طُول مدتهم فى الشِّعب يأْمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأْتى فراشه كل ليلة حتى يراه من أَراد به شرا أَو غائلة فإذا نام أَمر أَحد بنيه أَو إخوته أَو بنى عمِّه فاضطجع على فراشِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأَمرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَن يأْتى بعضَ فُرشهم فيرقد عليه .

فلم يزالوا إلى تمام ثلاث سنين .

---

(١) ت ، م : ضيق .

(٢) سيرة ابن هشام ٣٥٢/١ - ٣٥٤ .

وبعث الله تعالى على صحيفتهم الأَرَضة فأَكلت أو لحسَتْ ما فى الصحيفة من عَهْد وميثاق - وفى رواية أنها لم تترك فى الصحيفة اسمًا لله إلا لحسَتْه وأبقت ما كان من شِرْك أو ظُلْم أو قطيعة .

وأَطْلَع الله سبحانه وتعالى رسولَه على ذلك فذكَره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمه أبى طالب ، فقال عمه أبو طالب : أربُّك أخبرك بهذا ؟ قال : نعم . قال : فوالله ما يدخل عليك أحد - وفى رواية قال : لا والثواقِب ما كذَبْتنى فانطلق بعصابة من بنى هاشم وبنى المطلب حتى أتوا المسجد وهم خائفون لقريش ، فلما رأتهم قريش فى جماعة أنكَروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليُسْلموا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم برُمَّته إلى قريش ، فتكلم أبو طالب فقال : جرت أُمورٌ بيننا وبينكم لم نذكرها لكم ، فأْتوا بصحيفتكم التى فيها مَواثيقكم فلعله أن يكون بَيْننا وبينكم صُلْح. وإنما قال ذلك أبو طالب خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأْتوا بها . فأَتوا بصحيفتهم مُجْمعين لا يشكُّون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدْفَع إليهم ، فوضعوها بينهم وقالوا لأَبى طالب : قد آن لكم أن ترجعوا عما أَحْدَثتم علينا وعلى أنفسكم . فقال أبو طالب : إنما أتيتكم فى أمرٍ هو نصف بَيْننا وبينكم : إن ابن أخى أخبرنى ولم يَكْذِبنى أن هذه الصحيفة التى فى أيديكم قد بعث الله تعالى عليها دابَّة فأَبقت اسمَ الله وأَكلت غَدْركم وتظاهركم علينا بالظُّلْم - وفى رواية : فلم تترك فيها اسمًا لله تعالى إلا لحسته وتركت غَدْركم وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان كما يقال فلا والله لا نُسْلمه حتى نموت من عند آخرنا ، وإن كان الذى يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو استَحْيَيْتم . فقالوا : قد رضينا بالذى تقول. ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادقَ المصْدوق صلى الله عليه وسلم قد أَخْبَر بخبرها قبل أن تُفْتح.

فلما رأت قريش صِدْق ما جاء به أبو طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : هذا سحرُ ابن أخيك . وزادهم ذلك بغياً وعدوانا. فقال أُولئك النفر من بنى هاشم وبنى المطلب : إن أَوْلَانا بالكذب والسحر غَيْرُنا ، فإنا نعلم أن الذى اجتمعتم عليه من قطيعتنا أَقْرَب إلى الجِبْت والسِّحر .

وقال أبو طالب : يا معشر قريش عَلَام نُحْصَر ونُحْبَس وقد بان الأَمر وتبيَّن أنكم

أوْلَى بالظلم والقطيعة والإساءة . ثم دخل هو وأصحابه بين أستار الكعبة فقال : اللهم انصرنا على من ظَلمنا وقطَع أرحامنا واستحل ما يَحْرُم عليه منا . ثم انصرفوا إلى الشِّعْب .

وكان أبو طالب لما خاف دَهْماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته اللامية التي تعوَّذ فيها بحَرَم مكة وبمكانه منها وتودَّد إلى أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم فى ذلك من شِعْره أنه غير مُسْلِم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لشيء أبدا حتى يَهْلَك دُونه .

وقد أوردها ابن إسحاق وأبو هَفَّان عبد الله بن أحمد المهزمى[1] فى جمعه لشعر أبي طالب بكماله وزاد على ابن إسحاق أبياتا كثيرة فى أماكن متعددة ، وقد أوردتُ هنا خلاصةَ ما ذكَراه وهي :

خَلِيلَيَّ ما أُذْنى لأول عاذلٍ ... بِصَغْوَاء فى حقٍّ ولا عند باطل

خليليَّ إن الرأى ليس بشركة ... ولا نَهْنهٍ عند الأُمور البَلابلِ

ولما رأيتُ القومَ لاوُدَّ عندهم ... وقد قطَعوا كل العُرَى والوسائلِ

وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العَدوّ المزايلِ

وقد حَالفوا قومًا علينا أَظِنَّةً ... يَعُضُّون غيظًا خَلْفَنا بالأَناملِ

صبرتُ لهم نفسى بسمراء سَمْحة ... وأَبيض عَضْبٍ من تراث المقاولِ

وأَحْضرت عندالبيت رَهْطىوإخوتى ... وأَمسكت من أثوابه بالوصائلِ

قياما معًا مستقبلين رتاجَه ... لدى حيث يقضى خَلْفه كلُّ نافلِ

أَعوذ برب الناس من كل طاعنٍ ... علينا بسوءٍ أَو مُلحٍّ بباطلِ

ومن كاشح يَسْعى لنا بمعيبةٍ ... ومِنْ مُلْحق فى الدِّين مالم نحاولِ

وثَوْرٍ ومن أرْسَى ثَبيرًا مكانه ... وراقٍ ليَرْقَى حِرَاء ونازلِ

وبالبيت حقِّ البيت من بَطْن مكةٍ ... وبالله إن الله ليس بغافلِ

وبالحَجر الأَسود إذ يَمسحونه ... إذا اكتنفوه بالضُّحَى والأَصائلِ

(١) المهزمى : عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمى العبدى ، أبو هفان ، راوية عالم بالشعر والأدب ، أخذ عن الأصمعى وغيره . اللباب ١٩٤/٣ . ولسان الميزان ٢٤٩/٣ .

وَمَوْطِئُ إبراهيم فى الصخر رطبةً   على قدميه حافيًا غير ناعلِ

ومن حَجَّ بيت الله من كلِّ راكبٍ   ومن كل ذى نَذْرومن كل راجلِ

فهل بعد هذا من مَعاذٍ لعائذ   وهل من مُعيذٍ يتقى الله عاذلِ

يطاع بنا العِدَى وودُّوا لواَنَّنا   تُسَدُّ بنا أبوابُ تُرْك وكابلِ

كذَبْتم وبيتِ الله نترك مكةً   ونَظْعن إلا أمْركم فى بَلابلِ

كذبتم وبيت الله نبزى محمدًا   ولما نطاعِنْ حَوْله ونُنَاضِل

ونُسْلمه حتى نصرَّع حولَه   ونَذْهل عن أبنائنا والحلائل

وينهض قومٌ فى الحديد إليكم   نهوض الرَّوايا تحت ذات الصلاصلِ

وحتى نرى ذا الضِّغْن يركب ردعه   من الطَّعْن فعل الأَنْكب المتحاملِ

وإنَّا لعَمْر الله إن جَدَّ ما أرى   لتَلْتَبِسَنْ أسيافُنا بالأَماثلِ

بكَفَّىْ فتًى مثل الشهاب سَمَيْدع   أخى ثقة حامى الحقيقة باسلِ

وما تَرْكُ قومٍ لا أبالك سيدًا   يَحُوط الذِّمار غير ذَرْب مواكلِ

وأبيض يُسْتسقى الغمام بوجهه   ثِمال اليتامَى عصمةٌ للأَرامل

يَلُوذ به الهُلَّاك من آل هاشمٍ   فهم عنده فى نعمةٍ وفواضلِ

جزى الله عنا عبدشمس ونوفلاً   عقوبة شَرّ عاجلاً غير آجلِ

بميزان قط لا يخيس شعيرةً   له شاهد من نفسه غير عائلِ

ونحن صميمٌ من ذؤابة هاشمٍ   وآل قُصَىّ فى الخطوب الأَوائلِ

فكل صديق وابن أُخت نعدّه   لعَمْرى وجدنا غِبَّه غير طائلِ

سوى أنّ رهطًا من كلاب بن مُرَّة   بَرَاء إلينا من مَعَقَّة خاذلِ

ونعم ابن أُخت القوم غير مكذَّب   زُهَيْر حسامًا مُفْردًا من حمائلِ

أشمّ من الشم البهاليل يَنْتمى   إلى حَسب فى حَوْمة المجد فاضلِ

لعَمْرى لقد كلِّفت وَجْدا بأَحمد   وإخوته دأب المحبِّ المواصلِ

فلا زال فى الدنيا جمالاً لأَهلها   وزَيْنًا على رغم العدو المخاتلِ

فَمنْ مثله فى الناس أىّ مُؤَمَّل   إذا قاسه الحكَّامُ عند التفاضلِ

حليمٌ رشيد عادلٌ غير طائش   يوالى إلهًا ليس عنه بغافلِ

فأيَّــده ربُّ العبــاد بنَصْره — وأظْهَر دينًــا حقُّه غير ناصِــلِ

فوالله لولا أن أَجىء بسُبَّــــة — تجرّ على أشياخنا فى القبــائِـل

لكنا اتبعناه عــلى كل حــالةٍ — من الدهر جدًّا غير قول التهــازلِ

لقد علموا أن ابننــا لا مكذَّب — لدينا ولا يُعْنى بقــول الأَباطلِ

فأصبح فينا أحمدٌ فى أَرُومــــة — يقصّر عنها سَــوْرة المتــطاولِ

حَدبتَ بنفسى دُونه وحَميْتــه — ودافعت عنه بالذُّرَى والـكلاكِلِ

والقصيدة طويلة جدا وهذا الذى ذكرته منها عَيْنها . قال الحافظ عماد الدين ابن كثير : وهى قصيدة عظيمة بليغة جدا لا يستطيع أن يقولها إلا من نُسبت إليه وهى أَفْحَل من المعلَّقات السَّبع وأبلغ فى تأدية المعنى[1] ، ذكر فيها ما يتعلق بالصحيفة الظالمة التى كتبتها قريش ، والأَشْبه أَن أبا طالب إنما قالها بعد دخولها الشعب فذكرها هنا أنسب . انتهى .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : تقدم الخلاف فى كتابة الصحيفة ، وجُمع بين الأقوال باحتمال أن يكون كل ممن ذُكر كتب بها نسخة

الثانى : فى رواية : أَن الأَرضَة لحست اسمَ الله تعالى وأَبقت ما عداه . وفى رواية : لحست ما فيها من ظلم وجَوْر وأَبقت اسم الله تعالى . وجُمع بين الروايتين : بأَنهم كِتبوا نُسخًا فأَكلت الأَرضة من بعض النسخ اسمَ الله تعالى إشارة إلى أنه تعالى كرِه فعلهم ذلك فلم تترك اسمه مع ذكر ظلمهم ، وأكلت من بعض النسخ ما عَدا اسمَ الله تعالى إشارة إلى أنه تعالى لم يرض هذا الفعل . والله أعلم بحقيقة ذلك .

---

(١) سيرة ابن كثير ١/٤٨٦ – ٤٩١ . وقال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها .

الثالث : فى بيان غريب ما تقدم .

الشِّعْب : بكسر الشين المعجمة : وهو الطريق فى الجبل ومَسِيل الماء فى بطن أَرض ، والمْراد به هنا شِعْب بنى هاشم بن عبد مناف ، فقسَّمه بين بنيه حين ضعف بصره وصار للنبي صلى الله عليه وسلم حظُّ أَبيه ، وهو كان مَنْزل بنى هاشم غير مساكنهم ، وهو الذى يعرف بشعب ابن يوسف . قاله فى المطَالع .

قال فى النور : وقوله « صار إليه حظُّ أَبيه » فيه نظر لأَن أَباه توفى قبل جده عبد المطلب فلم ينتقل لعبد الله شيء حتى يقال إنه ورثه عليه الصلاة والسلام ، وحين توفى عبد المطلب حُجب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأَولاده ، هذا شرعنا وما أَظنهم كانوا يخالفون ذلك . ويحتمل أنه وصل إليه حظ أَبيه بطريق آخر .

دِيَة مضاعَفة : الدية مائة من الإبل معروفة . والمضاعفة : قال الخليل : التضعيف أَن يزاد على أَصل الشيء فيجعل مثلين أَو أَكثر .

ظاهرَهم : عاونهم .

مُنَابذتهم : نَقْضهم العهد .

ذات بيننا : وصلنا .

ولا خير ممن خصه الله بالحب : خير مخفف من خيرٍّ كهَيْن ومَيْت . وممن متعلق بمحذوف كأَنه قال لا خير أَخْيَر ممن خصه الله بالحب .

السَّقْبُ : بسين مهملة مفتوحة فقاف ساكنة فباء موحدة وهو من الرُّغَاء وهو أَصوات الإبل . والسَّقْب : ولد الناقة ، وأَراد به هنا ولد ناقة صالح صلى الله عليه وسلم التى عَقَرها قُدَار ، فرغَا ولدُها وصاح برغائِه كلُّ شيء له صوت ، فهلكت ثمودُ عند ذلك فضربت العرب ذلك مثلاً فى كل هَلَكة .

الأَواصر : بالصاد والراء المهملتين : أَسباب القرابة والمودة .

حَرْبا عَوانا : أى قوتل فيها مرارا .

لِعِزَّاء : بعين مهملة مكسورة أى لشدة .

عَضُّ الزمان : شدته .

السوالف : بسين مهملة مفتوحة وفاء : صفحات الأعناق .

أُتِرَّت : بضم الهمزة وكسر المثناة الفوقية وفتح الراء المشددة فتاء تأنيث : أى قُطعت .

القُسَاسِيَّة : بقاف مضمومة فسين مهملة فألف فسين أخرى مكسورة : سيوف منسوبة إلى قُسَاس وهو جبل فيه معدن الحديد .

المعترَك . موضع الحرب .

ضَنْك : بضاد معجمة مفتوحة فنون ساكنة فكاف : أى ضيق .

الطَّخْم : بطاء مهملة مفتوحة فخاء معجمة ساكنة : التى فى لونها سواد .

يَعْكفن : يقمن ويلازمن .

الشَّرب : بشين مشددة مفتوحة فراء ساكنة : الجماعة من القوم يشربون .

الحُجَرات : بحاء مهملة مضمومة وجيم فراء مفتوحتين .

المعمَعمة : بميم مفتوحة فعين مهملة ساكنة فميم فعين أخرى مفتوحتين ، وهى الأصوات فى الحرب وغيرها .

الجُرْب : بضم الجيم وسكون الراء : الإبل التى بها جَرب فهى تحكّ بعضها بعضا .

أزْره : بهمزة مفتوحة : وهى القوة والظهر أيضا أى ظهره .

الحفائِظ : بالحاء المهملة : جمع حفيظة وهى الغضب فى الحرب .

النُّهَى : بضم النون : العقول .

الكُمَاة : بضم الكاف : الشجعان .

الرُّعْب : الفزع .

الأَرضَة : بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة الساقطة فتاء تأنيث : دُوَيِّبة تأكل الخشب .

الثواقب : النجوم ، جمع ثاقب وهو النجم المضىء .

ما كَذَبْتَنى : بتخفيف الذال المعجمة أى ما حدثتنى بحديث كذب .

العِصَابة : بكسر العين : الجماعة .

برُمَّته : بضم الراء وتشديد الميم المفتوحة : قطعة من حَبْل بالية ، والجمع رِمَم ورِمَام ، وأصله أن رجلا دُفِع إلى عدوه بحبل فى عنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيئا بجملته .

مُعْجَبين : بفتح الجيم .

نَصَف : بفتح النون والصاد المهملة ؛ وهى فى الأصل المرأة بين الحَدثة والمسِنَّة أى فى أمر وسط بيننا وبينكم لا فيه حَيْف علينا ولا عليكم .

تفسير غريب قصيدة أبى طالب اللامية .

خليلىّ : تَثْنية خليل ، وهو منادى مضاف حذف منه حرفه .

تَصْغو : بصاد مهملة وغين معجمة مائلة .

نَهْنه : يقال : نَهْنَهْتُ الرجلَ إذا كففْته .

والبَلابل بموحدتين : الأُمور المهمّة .

العُرَى : جمع عروة . وأراد بها ها هنا العهود .

الوسائل : جمع وسيلة وهى القُرْبة يقال : وَسَل إلى ربه وسيلةً إذا تقرّب بعمله إليه ، والوسيلة : المنزلة عند الملِك .

صارَحُونا : واجهونا مكافحةً .

المزايِل : المحاوِل المعالِج .

حالَفوا : عاهدوا .

أَظنة : جمع ظَنِين وهو المتهم .

الأَنامل : أَطراف الأَصابع .

بسمراء سمحة : يعنى قناة تسمح بالانعطاف عند هَزِّها .

العَضْب : بالعين المهملة والضاد المعجمة : القاطع .

تراث : أصله وُرَاث من ورثتُ ، ولكن لا تُبْدل هذه الواو ياء إلا فى مواضع مخصوصة والتراث : مال قد يورث وتوارثه قومٌ عن قوم .

المَقَاول : بالقاف : الملوك بلغَة حِمْير . ويقال : الذين يَخْلفون الملوك إذا غابوا[1] .

رَهْطى : قومى وقبيلتى .

الوصائل : ثياب حُمْر فيها خطوط كان البيتُ يُكْسَى بها .

الرِّتَاج : هنا بكسر الراء : والمراد به هنا الباب .

لَدى : بمعْنى عند .

نافل : بالنون والفاء : أى كل مُتَبرِّئ يقال : انتفل من كذا أى تبرأ منه ، فاستعمل اسم الفاعل من الثلاثى غير المزيد قال الأعشى : لا تَلْفَنا من دماء القوم نَنْتفلُ[2] .

ثَور : بثاء مثلثة وراء .

أرْسَى : أثبت .

وثبيرا : بثاء مثلثة مفتوحة فباء موحدة مكسورة فمثناة تحتية فراء .

وحِرَاء : بكسر الحاء : وتقدم الكلام عليه فى باب بدء الوحى . والثلاثة جبالٌ بمكة .

راق : صاعد .

لبرٍّ : من البرّ . وفى بعض التصانيف ليَرقَى من الرقّى وصححوا الأُولى وقالوا : الثانيةُ تصحيف ضعيف المعنى ، فإنه معلوم أن الراقى يرقى وإنما هو لبرٍّ أى فى طلب بَرّ وهو خلاف الإثم . أَقْسَم بطالب البرِّ بصعوده فى حراء المتعبدِ فيه وبالنازل منه .

نازل : من النزول .

مُلِحّ : مُجْحف يقال : ألحَّ على الشىء إذا أقبل عليه مواظبًا .

الكاشح : العدوّ .

بمعيبة : بالعين المهملة : أى مَنْقَصة .

---

(١) ط : إذا قاموا .

(٢) ديوان الأعشى ص ١٤٩ (ط صادر) ونصه :

لئن منيت بنا عن غب معركة ... لم تلفنا من دماء القوم ننتفل

وبالحجر الأسود . فيه زحاف ويسمى الكفّ ، وهو حذف النون من مَفَاعلن وهو بعد الراء من الأسود[1] .

ما لم يحاول : يريد .

اكتنفوه : أحاطوا به . وفى رواية : كثفوه بثاء مثلثة بعد الكاف : ازدحموا عليه من الشيء الكثيف وهو الملتفّ .

الأصائل : والأُصُل بضمتين جمع أصيل وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب .

ومَوْطِئ إبراهيم فى الصخر رَطْبة : يعنى موضع قدميه حين غسلت امرأة ابنه رأسَه وهو راكب فاعتمدَ بقدمه على الصخرة ، أبقى الله تعالى أثَر قدمه آيةً . وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه .

وتُرك : بضم التاء المثناة الفوقية وسكون الراء . وكابل بضم الباء الموحدة : جيلان من العجم .

نَظْعن : بظاء معجمة مشالة : نرحل .

فى بلَابل : يروى بمثناتين فوقيتين أى فى حركة واضطراب وبموحدتين أى فى وساوس الهموم ، واحدها بَلْبال .

نُبْزَى : بنون مضمومة فباء موحدة ساكنة فزاى مفتوحة : معناه نُسلَب ونُغْلَب عليه .

نناضل : نرامى بالسهام .

نَذهل : نَغْفل .

الحلائِل : الزوجات ، واحدها حليلة .

الرّوايا : جمع راوية : الإبل التى تحمل الماء .

الصلاصل : بفتح الصاد المهملة الأُولى وكسر الثانية : بقية الماء .

---

(١) كذا بالأصل .

الضِّغْن : بكسر الضاد وسكون الغين المعجمتين : العداوة .

يركب رَدْعَه : براء مفتوحة فدال ساكنة فعين مهملتين أى يسقط على وجهه فى دمه . الطَّعْن بفتح الطاء وسكون العين المهملتين .

الأَنكَب : المائِل إلى جهة .

المتحامل : المائِل عن الحق .

لعَمْر الله : بفتح العين : بقاء الله .

جَدّ : بجيم فدال مهملة : عَظُم .

بالأَماثِل : بالخيار من القوم .

سَمَيْدَع : بفتح السين المهملة لا بضمها : السيِّد .

الحقيقة : بحاء مهملة وقافين بينهما مثناة تحتية ما يحقّ على الرجل أن يحميه .

باسل : شجاع كريم .

لا أبالك : ويقال لا أبًا لك وهو مَدْح.

الذِّمَار : بذال معجمة مكسورة : ما يلزم الرجلَ حمايتُه والدفعُ عنه ويُلاَم على إضاعته .

الذَّرْب : بذال معجمة تفتح وتكسر : الفاسد.

مُوَاكل : أى يتوكل على غيره.

ثمال البتامَى : أى قائم بمصالحهم وغياثهم.

عصمة للأَرامل : يمنعهن من الضياع والحاجة .

يلوذ : يلجأ .

الهُلاَّك : بضم الهاء وتشديد اللام .

غير عائل : مائِل عن الحق .

الصَّميم وزان كريم : الخالص . وصميم القلب وسطه.

من ذؤابة هاشم : الذؤابة بضم الذال المعجمة وبالهمزة وقد تبدل واوا وهى فى الأصل الشَّعر المضفور منْ شعر الرأس . وذؤابة الجبل : أعلاه ثم أستعير للشرف والمرْتبة .

الخطوب : جمع خَطْب وهو الأمر الشديد .

غِبَّه : بغين معجمة مكسورة فموحدة أى عاقبته .

غير طائل : أى غير رفيع ولا نَفِيس . وأصل الطائل النفع والفائدة ، وهذا اللفظ يقال للشيء الخسيس مشتق من الطَّوْل .

الرَّهْط : بسكون الهاء وتفتح : دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى الأربعين .

برَاء : بموحدة مفتوحة فراء فمد فهمز أى برىء عن مساوئه .

المعقَّة : العقوق .

الخاذل : بالخاء والذال المعجمتين : تارك النُّصْرة والإعانة .

أشمّ : بالشين المعجمة : عزيز .

البهاليل : السادة واحدهم بُهْلول بضم الموحدة وسكون الهاء .

الحَوْمة : بفتح الحاء المهملة : من كل شيء معظمه .

الوجْد : الحب .

الدَّأب : العـادة .

على رَغْم العدوّ : بتثليث الراء : أى ألصقه الله بالرَّغام بفتح الراء وهو التراب ، هذا هو الأصل ثم استعمل فى الذل والعجز عن الانتصاف والانقياد على كُرْه .

المُخاتِل : بالخاء وكسر المثناة الفوقية : المُخادع .

المؤمَّل : بفتح الميم المشددة المرجو خيره .

طائش : خفيف العقل .

يُوَالى : يَعْبُد .

السُّبَّة : الشتم .

غير ناصل : بنون وصاد مهملة أى زائل .

التهازل : الهزل وهو ترك الجدّ فى قول أو فعل .

لا مكذَّب : بفتح الذال المعجمة المشددة . .

ولا يُعْنَى : يشتغل .

الأَرُومة : بفتح الهمزة وضم الراء : الأصل .

بسَوْرة روى بضم السين المهملة أى المنْزِلة ، وبفتحها أى الشدة والبطش .

المتطاوِل : بكسر الواو من الطول بفتح الطاء وهو الفضل والعلوّ .

حَدِبْتُ : بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أى عطفت ومنعت .

الذُّرَى : جمع ذروة بذال معجمة تضم وتفتح وهى أعلى ظهر البعير .

الكَلاكل : جمع كلكل وهو معظم الصدر .

الباب التاسع عشر

فى رجوع القادمين من الحبشة إليها والهجرة الثانية

قال ابن سعد : قالوا : لما قدم أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مكة من الهجرة الأُولى اشتدَّ عليهم قومُهم وسطَتْ بهم عشائرهم ولقوا منهم أذىً شديدا ، فأَذِن لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية ، فكانت خَرْجتهم الثانية أعظمَها مشقة ، ولقوا من قريش تعنيفًا شديداً ونالوهم بالأَذى واشتد عليهم ما بلغهم عن النجاشى من حُسْن جواره لهم ، فقال عثمان بن عفان : يارسول الله فهجرتنا الأُولى وهذه الآخرة ولستَ معنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم مهاجرون إلى الله تعالى وإلىّ . لكم هاتان الهجرتان جميعا » .

قال عثمان : فحسبنا يا رسول الله[1] .

قال ابن إسحاق وابن سعد : وكان عِدَّة من خرج فى هذه الهجرة من الرجال ثلاثةً وثمانين .

قال ابن سعد : ومن النساء إحدى عشرة امرأة قُرَشية وسَبْع غرائب . وزاد غيرُهما على ذلك كما سيأتى بيانُه .

وقد روى قصتهم الإمامُ أحمد عن ابن مسعود ، وأبو نُعَيْمْ والبيهقى عن أبى موسى الأشعرى ، وابن إسحاق عن أم سَلَمة ، والطبرانى وابن عساكر عن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنهم قالوا : لمّا نزلنا أرضَ الحبشة جاوَرْنا بها خيرَ جار النجاشىّ ، أمِنًا على دِيننا وعبَدْنا اللهَ تعالى لا نؤذَى ولا نسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشًا ائتمروا بينهم أن يبعثوا فينا رجلين جَلْدين وأن يُهْدوا للنجاشى هدايا مما يُسْتَظرف من متاع مكة ، وكان

---

(١) طبقات ابن سعد ٢٠٧/١ (ط بيروت) .

أعجب ما يأتيه منها الأَدَم فجمعوا له أَدَمًا كثيرا ولم يتركوا من بَطَارقته بِطْريقا إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا عُمَارة بن الوليد وعمرو بن العاص وأمروهما بأمرهم وقالوا لهما : ادفعا إلى كل بطْريق هديته قبل أن تكلِّما النجاشيَّ فيهم ، ثم قدِّما إلى النجاشي هَداياه ثم اسألاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلِّمهم .

فخرجا حتى قدِما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار ، فلم يَبْق من بطارقته بطريقٌ إلا دفعا إليه هديته قبل أن يَدْفعا إلى النجاشيّ هديته ويكلِّماه وقالا لكل بطريق منهم : إنه قد ضَوَى إلى بلد الملِك منا غلمانٌ سفهاء فارقوا دينَ قومهم ولم يدخلوا فى دِينكم ، وجاءوا بدين مبتدَع لانعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثَنا إلى الملِك فيهم أشرافُ قومهم ليردَّهم إليهم ، فإذا كلَّمنا الملِك فيهم فأشيروا عليه بأن يُسلِّمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أَعْلَى وأعلم بما عابوهم فيه . فقالوا : نعم .

ثم إنهما لمَّا دخلا على النجاشى سجدَا له وقدَّما له هداياهما فقبِلها ثم قالا له : أيها الملك إنّ نفرا من بنى عمنا سفهاء فارقوا دينَ قومهم ولم يَدْخلوا فى دينكم جاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم[1] لتردّهم عليهم فهم أَعْلَى وأعلم بهم عينًا وبما عابوا عليهم وبما عيبوهم[2] فيه .

ولم يكن شىء أبغضَ إلى عمرو بن العاص وعُمَارة بن الوليد من أن يسمع النجاشىُّ كلام جعفر وأصحابه فقالت بطارقته : صدَقَا أيها الملك قومُهم أَعْلَى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم . فأَسْلِمْهم إليهما فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم .

قال : فأين هم ؟ قالا : فى أرضك . فغضب النجاشى ثم قال : لاها الله إذن لا أسلمهم إليهما ولا يُكَاد قومٌ جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على مَن سِواىَ حتى أدعوهم فاسألهم عما يقول هذان من أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا غير ذلك منعتهم منهم وأحسنتُ جِوَارهم ما جاورونى .

---

(١) ط : وعشرائهم .

(٢) ط : عتبوهم . هذه لا معنى لها وقد كرر المؤلف الكلمة فى لفظ عابوا عليهم بعد عيوبهم وإذا تكون عتبوهم محرفة .

ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟ قالوا : نقول والله ما عَلِمْنا وما أمرنا به نُبيُّنا كان فى ذلك ما هو كائن . فقال جعفر بن أبى طالب : أنا خطيبكم اليومَ .

وقد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله ، فدخل جعفر وتبعه المسلمون فسلَّم فقالوا : مالك لا تسجد للملك ؟ قال إنا لا نَسْجد إلا لله عز وجل . فقال النجاشى ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا فى دين أحد من هذه المِلَل .

فقال جعفر : أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنامَ ونأكل الميتة ونأْتى الفواحش ونقطع الأرحام ونُسِيء الجِوارَ ويأْكل القوىُّ الضعيفَ ، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نَعْرف نسَبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحِّده ونَعْبده ونخلعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام . فعدَّد عليه أمورَ الإسلام . ثم قال : وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصِلَة الرَّحِم وحُسْن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقولِ الزور وأكل مال اليتيم وقَذْف المحصَنات ، فصدَّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله تعالى ، فعبدنا الله تعالى وحده ولم نشرك به شيئا وحرَّمنا ما حرم الله علينا وأحللنا ما أَحلَّ لنا فعدا علينا قومُنا فعذَّبونا وفتَنونا عن ديننا ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجَوْنا ألا نُظْلم عندك أيها الملك .

فقال له النجاشى : هل معك مما جاء به من شىء فقال له جعفر : نعم . قال فاقرأه علىَّ . فقرأ عليه صدرًا من « كهيعص » فبكى والله النجاشىُّ حتى أخْضَل لحيتَه وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حينَ سمعوا ما يُتْلى عليهم .

ثم قال له النجاشى : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج عن مشكاة واحدة .

ثم قال النجاشي لعمرو : أعبيدٌهم لكم ؟ قال : لا. قال : أفلكم عليهم دَيْن ؟ قال : لا . قال : انطلقا فوالله لا أسْلمهم إليكما أبدًا ولا يُكَادون .

فلما خرجا[1] من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينَّه عنهم غدًا بما أستأْصل به خضْراءهم . فقال له عُمَارة لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالَفونا . قال : والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عَبدٌ .

ثم غدَا إلى النجاشي فقال : أيها الملِك إنهم يقولون فى عيسى قولاً عظيما فاسأَلهم عما يقولون فيه . فأَرسل إليهم ليسأَلهم عنه فاجتمع المسلمون ولم يَنْزِل بهم مثلُها . فقال بعضهم لبعض : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم إذا سأَلكم عنه ؟ فقالوا : نقول والله ما قال الله تعالى وما جاء به نبينا كائنًا فى ذلك ما هو كائن . فقال جعفرٌ : لا يتكلم أحدٌ أنا خطيبكم .

فلما دخلوا عليه فإذا هو جالس فى مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن شماله والقِسيسون جلوسٌ سِمَاطَيْن ، فقال لجعفر وأَصحابه : ما تقولون فى عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاء به نبينا ، نقول هو عبدُ الله ورسوله ورُوحه وكلمته ألقاها إلى مريم العَذْراء البَتُول . فضرب النجاشي بيده الأَرض فأَخذ منها عودًا ثم قال ما عدَا عيسى بن مريم ما قلتَ هذا العُود ، يا معشر القسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذى فيه . فتناخرَتْ بطارقته حولَه حين قال ما قال فقال : وإن نَخرْتم والله .

ثم قال : مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذى نجد فى الإنجيل ، وأنه الرسول الذى بشَّر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملْك لأتيته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه ، وأَمَر لنا بطعام وكسوة ، ثم قال : اذهبوا فأَنتم آمنون. من سَبَّكم غَرِم ، من سبكم غرم ، مَنْ سبَّكم غرم . قالها ثلاثا . فما أحبّ أن لى جبلا من ذهب وأنى آذيت رجلاً منكم .

---

(١) ط : خرجوا . كانا رجلين فخرجوا تحريف ولا حاجة إلى التمحل .

(٢) ط : وما جاءنا .

وفى رواية أن النجاشى قال للمسلمين : أيؤذيكم أحد ؟ قالوا : نعم . فأمر مناديًا ينادى : من آذى أحدا منهم فأغرموه أربعة دراهم . ثم قال : أيكفيكم ؟ قلنا : لا . قال : فأضعفوها.

وعند موسى بن عُقْبة : من نظر إلى هؤلاء نظرةً تؤذيهم فقد غرِم . أى فقد عصانى .

ثم قال : ردُّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ الله منىّ الرشْوةَ حين ردَّ علىّ مُلْكى فآخذَ الرشوة فيه ، وما أطاع الناسَ فىَّ فأطيعهم فيه .

فخرجَا من عنده مقبوحَيْن مردودٌ عليهما ما جاءا به .

ثم إن الحبشة اجتمعت فقالت للنجاشى : إنك فارقت ديننا – وخرجوا عليه فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيّأ لهم سُفنًا وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فإن هُزِمْت فامضوا حتّى تلحقوا حيث شئتم ، وإن ظفرت فاثبتوا . ثم عَمد إلى كتاب فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم ثم جعله فى قبَائه عند المَنْكِب الأيمن وخرج إلى الحبشة وصُفُّوا له فقال : يامعشر الحبشة ألست أحقَّ الناس بكم ؟ قالوا : بلى . قال : فكيف رأيتم سيرتى فيكم ؟ قالوا : خير سيرة ؟ قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد ، هو ابنُ الله . فقال النجاشى ووضع يده على صدره على قبائه : هو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا . وإنما يعنى ما كتَب . فرضُوا عنه وانصرفوا .

قالت أم سلمة : فأقمنا عنده بخير دار مع خير جار ، فوالله إنَّا على ذلك إذ نزل به رجلٌ من الحبشة ينازعه فى مُلْكه ، فوالله ما حزِنّا[1] قطُّ حزنًا كان أشدَّ من حزنٍ حزنّاه عند ذلك تخوّفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشى ، فيأتى رجلٌ لا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يَعْرِف منه . وسار إليه وبينهما عَرْض النِّيل ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ رَجلٌ ينطلق حتّىَ يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر ؟ فقال الزبير بن العوّام : أنا . قالوا : فأنت . وكان من أحْدَث القوم سنًّا . فنفخوا له

(١) ط : ما علمنا .

قِرْبة فجعلها فى صدره ثم سبحَ عليهم حتى خرج إلى ناحية النِّيل التى بها يلتقى القَوم ، ثم انطلق حتى حضرهم .

وقالت : ودعَوْنا اللهَ للنجاشيِّ بالظهور على عدوِّه والتمكين له فى بلاده .

قالت : فوالله إنَّا على ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبيرُ بن العوَّام يسعى فلَمع بثوبه وهو يقول : أبشروا فقد ظهر النجاشيُّ وأهلك اللهُ عدوَّه . قالت : فوالله ما علمتُنا فرحنا فرحةً قط مثلها . ورجع النجاشى وقد أهلك الله عدوَّه ومكَّن له فى بلاده واستوسق عليه أمرُ الحبشة ، وكنا عنده فى خير مَنْزِل[1] .

* * *

وروى الطبرانى برجال الصحيح عن أبى موسى الأشعرى ، والطبرانى وأبو الفرج الأموى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى واللفظ لأبى الفرج قال : وكان الله سبحانه وتعالى قد ألقى العداوة بين عمرو وعُمَارة فى مسيرهما قَبْل أن يَقْدَما على النجاشى ، وذلك أن عمرًا كان رجلا دَمِيما ومعه امرأته ، وكان عمارة رجلا جميلا ، فهَوِى امرأة عمرو وهَوِيَتْه ، فعزَما على دفع عمرو فى البحر فدفع عمارة عمرا فى البحر فسبحَ عمرو ونادى أصحابَ السفينة فأخذوه فرفعوه إلى السفينة - فأضْمَرها عمرو فى نفسه ولم يُبْدها لعمارة ، بل قال لامرأته : قبِّلى ابنَ عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه . فلما أتيا أرضَ الحبشة وردَّهما الله تعالى خائبَيْن مكَر عمرو بعمارة فقال له : أنت امرؤ جميل وهن النساء يُحْببن الجمال ، فتعرَّضْ لامرأة النجاشى فلعلها أن تشفع لنا عند الملك فى قضاء حاجتنا . ففعل عمارة وتكرَّر تردده إلى امرأة النجاشى وأخذ عطرًا من عطرها ، فلما رأى عمرو ذلك أتى الملِكَ فذكر له أمرَ عمارة ، فأدركت الملك عزةُ الملك وقال : لولا أنه جارى لقتلته ، ولكن سأفعل له ما هو شر من القتل . فدعَا بالسَّواحر فأمرهن أن يسحرنه فنفخن فى إحليله نفخةً طار منها هائمًا على وجهه حتى لحق بالوحوش بالجبال ، فكان إذا رأى آدميا ينفر منه ، وكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر بن الخطاب ، فجاء ابنُ عمه عبد الله بن أبى ربيعة إلى عمر

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٣٢ - ٣٣٨ .

ابن الخطاب واستأذنه فى المسير إليه لعله يجده ، فأذِن له عمر ، فسار عبد الله إلى أَرض الحبشة فأَكثر النِّشْدة عنه والفحصَ عن أَمره حتى أُخبر أنه فى جبل كذا يَرِد مع الوحوش إذا وردت ويَصْدُرُ معها إذا صدرت ، فسار إليه فكمَن له فى طريقه إلى الماء فإذا هو قد غطَّاه شعره وطالت أَظافيره وتمزقت عنه ثيابه حتى كأَنه شيطان ، فقبض عليه عبدُ الله وجعل يذكِّره بالرَّحِم ويستعطفه وهو ينتفض منه وهو يقول أَرْسِلْنى يا بجير أَرسلنى يا بجير وأَبَى عبدُ الله أن يرسله حتى مات بين يديه .

قال الزهرى : فحدثت هذا الحديثَ عروةَ بن الزبير فقال : أتدرى ما قولُه : « ما أَخذ الله الرشوة منىِّ فآخذ الرشوة فيه ولا أَطاع الناسَ فىَّ فأُطيع الناسَ فيه ؟ » فقلت : لا . قال عروة : فإن عائشة حدثتنى أن أَباه كان ملِك قومه وكان له أَخ له من صُلبه اثنا عشر رجلا ولم يكن لأَبى النجاشى ولد غير النجاشى ، فأَدارت الحبشةُ رَأْيها بينها فقالوا : لو أَنَّا قتلنا أَبا النجاشى ومَلَّكنا أَخاه فإن له اثنى عشر رجلا من صُلْبه فتوارثوا المُلْكَ لبقيت الحبشة عليهم دهرا طويلا لا يكون بينهم اختلافٌ ، فعدَوْا عليه فقتلوه وملَّكوا أَخاه . فمكثوا على ذلك حينًا ونشأَ النجاشىّ مع عمه فلا يدبِّر أَمرَ عمه غيره ، وكان النجاشى حازمًا لبيبا من الرجال ، فلما رأَت الحبشة مكانه من عمه قالوا : قد غلب هذا الغلامُ على أَمر عمه فما نَأْمن من أَن يملِّكه علينا ، وقد عرَف أَنا قتلنا أَباه ، فلئن فعل لم يدع منا شريفًا إلا قتله ، فكلِّموه فيه فليقتله أَو ليخرجه من بلادنا . فمشوا إلى عمه فقالوا : قد رأَينا مكانَ هذا الغلام منك ، وقد عرفت أَنا قتلنا أَباه وجعلناك مكانه ، وإنا لا نأْمن من أَن يملَّك علينا فيقتلنا ، فإما أَن تقتله وإما أَن تخرجه من بلادنا . قال : ويحكم قتلتم أَباه بالأَمس وأَقتله اليوم ؟! بل أُخرجه من بلادكم . فخرجوا به فوقفوه فى السوق وباعُوه من تاجرٍ من التجار بستمائة درهم أَو بسبعمائة درهم ، فرفعه فى سفينة فانطلق به ، فلما كان العشاء هاجت سحابةٌ من سحائب الخريف فخرج عمه يتمطَّر تحتها فأَصابته صاعقةٌ فقتلته ففزعوا إلى ولده فإذا هم مُحْمَقون ليس فى أَحد منهم خيرٌ ، فمرَج أَمرُ الحبشة . فقال بعضهم لبعض : تعلمون والله إن مَلِككم الذى يُصْلح أَمْركم الذى بعتم بالغداة ، فإن كان لكم بأَمر الحبشة حاجة فأَدركوه قبل أَن يذهب . فخرجوا فى طلبه فأَدركوه فردُّوه

فعقدوا عليه التاجَ وأجلسوه على سريره وملَّكوه ، فقال التاجر : ردُّوا علىّ مالى كما أخذتم غلامى فقالوا : لا نعطيك . فقال التاجر : والله لأُكلمنَّه فمشى إليه فكلَّمه فقال : أيها الملك إنى ابتعت غلاما فقبض ثمنه الذين باعونيه ثم عدَوْا على غلامى فنزعوه من يدى ولم يردُّوا علىَّ مالِى ، فكان أول ما خُبر من صَلابة حُكْمه أن قال : لتردُّن عليه مالَه أو ليجعلن يدَ غلامه فى يده فيذهب به حيث شاء . فقالوا : بل نعطيه مالَه فأعطوه مَاله .

فلذلك يقول : « ما أخذ الله منى الرشوة فآخذ الرشوة فيه حين ردَّ على مُلكى وما أطاع الناس فىّ فأطيع الناس فيه[1] » .

فأقام المهاجرون بأرض الحبشة عند النجاشى فى أحسن جوار وتعجَّل عبدُ الله بن مسعود فرجع إلى مكة ، فلما سمع المسلمون بمهاجرة النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً ومن النساء ثمانى نسوة ، فمات منهم رجلان بمكة وشهد بدرًا منهم أربعةٌ وعشرون رجلا . كما سيأتى بيان ذلك هناك . والله تعالى أعلم .

كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى

روى البيهقى عن ابن إسحاق قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أُمية الضَّمْرىّ إلى النجاشىّ فى جعفر بن أبى طالب وأصحابه وكتب معه كتابا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمدٍ رسول الله إلى النجاشى الأَصْحَم . سلامٌ عليك فإنى أَحْمدُ إليك الله الملِك القُدُّوس المؤمن المهَيْمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البَتول الطيبة الحصِينة ، فحملت بعيسى فخلَقه من روحه ونفخه كما خلق آدمَ بيده ونفخه ، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعنى وتؤمن بى وبالذى جاءنى فإنى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابنَ عمى جعفر بن أبى طالب ومعه نفر – من المسلمين فإذا جاءوك فأَقِرَّهم ودَعِ التجبرَ فإنى أدعوك وجنودك إلى الله وقد بلَّغتُ ونصحت فاقبلوا نصيحتى . والسلام على من اتبع الهدَى » .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٣٩ – ٣٤٠ .

فكتب إليه النجاشى : إلى محمدٍ رسول الله من النجاشى الأَصْحَم ابن الأَبْجَر . سلامٌ عليك يا نبيَّ الله من الله ورحمته وبركاته ، لا إله إلا الذى هدَانى[1] إلى الإسلام ، فقد بلَغَنى كتابُك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والأَرض إن عيسى لم يزْد على ما ذكرتَ ، وقد عرفنا ما بعثتَ به إلينا وقد مر بنا ابنُ عمك وأَصحابه فأَشهدُ أَنك رسول الله صادقاً مصدَّقا وقد تبعتُك وبايعتُ ابنَ عمك وأَسلمتُ على يديه لله رب العالمين وقد أَرسلت با بنى أَريحا بن لأَصْحَم بن أَبْجَر[2] ، فإنى لا أَملك إلا نفسى ، وإن أَمرتنى أَن أَجئ فعلت يا رسول الله فإنى أَشهد أَن ما تقول حقٌّ .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ذكر ابن إسحاق أَن رفيق عمرو فى هذه السَّفْرة عبدُ الله بن أَبى ربيعة ، قالوا : والصحيحُ أَن رفيق عمرو فى هذه السفرة عُمَارة ، وعبد الله كان رفيق عمرو فى خروجهما بعد وقعة بدر .

الثانى : قولُ جعفر للنجاشى رضى الله عنهما : « وأَمرَنا بالصلاة » أى التى كانت قبل فرض الصلوات الخمس . وقوله : « والزكاة » أراد مُطْلَق الصدقة لأَن زكاة المال إنما فُرِضت بالمدِينة .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق :

البِطْريق : بالكسر كالقائد من العرب .

ضوى : أَوَى ، يقال ضَوَيْت إليه إذا أَويت وانضممت .

---

(١) ط : الذى هدانا .

(٢) كذا بالأصول وفى القاموس : أصحمة بن بحر .

لاهَا الله إذن : الهاء بدل من الواو ، أى لا والله ، هكذا جاء فى الحديث لاها الله إذن قيل : والصواب لاها الله ذا : بحذف الهمزة ومعناه لا والله لا يكون ذا . أَو والله الأَمر ذا ؛ فحذف الكلام واختصر تخفيفا لكثرة الاستعمال . ولك فى أَلفِها مذهبان : أَحدهما تثبت أَلفها لأَن الذى بعدها مُدْغَم مثل دابّة . والثانى : أَن تحذفها لالتقاء الساكنين قاله فى النهاية .

وقال ابن مالك : فى اللفظ بها أَربعة أَوجه :

أَحدها : ها لله إذن : بهاء تليها اللام .

الثانى : ها لله : بأَلف ثابتة قبل اللام .

الثالث : الجمع بين ثبوت الأَلف وقطع الهمزة .

الرابع : أَن تحذفه وتقطع همزة الله .

والمعروف فى كلام العرب ها الله ذا ، وقد وقع فى هذا الحديث : إذن . وليس ببعيد انتهى .

الأَساقِفة : جمع أَسْقُفّ بضم الهمزة وتشديد الفاء وتخفف ؛ رأس من رءُوسهم .

ولا يُكَاد : بتحتية مضمومة فكاف فأَلف فدال مهملة من الكَيْد وهو الاحتيال وإرادة السوء ومنه سمّى الحرب كَيْدا - .

خَضَلوا لِحَاهم : بَلُّوها بالدموع يقال خضل وأَخضل إذا نَدِّىَ وأَخضلته أَنا .

المِشْكاة : الكُوّة .

أَستأْصل : أَى لا أَدع لهم أَصلا .

خَضْراءهم : سَوادهم ومعظمهم .

القِسِّيسون جمع قَسّ بفتح القاف : العالم العابد من رءوس النصارى .

سِمَاطين : جانبين .

العَذْراء : البِكْر .

البَتُول : التى انقطعت عن الرجال .

ما عَدا عيسى هذا العُودَ : قال فى الزَّهر : منصوب على الظرف تقديره : مقدار هذا العود أو قَدْر هذا العود .

تناخَرْت : قال فى النهاية : أى تكلمت وكأنه كلام مع غضب ونفور .

الرِّشْوة : بكسر الراء وضمها : ما يعطيه الشخصُ الحاكمَ وغيرَه ليحكم له أو يَحْمِله على ما يريد .

عَرِم[1] : بعين وراء مثلثة مهملتين والعارم الخبيث الشرير .

هاجت سحابةٌ : ثارت وطلعت .

الخريف : أحد فصول السنة ، سمِّى بذلك لأنه تُخْترَف فيه الثمار أى تقطع .

* * *

الرابع : فى معرفة أسماء الذين هاجروا الهجرة الثانية :

وفى ذلك فائدتان : إحداهما : معرفتهم . وثانيتهما : أنهم من أكابر الصالحين ، فقد روى ابن الجوزى فى مقدمة الصفوة عن سفيان بن عُيَيْنَة رحمه الله أنه قال : عند ذِكْر الصالحين تنزل الرحمة[2] .

وقد ذكرهم ابن إسحاق مرتَّبا لهم على القبائل والبطون ، فرأيت ذلك صعبا على من أراد الكشف عن اسم واحد منهم ، فرتبت أسماءهم على حروف المعجم .

---

(١) كذا ، بالعين ، والذى سبق فى الرواية : غرم . بالغين المعجمة .

(٢) صفوة الصفوة ١/١١ (ط حيدر آباد) .

الألف

أبَان بن سعيد بن العاصي بن أمية القرشي الأُموى . ذكره ابن إسحاق فيهم وخالفه فى ذلك أهلُ العلم بالأَخبار وقالوا : أَسلم أَيام خيبر وشهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

إبراهيم بن الحارث بن خالد بن صخر القرشي التَّيْمى هاجر مع أَبيه .

الأَسود بن نوفل بن خُوَيْلد بن أَسد القرشي الأَسدى بن أَخى خديجة رضى الله عنهما .

البـاء الموحدة

بِشْر بن الحارث بن قيس بن عدىّ القرشي السَّهْمى .

التاء المثناة

تميم بن الحارث بن قيس بن عدى أَخو بشر السابق .

الجيم

جابر بن سفيان بن مَعْمَر بن حبيب الجمحى .

جعفر بن أَبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصىّ أَبو عبد الله رضى الله عنه . قاله الحافظ عماد الدين بن كَثِير[1] .

قلت : وفى ذلك نظر لأَن ابن إسحاق ذكر أَسماء الذين هاجروا الهجرة الأُولى ثم ذكر الذين هاجروا ثانيا .

جُنَادة بن سفيان بن مَعْمَر بن حبيب القرشي الجُمَحِى .

جَهْم بن قيس بن عبد شُرَحْبيل العَبْدَرى .

---

(١) الذى فى سيرة ابن كثير ٦/٢ : قال موسى بن عقبة : وكان جعفر بن ابى طالب فيمن خرج ثانيا . ثم قال : وما ذكره ابن إسحق من خروجه فى الرعيل الأول أظهر .

الحارث بن الحارث بن قيس بن عَدِيّ القرشي السهمى، قال البلاذرىّ : ذكر بعضهم أنه هاجر مع أخويه إلى الحبشة وليست هجرته بثبت[1] .

الحارث بن حاطب بن الحارث بن مَعْمَر القرشي الجمحى . ذكر الزهرى أنه ولد بأرض الحبشة ، وفى كلام مُصْعَب ما يدل على أن الحارث ولد قبل هجرة الحبشة .

الحارث بن خالد بن صخر بن عامر القرشي التيمى .

الحارث بن عبد قيس بن لَقِيط بن عامر القرشىّ التَّيمى الفِهْرى .

حاطِب بن الحارث بن عدىّ السَّهْمَى . قال أبو عمر : أسلم وهاجر إلى الحبشة وتعقبه ابن الأثير بأنه كان من المستهزئين. وقال الذهبي : لم يذكر أحد أنه أسلم إلا أبو عمر . قال الحافظ : نعم ذكره فيهم أيضا أبو عبيدة ومُصْعَب والطَّبرى وغيرهم ، ولا مانع أن يكون تاب وهاجر ، فلا تنافى بين القولين . وبسط الكلام على ذلك .

قلت : وذكره ابنُ الجوزى فى التَّلْقيح فى مُهاجرة الحبشة، وقال : مات بها .

حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحى مات بها .

حاطب بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامرىّ ، يقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة وبه جزم الزُّهْرى . ورجع من الحبشة قبل الهجرة من المدينة .

الحجَّاج بن الحارث بن قيس القرشي السهمى . ذكره ابن عُقْبة وابن إسحاق فيمن هاجر إلى الحبشة وأنكر ذلك ابنُ الكَلْبي والزبير بن بكّار .

حَطَّاب ــ بالحاء والطاء المهملتين ــ ابن الحارث بن مَعْمَر القرشي الجمحى مات بها وهو أخو حاطب .

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢١٦ .

الخاء المعجمة

خالد بن حِزَام - بالحاء المهملة وبالزاى - ابن خُوَيْلد القرشى الأسدى. قال البلاذرى وابن مَنْدَه عن عروة : إنه هاجر إلى الحبشة فنهشتْه حية فمات فى الطريق ، فنزل فيه : «ومن يَخْرج من بيته مُهَاجرًا إلى الله ورسوله» الآية[1] .

وروى ذلك مُصْعَب الزبيرى عن غير واحد من آل حِزَام . وجزم بذلك الواقدى .

قال الحافظ : لكن المشهور الذى نزلت فيه هذه الآية جُنْدَب بن ضمرة .

خالد بن سعيد بن العاصى بن أُمية القرشى الأموى ،

خالد بن سفيان بن مَعْمَر بن حبيب القرشى الجمحى .

خُزَيمة بن جَهْم بن عبد بن شُرَحْبيل العَبْدَرى .

خُنَيْس - بضم الخاء المعجمة فنون مفتوحة فمثناة تحتية فسين مهملة - ابن حُذَافة ابن قيس بن عدى القرشى السهمى .

الراء

ربيعة بن هلال بن مالك .

الزاى

الزبير بن العوّام بن خويلد القرشى الأسدى أبو عبد الله .

السين المهملة

السائب بن الحارث بن قيس القرشى السهمى .

السائب بن عثمان بن مَظْعون الجمحى .

سعد بن خَوْلة القرشى العامرى .

سعيد بن الحارث بن قيس القرشى السهمى .

سعيد بن عبد قَيْس بن لقيط القرشى الفهرى

---

(١) أنساب الأشراف ١/٢٠٢ .

سعيد بن عمر التَّيْمى ـ ويقال اسمه معبد .

سفيان بن مَعْمَر ـ بفتح الميمين وإسكان المهملة بينهما ـ ابن حبيب القرشى الجُمَحى.

السَّكْران بن عمرو بن عبد شمس القرشى العامرى .

سَلَمة بن هشام بن المغيرة القرشى المخزومى .

سليط بن عمرو بن عبد شمس القرشى العامرى ، ويقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة.

سُهَيْل بن بيضاء وهى أمه واسمها دَعْد ، واسم أبيه وهب بن ربيعة القرشى الفِهْرى

سُوَيْبط بن حَرْمَلة ويقال ابن سعد بن حرملة ، ويقال حُرَيْملة ، القرشى العبدرى .

الشين المعجمة

شُرَحْبيل بن عبد الله المطاع بن عبد الله الكِنْدى[1]ويقال التميمى ويعرف بأُمه حَسَنة .

شمَّاس بن عثمان بن الشَّريد القرشى المخزومى واسمه عثمان بن عثمان ، وإنما سمى شمَّاسا ، لأن شماسا من الشمامسة قدِم مكة فى الجاهلية وكان جميلاً فعجب الناسُ من جماله فقال عتبة بن ربيعة وكان خال عثمان : أنا آتيكم بشماس أحسن منه . فجاء بابن أخته عثمان فسمى شمَّاسا . والشماس من رءوس النصارى يَحْلق وسط رأسه ويلزم البَيْعة وليس بعربى صريح .

الطاء المهملة

طُلَيْب ـ بالتصغير ـ ابن أَزْهَر بن عبد عوف القرشى الزُّهْرى .

طُلَيْب بن عمير ـ بالتصغير ـ أو عمرو بن وهب أبو عدى .

العين المهملة

عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك العَنَزىّ ـ بفتح العين المهملة والنون ـ ويقال بفتح النون .

عامر بن أبى وقاص ،واسم أبى وقاص مالك بن أُهَيْب القرشى الزهرى أبو عمرو أخو سعد .

---

(١) الأصل : النكرى . محرفة . وما أثبته من أنساب الأشراف ٢١٤/١ .

عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القُرَشى الفِهْرى ، أبو عبيدة .

عبد الله بن جحش بن رِيَاب – براء فمثناة تحتية فألف فباء موحدَة – بن يَعْمُر القرشى الأسدى .

عبد الله بن الحارث بن قيس القرشى السَّهْمى .

عبد الله بن حُذَافة بن قيس القرشى السهمى .

عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد القرشى المخزومى

عبد الله بن سُهَيْل[1] بن عمرو العامرى ، أبو سُهَيْل .

عبد الله بن شِهَاب بن عبد الله القرشى الزهرى .

عبد الله بن عبد أسد بن هلال القرشى المخزومى ، أبو سلمة ، هاجرَ الهجرتين، ويقال إنه أول من هاجر إلى الحبشة هو وامرأته .

عبد الله بن عُرْفُطَة – بضم العين وإسكان الراء ففاء مضمومة وطاء مهملة مفتوحة .

عبد الله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعرى . ذكره فيهم ابنُ إسحاق . قال أبو عمر : ليس كذلك ولكنه خرج فى طائفة من قومه من أرضهم باليمن يريد المدينة فركبوا البحرَ فرمتْهم الريحُ إلى الحبشة فأقام هناك حتى قدم مع جعفر .

قلت : وقد روى البيهقى وغيره بسند صحيح عن ابى موسى فى حديث الهجرة إلى الحبشة وفيه : أمرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق مع جعفر إلى أرض الحبشة . فذكر الحديث[2] .

قال البيهقى : وظاهره يدلّ على أن أبا موسى كان بمكة وأنه خرج مع جعفر بن أبى طالب إلى أرض الحبشة .

والصحيح ما رواه البخارى فى صحيحه عن أبى موسى قال : بلَغنا مَخْرَجُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فخرجْنا فألقتنا سفينتُنا إلى النجاشى بالحبشة فوافَقْنا جعفرَ

---

(١) غير ط : ابن سهل . وما أثبته موافق لما فى أنساب الأشراف ١/٢١٩ .

(٢) الحديث فى دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٢٠٥ ، و نقله عنه ابن كثير فى سيرته ٢/١ .

ابن أبي طالب فأقمنا معه حتى قدمنا فوافقنا النبيَّ صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر ، الحديث .

وقال الحافظ فى الفتح : ويؤيد ما ذكره ابن إسحاق ما رواه الإمام أحمد بسند حسن عن ابن مسعود قال : بعثنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحوٌ من ثمانين رجلاً فيهم عبد الله بن مسعود وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن عُرْفُطة وعثمان بن مَظْعون وأبو موسى الأشعرى . فذكر الحديث[1] .

وقد استشكل ذِكْر أبى موسى فيهم لأن المذكور فى الصحيح أن أبا موسى خرج من بلاده هو وجماعة قاصدين النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة فألقتهم السفينة بأرض الحبشة فحَضروا مع جعفر إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر .

ويمكن الجمع بأن يكون أبو موسى هاجر أولاً إلى مكة فبعثه النبيُّ صلى الله عليه وسلم مع من بعث إلى الحبشة فتوجه هو إلى بلاد قومه وهى مقابل الحبشة من الجانب الشرقى ، فلما تحققوا استقرارَ النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة هاجر هو ومن أسْلَم من قومه إلى المدينة فألقتهم السفينة لأجل هَيجان الرِّيح إلى الحبشة .

فهذا مُحْتمل ، وفيه جمع بين الأخبار . فليعتمد والله أعلم .

وعلى هذا قول أبى موسى : «بلغَنا مخرجُ النبى صلى الله عليه وسلم» أى إلى المدينة وليس المراد : بلغنا مَبْعثه . ويؤيده أنه يَبْعُد كلَّ البعد أن يتأخر عِلْم مبعثه إلى مضىّ نحو عشرين سنة مع الحمل على مخرجه إلى المدينة فلابد من زيادة استقراره بها وانتصافه ممن عاداه ونحو ذلك ، وإلا فيبعد أن يخفى عليهم خبر خروجه إلى المدينة ست سنين .

ويحتمل أن إقامة أبى موسى بأرض الحبشة طالت لأجل تأخر جعفر عن الحضور إلى المدينة حتى يأتيه الإذن من النبى صلى الله عليه وسلم بالقدوم .

عبد الله بن مَخْرمة القرشى العامرى .

عبد الله بن مسعود بن غافل ـ بمعجمة وفاء ـ الهُذَلى .

---

(١) فتح البارى ٢٥/٩ (ط الحلبى) .

عبد الله بن مظعون بن وهب القرشي الجمحي أخو عثمان .

عُبَيْد الله بن جحْش ، تنصَّر هناك ثم توفى على النصرانية .

عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري .

عُتْبة بن غَزْوان – بغين معجمة مفتوحة فزاى ساكنة – ابن جابر المازني – بالزاى والنون .

عتبة[1] بن مسعود الهذلى أخو عبد الله .

عثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب القرشي الجمحي .

عثمان بن عبد غَنْم بن زهير بن أبي شداد القرشي الفهري

عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية القرشي الأموى .

عثمان بن مَظْعون – بالظاء المعجمة – المشالة بن حبيب بن وهب القرشي الجمحي .

عدى بن نَضْلة – أو نُضَيْلة بالتصغير – القرشي العدَوى ، مات بأرض الحبشة .

عروة بن أبي أُثَاثَةَ – ويقال ابن أثاثة بإسقاط أبي – ابن عبد العُزَّى القرشي العدوى .

عمَّار بن ياسر بن عامر العَنْسى – بالنون – أبو اليقظان. اختلف في هجرته إلى الحبشة قال السهيلي : والأصح عند أهل السير كابن عُقْبة والواقدى وغيرهما أنه لم يكن فيهم .

عمرو بن رِئَاب بن حذيفة السهمي .

عمرو بن أمية بن الحارث الأسدى . مات بأرض الحبشة .

عمرو بن جَهْم بن قيس العَبْدرى .

عمرو بن الحارث بن زهير الفهرى .

عمرو بن سعيد بن العاصي القرشي الأموى .

عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد التيمي عم طلحة .

عمرو بن أبي سَرْح – بسين فراء ساكنة فحاء مهملات – ابن ربيعة الفِهْرى .

---

(١) غير ط : عثمان بن مسعود . وهو تحريف . وانظر أنساب الأشراف ١/٢٠٤ .

عُمَيْر بن رِئاب – براء مكسورة فمثناة تحتية مهموزة – فموحدة – ابن حُذَيْفة القرشى السَّهْمى .

عَيَّاش – بالمثناة التحتية والشين المعجمة – ابن أبى ربيعة واسمه عمرو بن المغيرة القرشى المخزومى .

عِيَاض بن زهير بن أبى شداد بن ربيعة القرشى الفهرى .

الفـاء

فِرَاس – بالسين المهملة – ابن النضر بن الحارث العبْدرى .

القاف

قُدامة بن مَظْعون بن حبيب القرشى الجمحى .

قيس بن حذافة بن قيس القرشى السهمى .

قيس بن عبد الله الأسدى .

الميم

مالك بن زَمْعة بن قيس العامرى أخو أم المؤمنين سَوْدَة .

محمد بن حاطب بن الحارث القرشى الجمحى .

مَحْمِيَة – بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الميم الثانية بعدها مثناة تحتية مفتوحة – ابن جَزْء – بفتح الجيم وسكون الزاى ثم همزة – ابن عبد يغوث الزُّبيدى – بضم الزاى وبالدال المهملة .

مُصْعَب بن عمير بن هاشم العبدرى ، ويقال إنه أول من هاجر إليها .

المطَّلب بن أزهر بن عبد عوف القرشى الزهرى .

معْبَد بن الحارث بن قيس القرشى السهمى ، ويقال اسمه مَعْمَر .

مُعَتِّب بن عوف ، يعرف بابن الحمراء الخزاعى .

معْمَر بن الحارث . تقدَّم فى معبد .

مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة ، ويقال ابن عبد الله ، بن نافع بن نضُلة العدوى .

مُعَيْقب – بميم مضمومة فعين مهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فقاف مكسورة فمثناة تحتية فموحدة – ابن فاطمة الدَّوْسى – بفتح الدال المهملة وسكون الواو .

المِقْداد بن الأَسود الكِنْدى ، تبنَّاه الأَسود بن عبد يغُوث الزهرى وهو حليف له فنسب إليه وهو المِقْداد بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك البَهْرانى – بفتح الموحدة وسكون الهاء وقَبْل ياء النسب نون .

النون

نبيه بن عثمان بن ربيعة القرشى الجمحى .

النعمان بن عدى بن نَضْلة العدوى .

الهـاء

هاشم بن أَبى حذيفة بن المغيرة القرشى المخزومى ، ويقال اسمه هشام .

هَبَّار بن سفيان بن عبد الأَسد بن هلال القرشى المخزومى .

هشام بن عُتْبة . تقدم فى هاشم .

هشام بن العاصى بن وائل بن هاشم أخو عمرو .

اليـاء

يزيد بن زَمْعة بن الأَسود القرشى الأَسدى .

يسَار أَبو فُكَيْهة أحد المعذَّبين فى الله .

الكُنَى

أَبو الرُّوم – بالراء – بن عمير بن هاشم العَبْدرى أخو مصعب .

أَبو سَبْرة بن أَبى رُهْم بن عبد العُزَّى القرشى العامرى .

أَبو سَلَمة بن عبد الأَسد هو عبد الله .

أبو عبيدة بن الجرَّاح هو عامر بن عبد الله أبو فُكَيْهة ـ بضم الفاء وفتح الكاف ـ هو يَسَار .

أبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدِيّ السَّهْمى

النساء

أسماء بنت عُمَيْس ـ بعين مهملة مضمومة فميم مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فسين مهملة ابن مَعْد ـ بميم مفتوحة فعين مهملة ساكنة وزن سَعْد ، ابن الحارث الخَثْعمية .

أمينة : تأتى فى همينة .

بَركة بنت يَسَار مَوْلاَة أبى سفيان بن حَرْب .

حُرَيْملة بنت عبد الأسود[1] الخزاعية . ماتت بأرض الحبشة ويقال فى اسمها حَرْمَلة بغير ياء .

حَسَنة بلفظ ضد السَّيئة أم شُرَحْبيل .

خُزَيْمة بنت جَهْم بن قيس العَبْدَريّة .

رُقَيَّة ـ بضم الراء وفتح القاف وتشديد المثناة التحتية بنت سيد الخلائق . وذكر ابن قدامة أن نفرا من الحبش كانوا ينظرون إليها فتأَذَّت من ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا .

رَمْلة بنت أبى عوف القرشية السهمية .

رَيْطة ـ بفتح الراء وسكون المثناة التحتية بنت الحارث بن جبلة القرشية التميمية ويقال فى اسمها رايطة .

سَهْلة بنت سهيل بن عمرو القرشية العامرية .

سَوْدَة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية أُم المؤمنين .

عُمَيْرة ـ ويقال عمْرة بنت أسعد[2] بن وَقْدان ـ بفتح الواو وسكون القاف القرشية العامرية.

---

(١) ت ، م : بنت عبد الأسد .

(٢) كذا بالأصل وفى أنساب الأشراف ٢١٩/١ : عميرة بنت السعدى بن وقدان .

فاطمة بنت صفوان بن أمية .

فاطمة بنت عَلْقمة بن عبد الله القرشية العامرية .

فاطمة بنت المُجَلَّل بضم الميم وفتح الجيم واللام المشددة ابن عبد الله القرشية العامرية .

فُكَيهة بنت يسار السابق .

ليلى بنت أبي خيْثَمة[1] بن غانم العدوية .

هُمَيْنة بنت خلف بن أسعد الخزاعية ويقال فى اسمها أُمَيْنة .

هند بنت أبي أمية واسمه حذيفة ، وقيل سهل بن المغيرة – القرشية المخزومية ، أم المؤمنين أم سلمة .

أُم حَرْمَلة بنت عبد الأسود بن خزيمة الخزاعية .

أُم كلثوم بنت سُهَيْل بن عمرو القرشية العامرية .

من ولد بأرض الحبشة

عبد الله وعون ومحمد أولاد جعفر بن أبي طالب من أسماء بنت عُمَيْس .

سعيد وأَمَة – بفتح الهمزة والميم بغير إضافة – ابنا خالد بن سعيد من أُمية بنت خلف .

عبد الله بن المطلب من رَمْلة بنت أبي عوف .

محمد بن أبي حذيفة من سهلة بن سهيل .

محمد والحارث ابنا حاطب من فاطمة بنت المجَلَّل .

روى الإمام أحمد والطبرانى برجال الصحيح عن محمد بن حاطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنى قد رأيت أرضًا ذات نخل فاخرجوا . قال: فخرج حاطب وجعفر فى البحر قِبَل النجاشى . قال : فولدتُ أنا فى البحر فى تلك السفينة[2]» .

موسى وعائشة وزينب أولاد الحارث بن خالد من رَيْطة .

---

(١) أنساب الأشراف ٢١٧/١ : ليلى بنت أبى حثمة .

(٢) مسند أحمد ٢٥٨/٤ .

الباب العشرون

فى إرادة أبى بكر رضى الله عنه الهجرة إلى الحبشة وإلى المدينة

قالت عائشة رضى الله عنها : لم أعْقل أبوىَّ قط إلا وهما يَدِينان الدِّينَ ، ولم يمرّ علينا يوم إلا يأتينا فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فى النهار بُكْرة وعشيةً ، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ بَرْك الغمّاد لقيه ابن الدُّغنّة وهو سيّد القارَة ، فقال : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى فأُريد[1] أن أسيح فى الأرض فأعبد ربى عز وجل - فقال ابن الدغنّة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يَخرج [ولايُخرَج][2] إنك تَكسب المعدومَ وتصل الرحم وتحمل الكَلَّ وتَقْرى الضيف وتعين على نوائب الحقّ ، فأنا لك جارٌ فارجع واعبد ربَّك ببلدك . وكان مع أبى بكر الحارث بن خالد ، فقال أبو بكر : فإن معى رجلاً من عشيرتى . فقال له ابن الدغنة : دعه فليمض لوجهه وارجع أنت إلى عيالك . فقال له أبو بكر : فأين حق المرافقة ؟ فقال الحارث : أنت فى حلٍّ فامض فإنى ماض لوجهى مع أصحابى . فمضى حتى صار إلى الحبشة .

فرجع أبو بكر وارتحل معه ابن الدغنّة فطاف ابن الدغنة فى أشراف كفار قريش فقال : إن أبا بكر لا يُخرَج مثلُه أتُخرجون رجلاً يَكسب المعدومَ ويصل الرحمَ ويَحمل الكَلَّ ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق ؟ ! فلم تكذِّب قريش بجوار ابن الدغنة . وفى رواية : فأنفَذت قريشٌ جوارَ ابن الدغنة وآمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة : مُرْ أبا بكر فليعبد ربَّه فى داره وليُصَلِّ فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستَعْلن به فإنا نخشى أن يَفْتن نساءنا وأبناءنا . فقال ذلك ابنُ الدغنة لأبى بكر .

فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه فى داره ولا يَسْتعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ، ثم بدَا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره فكان يصلّى فيه فيتقَصَّف عليه نساءُ المشركين

---

(١) ط : فأنا أريد .

(٢) من صحيح البخـارى .

وأبناؤهم يَعْجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلا بَكَّاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين وأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أَجَرْنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة ، وإنا قد خشينا أن يَفْتن نساءنا وأبناءنا فَأْته فإن أحبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فَعل ، وإن أبىَ إلا أن يُعْلن بذلك فسَلْه أن يردَّ عليك ذمَّتك فإنا قد كرهنا أن نُخْفرَك ولسنا مقرِّين لأبى بكر الاستعلانَ .

فأتى ابنُ الدغنة إلى أبى بكر فقال : قد علمتَ الذى عاقدتُ لك عليه ، فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن تُرْجع إلىّ ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أُخْفرْت فى رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فإنى أردُّ إليك جوَارك وأرضى بجوار الله تعالى .

والنبى صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى أُريت دارَ هجرتكم بسَبْخة[1] ذات نخل بين لابتَيْن ، وهما الحَرَّتان ، فهاجر من هاجر قبَل المدينة ، ورجع عامةُ من كان بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبَل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رسْلك فإنى أرجو أن يُؤْذَن لى . فقال أبو بكر : هل ترجو ذلك ؟ قال : نعم

وسيأتى بقية الحديث فى باب الهجرة إلى المدينة.

رواه البخارى والبلاذُرىّ وغيرهما[2]

وروى ابن إسحاق عن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق قال : : لقيه – يعنى أبا بكر الصديق – حين خرج من جوار ابن الدغنة سفيهٌ من سفهاء قريش وهو عامدٌ إلى الكعبة فحثا على رأسه تراباً فمرَّ بأبى بكر الوليدُ بن المغيرة أو العاصى بن وائل فقال له أبو بكر : ألا ترى ما يصنع هذا السفيه ؟ فقال : أنت صنعتَ هذا بنفسك . قال وهو يقول : أىْ ربٍّ ما أَحْلَمك ، أى رب ما أحلمك ، أى رب ما أحلمك ! ثلاثا[3] .

---

(١) ت ، م : « سبخة »

(٢) صحيح البخارى كتاب الصلاة ، وكتاب المناقب ، وكتاب الكفالة ، وأنساب الأشراف ١/٢٠٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٧٣ ، ٣٧٤ .

تنبيـه

فى بيان غريب ما سبق

الدِّين : بالنصب على نزع الخافض أى يدينان بدين الإسلام ، أو هو مفعول به على التجوز .

ابتلى المسلمون : أى بأذى المشركين لما حَصروا بنى هاشم والمطَّلب فى شِعْب أبى طالب وأذن النبى صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى الهجرة إلى الحبشة .

بَرْك ـ بباء موحدة مفتوحة وتكسر فراء ساكنة فكاف . الغماد بغين معجمة مكسورة وقد تضم فميم مخففة فألف فدال مهملة : موضع على خمس ليال من مكة .

ابن الدُّغُنَّة ـ بدال مهملة فغين مضمومتين فنون مشددة عند أهل اللغة ، وعند أهـل الرواية : بفتح أوله وكسر ثانيه وتخفيف النون . وثبت بالتخفيف والتشديد عند بعض رواة الصحيح وهي أُمُّه وقيل أم أبيه ومعنى الدغنّة : المسترخية ، وأصلها الغَمامة الكثيرة المطر . واختلف فى اسمه فقال الزهرى ، كما رواه البلاذرى : الحارث بن يزيد . وحكى السُّهيلى أن اسمه مالك .

القارَة ـ بالقاف وتخفيف الراء ، وهى قبيلة مشهورة من بنى الهُون ـ بالضم والتخفيف ـ ابن خُزَيْمة بن مُدْركة ابن الياس بن مضر ، ويُضْرب بهم المثلُ فى قوة الرَّمْى . قال الشاعر

* قد أنصفَ القارَة من رامَاها(١) *

أسيح ـ بسين وحاء مهملتين بينهما مثناة تحتية : أسير .

لا يَخْرج مثله . بفتح أوله أى من وطنه باختياره على نية الإقامة فى غيره مع ما فيه من النفع المتعدِّى لأهل بلده ولا يُخْرَج بضم أوله أى ولا يخرجه أحد بغير اختياره للمعنى المذكور .

---

(١) قال أبو ذر : هو بيت رجز وقبله : إنا إذا ما فئة نلقاها نرد أولاها على أخراها .
وكانت القارة رماة لا يقوم لهم أحد ، فجاء قوم من رماة الفرس فعارضوهم فى الرمى فقال الناس : قد أنصف القارة من راماها . فجرى مثلا . شرح السيرة ص ٧٩ .

فلم تكذِّب قريش : أى لم تردّ عليه قوله فى أمان أبى بكر ، وكل من كذَّبك فقد ردَّ عليك قولَك ، فأطلق التكذيب وأراد لازمه .

بجوَار – بكسر الجيم وضمها وآخره راء .

الفنَاء – بكسر الفاء وتخفيف النون : سعَة أمام البيت وقيل ما امتدَّ من جوانبه .

بدا – ظهر له رأى غير الأول .

يتقصَّف : بمثناة تحتية فمثناة فوقية فقاف فصاد مهملة مشددة مفتوحتين : يزدحمون عليه حتى يَسْقط بعضُهم على بعض فيكاد ينكسر ، وأطلق يتقصّف مبالغة .

بَكَّاء : بالتشديد : كثير البكاء .

ذِمتك : أمانك .

نُخْفرك – بضم أوله وبالخاء المعجمة وبالفاء .

مُقرِّين لأبى بكر الاستعلان : أى لا نسكت عن الإنكار عليه للمعنى الذى ذكروه .

بجوار الله : أى أمانه وحمايته .

قِبَل المدينة – بكسر القاف وفتح الموحدة أى جهة المدينة .

على رِسْلك : بكسر الراء : أى على مهلك ، والرِّسْل السير الرفيق .

ودل قول أبى بكر رضى الله عنه : ما أحْلَمك على جواز قول : ما أعظم الله . وقد بسطت الكلام على ذلك فى كتاب «رياض الأبرار فى الدعوات والأذكار» والله أعلم .

الباب الحادى والعشرون

فى نقض الصحيفة الظالمة

قال ابن إسحاق : ثم إنه قام فى نقض الصحيفة التى تكاتبت فيها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب جماعةٌ من قريش ، ولم يُبلَ فيها بلاءٌ أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن الحارث رضى الله عنه . وذلك أنه كان ابن أخى نَضْلة ابن هاشم بن عبد مناف لأُمه ، فكان هشام لبنى هاشم واصلاً ، وكان ذا شرف فى قومه فكان يأتى ليلاً بالبعير قد أَوْقَره طعاماً بالليل وبنو هاشم وبنو المطلب بالشِّعْب حتى إذا أَقْبَله فَمَ الشِّعبِ قَلع خِطَامه من رأسه ثم ضرب على جَنْبه فيدخل عليهم الشعبَ ، ويأتى بالبعير قد أَوْقره بُرًّا فيفعل مثل ذلك .

قال ابن سعد : وكان أَوْصَل قريش لبنى هاشم حين حُصِروا فى الشعب ، أدخل عليهم فى ليلة ثلاثة أحمال طعاماً ، فعلمت بذلك قريش فمشوا إليه حين أصبح فكلَّموه فى ذلك فقال : إنى غيرُ عائد لشىء خالَفكم . فانصرفوا عنه . ثم عاد الثانيةَ فأدخل عليهم ليلاً حِمْلا أو حِمْلين فغالظَتْه قريشٌ وهمَّت به. فقال أبو سفيان بن حرب : دَعُوه ، رجلٌ وصَل أهلَ رَحِمه ، أمَا إنى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أَحْسنَ بنا .

ثم إن هشاما مشى إلى زهير بن أبى أمية رضى الله عنه ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب ، فقال له : يا زهير أرضيتَ أن تأكل الطعامَ وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالُك حيث قد علمتَ لا يُبَايَعون ولا يُبْتاع منهم ، ولا يَنْكحون ولا يُنْكَح إليهم ؟ أمَا إنى أحلف بالله أنْ لو كانوا أخوالَ أبى الحكَم بن هشام ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابَك إليه . فقال : ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمتُ فى نَقْضها . قال : قد وجدتَ رجلاً . قال : من هو ؟ قال : أنا : فقال له زهير : ابْغِنا رجلاً ثالثا .

فذهب إلى المطْعِم بن عدىّ فقال له : يا مطعم أرضيتَ أن يَهْلك بَطْنان من بنى عبد مناف وأنت شاهدٌ على ذلك موافق لقريش فيه ؟ أمَا والله لئن مكَّنتموهم من هذه لتجدنَّهم

إليها منكم سِرَاعا . فقال : ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد . قال : قد وجدتَ ثانيا . قال : من هو ؟ قال : أنا . قال : ابغنا ثالثا . قال : قد فعلتُ . قال : من هو ؟ قال زهير ابن أَبي أُمية . قال : ابغنا رابعا .

فذهب إلى أَبي البَخْترىّ بن هشام فقال له نحوًا مما قال للمطعِم بن عدىّ فقال : وهل أحدٌ يعين على هذا الأمر ؟ قال : نعم . قال : من هو ؟ قال : زهيرُ ابن أُمية والمطعِم بن عَدِىّ وأَنا معك . قال : ابغنا خامسا .

فذهب إلى زَمْعَة بن الأَسود فكلَّمه وذكر له قرابتَهم وحقَّهم فقال : وهل على هذا الأَمر الذى تَدْعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم . وسمَّى له القَوم .

وعند الزبير ابن أَبى بكر : أن سهيل بن بَيْضاء الفِهْرى هو الذى مشى إليهم فى ذلك ؛ ويؤيده قولُ أَبى طالب فى قصيدته الآتية :

* همُ رجعوا سَهْلَ بن بيضاء راضياً[1] *

وزاد ابن سعد فى الجماعة : عدىَّ بن قيس . وأسلم منهم هشام وزهير وسهيل وعدىّ ابن قيس .

فاتَّعَدُوا خطم الحَجُون ليلاً بأَعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، فأَجمعوا أمرَهم وتعاهدوا على القيام فى نقض الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أَبدَؤكم فأَكون أولَ من يتكلم .

فلما أَصبحوا غدَوْا إلى أَنديتهم وغدا زهير وعليه حُلَّة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال : يا أَهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هَلْكى لا يُبَاعون ولا يبتاع منهم ؟ والله لا أَقعد حتى تُشقّ هذه الصحيفةُ القاطعة الظالمة .

فقال أَبو جهل ، وكان فى ناحية المسجد : كذبتَ والله لا تُشَقّ .

قال زَمْعة بن الأَسود : أَنت والله أَكْذَب ما رضينا كتابتها حين كُتبت .

قال أَبو البختَرىّ : صَدق زَمْعة لا نرضى ما كُتب فيها ولا نُقرّ به .

---

(١) عجزه كما سيأتى : وسر أبو بكر بها ومحمد .

قال المطعم : صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها .

وقال هشام بن عمرو نحوًا من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمرٌ قُضى بليل تُشوور فيه فى غير هذا المكان .

وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد .

وقام المطعم بن عدىّ إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأَرَضَة قد أكلتها إلا : « باسمك اللهم » كما تقدم .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : إنهم مكثوا مَحْصورين فى الشِّعب ثلاثَ سنين .

رواه أبو نعيم .

وقال محمد بن عمر الأَسلمى : سأَلت محمدَ بن صالح وعبدَ الرحمن بن عبد العزيز : متى خرج بنو هاشم من الشعب ؟ قالا : فى سنة عَشْر يعنى من المبعث قبل الهجرة بثلاث سنين .

وقال صاعِد فى الفُصُوص : إنه صلى الله عليه وسلم خرج من الشعب وله تسع وأربعون سنة قال ابن إسحاق : فلما مزِّقت الصحيفة وبطَل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أُولئك النفر الذين قاموا فى نقضها يمدحهم :

أَلا هل أَتَى بَحْرِيَّنا صنعُ ربنـا	على نَأْيهم والله بالناس أَرْوَدُ
فيخبرهم أن الصحيفة مُزِّقـت	وأنْ كل مالم يَرْضَه الله مُفْسَدُ
تراوَحها إفْكٌ وسِحْر مجمَّـع	ولم يُلْفَ سحرٌ آخر الدهر يَصْعَدُ
فمن ينس من حُضَّار مكة عـزةً	فعِزَّتنـا فى بطن مـكة أتْـلَدُ
نشأْنا بها والناسُ فيها قلائـل	فلم ننفكِكْ نزداد خيرا ونُحْمَدُ
ونُطْعِم حتى يترك الناس فضلَهم	إذا جعلت أيدى المفيضين تُرْعَدُ
جزَى الله رَهْطًا بالحَجُونتتابعَوا	على ملإٍ يهدى لحَزْم ويرْشـدُ
قعودٌ لدى خَطْم الحَجُون كأَنهم	مَقَاولـةٌ بل هم أَعزُّ وأَمْجَـدُ
أَعان عليها كلُّ صـقر كأَنـه	إذا ما مشى فى رَفْرف الدِّرْع أَحْرَدُ

جرىء علَى جُلَّى الخطوب كأنه | شِهَابٌ بكفَىّ قابس يتوقــدُ
من الأكرمين من لؤى بن غالبٍ | إذا سِيمَ خسفاً وجــهُه يتربَّــدُ
ألسطٌ بهذا الصلح كلٌّ مبرَّأ | عظيمِ اللـواء أمْرُه ثم يُحْمَـدُ
قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحوا | على مَهل وسائِر الناسِ رُقَّــدُ
همُ رجعوا سهلَ بن بيضاء راضيا | وسُرَّ أبو بكر بهـا ومحمــدُ
متَى شرك الأقوامُ فى جُلِّ أمرنا | وكنـا قديما قبلهـا نُتَــودَّدُ
وكنـا قديمـا لا نُقِر ظُـلامـةً | وندرك ما شِئنـا ولا نتشـدَّدُ
فيالَقُصَىٍّ هــل لـكم فى نفوسكم | وهـل لكمُ فيما يجىء به غــدُ
فإنى وإياكم كما قــال قائـــل | لدَيْك بيـانٌ لو تـكلَّمْتَ أَسْوَدُ[1]

[تفسير الغريب]

البحرىّ : هنا يراد به من كان هاجر من المسلمين إلى الحبشة فى البحر .

نأْيهم : بعدهم . أرْوَد : أرفق .

يُراوحها[1] بمثناة تحتية فراء فألف فواو فحاء مهملة أى تعتمد على الإفك مرة وعلى السِّحْر المجمع أخرى .

يُلْفَ : بالفاء : يوجَد .

فمن ينس : أراد ينسى فحذف الألف .

أتْلَد : أقْدَم .

الخير : الكرم .

المُفِيضون : بميم مضمومة ففاء مكسورة فمثناة تحتية فضاد معجمة : المراد بهم هاهنا : الضاربون بقِدَاح المَيْسر ، وكان لا يفيض معهم فى الميْسر إلا سَخِىّ .

الحَجُون : بحاء مهملة مفتوحة فجيم مضمومة : موضع بأعلى مكة .

---

(١) الروض الأنف ١/٢٣٣ (ط الجمالية) .

(٢) كذا ، والذى سبق فى الأبيات : تراوحها ، بالتاء .

خَطْم الحجون : قال فى الصحاح الخُطْمة بالضم[1] : رَعْنُ الجبل أى أنفه المتقدم . وقال فى موضع آخر : أنف كل شىء أوله وأنف الجبل بارز يشخص منه .

الرَّهْط : بسكون الهاء وتحريكها دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة أو منها إلى الأربعين .

الملأُ : جماعة الناس وأشرفهم .

المَقَاولة : الملوك .

رَفْرف الدرع : ما فضل من درعها .

أَحْرَد : بالحاء والدال المهملتين : بطىء المشى لثقل الدرع التى عليه .

جُلّ الخطوب : معظمها ويروى جُلَّى وهى الأمر العظيم .

قابِس : مُوقد .

سِيم : بكسر أوله كلِّف .

الخسْف : بالخاء المعجمة والسين المهملة : الذل .

يتربَّدُ : بالراء والباء الموحدة : يتغير إلى السواد .

ألظَّ : لزم ولحَّ .

أسود : قال الخشنى اسم رجل وأراد يا أسود ، وهو مثل يُضْرب للقادر على الشىء ولا يفعله . وقال السهيلى : هو هنا اسم جبل كان قُتل عنده قتيل لم يُعرف قاتله ، فقال أولياء المقتول هذه المقالة ، يعنون بها أن هذا الجبل لو تكلَّم لأبان عن القاتل ويعرف الجانى ، ولكنه لا يتكلم فذهبت مقالتهم مثلا[2] .

---

(١) الصحاح : الخطمة : بالضم .

(٢) الروض الأنف ١/٢٣٤ .

الباب الثانى والعشرون

فى إسلام الطُّفَيْل بن عمرو الدَّوْسى رضى الله عنه

روى ابن سعد عن أبى عَوْن الدَّوسى ، والبيهقىُّ عن ابن إسحاق ، وابن جَرير وأبوالفَرَج الأُموى عن العباس بن هشام ، عن أبيه أن الطفيل بن عمرو حدَّث أنه قدِم مكةَ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بها ، فمشى إليه رجالٌ من قريش ، وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيباً فقالوا له : يا طفيل إنك قدِمْت بلادَنا وهذا الرجل الذى بين أَظهُرنا قد أَعْضَل بنا وفرَّق جماعتنا وشتَّت أمرَنا ، وإنما قوله كالسِّحر يفرِّق بين المرء وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته ، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلِّمه ولا تَسْمع منه .

قال : فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أُكلِّمه وحتى حَشْوت فى أُذنى حين غدوتُ إلى المسجد كُرْسُفاً فَرقاً من أن يَبْلغنى شىء من قوله .

فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلِّى عند الكعبة فقمت قريبا منه ، فأَبَى الله تعالى إلا أن يُسْمعنى بعضَ قوله ، فسمعت كلاماً حَسناً فقلت فى نفسى : إنى لَرجل لبيبٌ شاعرٌ ما يخفى علىَّ الحَسَنُ من القبيح ، فما يمنعنى من أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ، فإن كان الذى يأتى به حَسناً قبلتُ وإن كان قبيحا تركت ؟

فمكثت حتى انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فتبعته فقلت : إنَّ قومك قد قالوا لى كذا وكذا ، وإنى شاعر فاسمع ما أقول .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم هات . فأَنشدتُه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أَقول فاسمع . ثم قرأ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحدٌ » إلى آخرها و « قل أعوذ برب الفلق » إلى آخرها و « قل أعوذ برب الناس » إلى آخرها وعرَض علىَّ الإسلامَ فلا والله ما سمعتُ قولاً قطُّ أحسنَ منه ولا أمراً أعْدَل منه

فأسلمتُ وقلت : يا نبيَّ الله إنى امرء مُطَاع فى قومى ، وإنى راجعٌ إليهم فداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عَوْناً عليهم . فقال : اللهم[1] اجعل له آية .

فخرجت إلى قومى فى ليلة مَطِيرة ظَلْماء حتى إذا كنت بثَنِيَّة تُطْلعنى على الحاضر وقع نورٌ بين عَيْنى مثل المصباح . فقلت : اللهم فى غير وجهى إنى أخشى أن يظنوا أنها مُثْلة وقعت فى وجهى فتحوَّل فوقع فى رأس سَوْطى كالقنديل المعلَّق ، وأنا أهبط عليهم من الثنيَّة حتى جئتهم فلمانزلت أتانى أبى فقلت : إليك عنى يا أبت فلستَ منى ولستُ منك . فقال : لِمَ يا بنىَّ ؟ فقلت : قد أسلمتُ وتابعت دينَ محمد . قال : أىْ بُنَىَّ فدِينى دينُك . فقلت : فاغتسل وطهِّر ثيابك ففعل ثم جاء ، فعرضتُ عليه الإسلامَ فأسلمَ . ثم أتتنى صاحبتى فقلت : إليك عنِّى فلستُ منكِ ولستِ منِّى . قالت : ولم بأبى أنت وأمى ؟ قلت : فرَّق بينى وبينك الإسلامُ وتابعتُ دين محمد[2] قالت : فدينى دينك . فقلت : اذهبى فتطهَّرى ففعَلَتْ فعرضتُ عليها الإسلامَ فأسلمت ولم تُسْلم أمى . ثم دعوت دَوْساً فأبطأُوا علىَّ ثم جئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا نبى الله إنه قد غلبنى على دَوْس الزِّنا فادع الله عليهم . فقال : اللهم اهدِ دَوْساً وائت بهم . ارجع إلى قومك وارفُقْ بهم .

فرجعتُ فلم أَزَلْ بأرض قومى أدعوهم حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بَدْرٌ وأُحُدٌ والخندق فقدِمْتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أَسْلَم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، حتى نزلتُ المدينةَ بسبعين أو ثمانين بيتا من دَوْس ، ثم لحقْنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأَسْهَم لنا مع المسلمين .

وقال الطُّفَيْل لمَّا أَسْلَم :

ألا بلِّغ لديـك بنى لـؤىٍّ	على الشُّنآن والغضب المُرَدِّى
بأن الله ربُّ الناس فَـرْدٌ	تعالى جَـدُّه عن كـل نِـدِّ
وأن محمداً عَبْـدٌ رسولٌ	دليل هُدًى ومُوضِح كلِّ رُشْـدِ
رأيت لـه دلائـل أنبأتنى	بأن سبيله يَهْـدى لقصـدِ

---

(1) ط : إليهم .

(2) ت : تابعت محمـدا .

وأن الله جَلَّلــه بَهــاءً وأَعْلى جَــدَّه فى كل جَــد
وقالت لى قريش عَـدٌّ عنـه فإن[1] مقاله كالغُـرّ يُعْـدِى
فلما أن أَمَلْتُ إليــه سَمْعى سمعتُ مقالَه كمَشُورِ شَهْـدِ
وألهمنـى هـدايا اللهُ عنـه وبَدَّل طالعى نحسى بسَعْـدِى
ففُزْت بمـا حبَـاه الله قلبى وفـاز محمدٌ بصفاء وِدِّى[2]

[تفسير الغريب]

أَعْضَل بنا : أى اشتد أمره ، يقال أعضل الأَمر إذا اشتد ولم يوجد له وجه ومنه الداء المُعْضِل .

الكُرْسف : بضم الكاف وإسكان الراء وضم السين المهملة ففاء وهو القطن .

الثنيّة : الطريق فى الجبل .

الحاضر : القومُ النازلون على المـاء .

أَبطأُوا : بهمزة مضمومة آخره أى تأخروا .

(١) ت ، م : كان .
(٢) قصة إسلام الطفيل فى سيرة ابن هشام ١/٣٨٢ . وسيرة ابن كثير ٢/٧٢ والخصائص الكبرى ١/٣٣٦ .

الباب الثالث والعشرون

فى قصتى الإراشىّ والزبيدى اللذين ابتاع أبو جهل إبلهما

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الملك بن أبى سفيان الثقفى وكان واعية ، قال : قدِم رجل من إراش بإبل له فابتاعها منه أبو جهل بن هشام ، فمطله بأثمانها ، فأقبل حتى وقف على نادى قريش ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالس فى ناحية المسجد ، فقال : يا معشر قريش مَنْ رجلٌ يعيننى على أبى الحكَم بن هشام ؟ فإنى غريب وابن سبيل وقد غلَبنى على حقِّى . فقال له أهلُ ذلك المجلس : أترى ذلك الرجلَ — لِرسولِ الله صلى الله عليه وسلم — يَهْزأون به لِمَا يَعْلمون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة ، اذهب إليه فهو يُعينك عليه .

فأقبل الإراشىُّ حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك ، فقام معه فلما قام معه قالوا لرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا يصنع . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضربَ عليه بابَه فقال : من هذا ؟ قال محمد . فاخرج إلىّ . فخرج إليه وما فى وجهه من رائحة لقد انْتُقِع لَوْنُه ، فقال : أعط هذا حقَّه . قال : نعم لا تَبْرح حتى أعطيه الذى له . فدخل ثم خرج إليه بحقه فدفعه إليه .

فأقبل الإراشىّ حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً فقد والله أخذ لى بحقى .

وجاء الرجلُ الذى بعثوا معه فقالوا : ويحك ماذا رأيت ؟ قال : رأيت عجباً من العجب ! والله ما هو إلا أنْ ضرب عليه بابَه فخرج إليه وما معه روحه فقال : أعط هذا حقَّه . قال : نعم لا تبرح حتى أُخرج إليه حقَّه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه .

ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا : ويلك مالك ؟ والله ما رأينا مثلَ ما صنعته قط . قال : ويحكم والله ما هو إلا أن ضَرب علىَّ بابى فسمعتُ صوته فملئت رعبا ثم خرجت إليه

وإنَّ فوق رأسه لَفحلاً من الإبل ما رأيتُ مثل هامته ولا قصْرته ولاأنيابه لِفحل قط، والله لوأبَيْتُ لأكلني(1) .

[تفسير الغريب]

الإراشي هذا : اسمه كَهْلة الأَصغر بن عصام بن كهلة الأكبر ينسب إلى جد له اسمه إراشة .

قال الرشاطيّ : رأيته بخط عبد الغنى بن سعيد بفتح الهمزة ، وضبطَه ابن الأثير بكسرهَا فى جامعه .

من رائحة أى بقية روح قال السهيلى : فكأن معناه روح باقية .

انتُقع لونُه مبنى للمفعول أى تغير لونه .

هامته : بتخفيف الميم : الرأس . قصرته أصل عنقه .

* * *

وروى محمد بن عمر الأَسلمى عن يزيد بن رُومان ، وأَبو نعيم عن أَبى يزيد المدَنى ، وأَبى فرعة الباهليّ ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس فى المسجد معه رجال من أَصحابه إذ أَقبل رجلٌ من زُبَيْد يقول : يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المادَّة أَو يُجْلب إليكم جَلَبٌ أَو يحلّ تاجر بساحتكم وأَنتم تَظْلمون من دخل عليكم فى حَرَمكم ؟ يقف على الحَلَق حَلْقة حَلْقة ، حتى انتهى إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن ظَلمك ؟ فذكر أَنه قد قدِم بثلاثة أَجْمَال كانت خير إبله فسامه أَبو جهل ثُلث أَثمانها ، ثم لم يَسُمْه بها لأَجل أَبى جهل أَحدٌ شيئا ثم قال : فأَكْسَد علىّ سِلْعتى وظلَمنى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأَين جِمَالك ؟ قال هى هذه بالحَزْوَرة . فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وقام أَصحابه فنظر إلى الجمال فرأى جمالا فُرْهاً فساوَم الزُّبَيْدى حتى أَلحقه برضاه ، فأَخذها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فباع جَملين منها بالثمن

---

(1) سيرة ابن هشام 1/389 .

وأقْفل بعيرا باعه وأعطَى أراملَ بنى عبد المطلب ثمنه ، وأبو جهل جالس فى ناحية السوق لا يتكلم ثم أقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ياعمرو إياك أن تعود لمثل ماصنعت بهذا الأعرابى فترى منى ماتكره فجعل يقول : لا أعود يامحمد لا أعود يامحمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأقبل أميةُ بن خَلَف ومن حضر فقالوا : ذَلَلْت فى يدى محمد فإما أن تكون تريد أن تَتْبعه وإما رُعْب دَخلك منه . فقال : لا أتبعه أبداً إن الذى رأيتَ منى لِمَا رأيت معه ، قد رأيت رجالاً عن يمينه وشِماله معهم رِماح يَشْرعونها إلىّ لو خالفتُه لكانت إياها . أى لأتَوْا على نَفْسى .

زُبَيْد : بزاى مضمومة فباء موحدة مفتوحة .

المادّة : بتشديد الدال[1] .

أو يَحُل : بضم الحاء أى يَنْزل .

خير إبله : بتشديد المثناة التحتية وتخفيفها أى أفضلها .

الحزْوَرة : بحاء مهملة مفتوحة فزاى ساكنة فواو فراء مفتوحتين فتاء تأنيث وزن قَسْوَرة وتقدم الكلام على ذلك بأبسط مما هنا .

فُرْهاً بضم الفاء وإسكان الراء والفاره : الحاذق بالشيء . يَشْرعونها : أى يميلونها .

---

(١) المادة هنا : السلع والتجارات .

الباب الرابع والعشرون

فى وفد النصارى الذين أسلموا

قال ابن إسحاق : ثم قدم على رسول الله صلى الله علية وسلم وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريبا من ذلك من النصارى حين بلَغهم خبرهُ من الحبشة ، فوجدوه فى المسجد فجلسوا إليه فكلَّموه وساءلوه ، ورجالٌ من قريش فى أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مَسْألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآنَ فاضت أعينهُم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدَّقوه وعرَفوا منه ما كان يُوصَف لهم فى كتابهم من أمْرِه .

فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش فقالوا لهم : خيَّبكم الله مِن رَكْبٍ !بعثكم مَنْ وراءكم من أهل دينكم تَرْتادون لهم لتأْتوهم بخبر الرجل ، فلم تطمئن مجالسُكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدَّقتموه بما قال ؟! ما نَعْلم رَكْبًا أحمقَ منكم . أو كما قالوا لهم .

فقالوا : سلامٌ عليكم لا نُجَاهلكم ، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه ، لم نَأْلُ أنفسَنا خيراً .

ويقال إن النفر كانوا من أهل نَجْران . فالله أعلم أىّ ذلك كان .

فيقال : والله أعلم – إن فيهم نزلت هذه الآيات : «الذين آتَيْناهم الكتابَ مِنْ قَبْله » أى القرآن . «هُمْ به يؤْمنون . وإذا يُتْلَى عليهم » القرآنُ « قالوا آمنَّا به إنه الحقُّ مِن ربِّنا إنا كُنَّا مِنْ قَبْله مُسْلمين » موحِّدين . « أولئك يُؤْتَوْن أجْرَهم مرَّتين » بإيمانهم بالكتابين « بما صَبروا » بصَبْرهم على العمل بهما « ويَدْرَءُون » أى يدفعون « بالحسَنَةِ السيئة » منهم « وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون » يتصدقون « وَإذَا سَمِعُوا اللَّغْو » الشتم والأذى من الكفار « أعْرَضُوا عنه وقالوا لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم سَلَامٌ عليكم » سلامَ مُتَارَكة أى سلمتم منا من الشتم

وغيره « لانَبْتَغى الجاهلين [1]» لانصحبهم .

قال ابن إسحاق : وقد سألتُ ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن نزلْنَ فقال لى : مازلت أسمع من علمائنا أنهن نزلن فى النجاشى وأصحابه . والآيات من سورة المائدة قول الله عز وجل : « ولَتَجدَنَّ أقْرَبهم مَودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نَصَارى ، ذلك » أى قرب مودتهم المؤمنين « بأنَّ » أى بسبب أن « منهم قِسِّيسين » علماء « ورُهْباناً » عُبَّاداً « وأنهم لايَسْتكبرون » عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهلُ مكة « وإذا سَمِعوا ما أُنْزِل إلى الرسولِ » من القرآن « تَرى أعينَهم تَفيضُ من الدَّمْع مِمَّا عَرَفُوا من الحق »[2] الآيات .

[تفسير الغريب]

نَجْران : بفتح النون وإسكان الجيم : بلدة معروفة ، كانت منزلا للنصارى ، وهى بين مكة واليمن على نحو سبع مراحل من مكة .

الأَنْدِية : جمع نادٍ وهو متحدَّث القوم .

يَرْتادون لهم : يطلبون لهم الأخبار .

الحُمْق : بإسكان الميم وضمها : قِلَّةُ العقل .

لم نَأْلُ أنفسنا خيرا : أى لم نقتصر بها عن بُلوغ الخير ، يقال ما أَلَوْت ، أى ما فعلت كذا وكذا ، أى ما قصرت .

---

(١) سورة القصص ٥٢ — ٥٥

(٢) سورة المائدة : ٨٢ و ٨٣ .

الباب الخامس والعشرون

فى سبب نزول أول سورة « عَبَس »

روى الترمذى وحسَّنه وابن المنذِر وابن حبّان عن عائشة وعبد الرزاق وعَبد بن حُمَيْد وأبو يَعْلَى عن أنس ، وابنُ جرير وابن مَرْدَوَيْه عن ابن عباس ، وسعيد بن منصور عن أبى مالكٍ ، وابنُ سعد وابن المنذر عن الضحَّاك ، وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى رجلاً من أشرافِ قريش فدعاه إلى الإسلام وهو يرجو أن يُسْلم . قال ابن إسحاق : وهو الوليد بن المغيرة . وقال أنس وأبو مالك : أمية بن خَلَف وقالت عائشة ومجاهد : كان فى مَجْلس فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعُتْبة بن ربيعة وأُمية بن خَلَف فيقول لهم : أليس حسناً ما جئتُ به ؟ فيقولون بلى والله وفى رواية هل ترون بما أقول بَأْساً ؟ فيقولون : لا .

فجاء ابنُ أمِّ مَكْتوم الأعمى وهو مشتغل بهم فسأله ولم يَدْر أنه مشغول بذلك وجعل يستقرئه القرآنَ ويقول : يارسول الله أَرشِدْنى علِّمنى مما علَّمك الله . فشقَّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أَضْجَره . وذلك أنه شَغله عما كان فيه من أَمْر أُولئك النفر وما طمع فيه من إسلامهم ، فلما أكثَر على رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفَ عن ابن أم مكتوم وتركه .

فعاتبه الله تعالى فى ذلك فقال « عَبَس » النبىُّ صلى الله عليه وسلم كلَح وجهه « وتولَّى » أعرض لأَجْل « أَنْ جاءه الأَعْمَى » عبد الله بن أم مكتوم .

قال السُّهيلى : وفى ذِكْره إياه بالعَمى من الحكمة والإشارة اللطيفة التنبيه على موضع العَتْب لأنه قال : « أن جاءه الأعمى » فذكر المجىء مع العَمى ، وذلك كله يُنْبِىء عن تجشّم كُلْفة ومن تجشَّم القَصْدَ إليك على ضَعْفه فحقُّك الإقبال عليه لا الإعراضُ عنه . وفائدة أُخرى : وهى تعليق الحكم بهذه الصفة متى وجدت وجب تركُ الإعراض ، فإذا كان النبى

صلى الله عليه وسلم معتوبا على تولِّيه عن الأعمى فغيْره أحقٌّ بالعَتْب [1] .

« وما يُدْريك » يُعْلمك « لَعَلَّه » أى الأعمى أو الكافر « يَزَّكَّى » فيه إدغام التاء فى الأصل فى الزاى « أَو يَذَّكَّر » أى يتعظ « فتنفعُه الذكرى » العظة المسموعة منك . وفى قراءة بنصب تنفعه جواب الترجِّى .

« أمَّا من استغنى » بالمال . فأَنت له تصدَّى . وفى قراءة بتشديد الصاد وبإدغام الثانية فى الأصل فيها ، أى تُقْبل وتتعرَّض « وما عليك ألاَّ يَزَّكَّى » يؤمن « وأما من جاءك يسعى » حال من فاعل جاء « وهو يَخْشَى » اللهَ حالٌ من فاعل يسعى وهو الأعمى . « فأَنت عنه تلَهَّى » فيه حذف التاء الأُخرى فى الأصل أى تتشاغل « كلاَّ » لا تفعل مثلَ ذلك .

فلما نزلت هذه الآيات دعاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم فأكرمَه ، واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة مرة كما ذكره أبو عمر . ويأْتى بيانها فى ترجمته عند ذكر مؤذِّنيه صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول له إذا جاءه : مرحباً بمَنْ عاتبنى فيه ربى ! ويَبْسُط له رداءه .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : ما ذكرتْه عائشةُ ومجاهد جامعٌ بين الأقوال السابقة فى تفسير الْمُبْهَمْ .

الثانى : قال الحافظ : لم يختلف السَّلَفُ فى أن فاعل « عَبس » النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأغْرَب الداوودىُّ فقال : هو الكافر .

الثالث : من الغرائب قولُ القاضى أبى بكر بن العربىِّ : قولُ علمائنا : إن الرجل المبهم الوليد بن المغيرة وقال آخرون إنه أُمية بن خلف والقياس على هذا كله باطل وجَهْل من المفسرين ،وذلك أن أُمية والوليد كانا بمكة وابن أُم مكتوم كان بالمدينة وماحضر معهما ولاحضَرا معه ، وكان موتهما كافرين أحدهما قبلَ الهجرة والآخر فى بدر ولم يقصد قط أُميةُ المدينةَ ولاحَضر عنده مُفْرَدا ولا مع أحد كذا نقله عنه تلميذُه السُّهيلىّ والقرطبى وأقرَّاه .

وهو كلامٌ خرجَ من القاضى عن غير رويّة لأن ابن أُم مكتوم من أهل مكة بلا خلاف ،

(١) الروض الأنف ١/٢٢٨ .

وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين ، أَسْلَم قديما وكان من المهاجرين الأَولين ، قَدِم المدينة قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم . وقيل بل بعدَه وصحَّحوا الأَول ، وسورة عبس مَكِّية بلا خلاف ، فأَى شيء يمنع من اجتماع ابن أُم مكتوم والوليد أو أُمية ؟

ثم القائل لذلك إنما هو الصحابة والتابعون كما تقدم ، نقل ذلك عنهم وهم أَعْلَمُ من غيرهم ، ولو كانت سورة عبس نزلت بالمدينة أو أن ابن أم مكتوم أَسْلَم بها لصح ماقاله ، والحالُ أن الأَمر بخلاف ذلك ولم أَرَ من نبَّه على ذلك . وعجبتُ من سكوت صاحب الزَّهْر عن ذلك مع أنه يناقش فى أَسْهَل شيء .

الرابع : من الغرائب أيضا قولُ السُّهيلى : إن ابن أُم مكتوم لم يكن آمن بعدُ أى حين أنزلت سورة عبسَ وبسط الكلام على ذلك .

قال فى الزهر : ينبغى أن يُتَثبَّت فى هذا الكلام ، فإنى لم أر من قاله جزما ولا نَقْلا من مؤرخ ومفسِّر ، فيُنْظَر قولُ جميعهم فيه : قديمُ الإسلام يردّه .

قال : ثم إن السُّهيلى أكدَّ ذلك بقوله : استدنينى يا محمد . ولم يقل يا رسول الله . قال مُغْلَطاى ، ولفظة « استدنينى يا محمد » لم أَرها ، فتُنْظر .

قلت : أما لفظ السيرة التى شرحها السهيلى : فكلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآنَ . ولفظ رواية الترمذى وحسَّنها وصححها ابنُ حبّان عن عائشة : فجعل يقول يا رسول الله أرشدنى . الخ ولفظ رواية ابن عباس عند ابن مردويه : فجعل عبدُ الله يستقرىء النبيَّ صلى الله عليه وسلم آية من القرآن . قال يا رسول الله علِّمنى مما علَّمك الله .

الباب السادس والعشرون

فى سبب نزول « قل يأيها الكافرون »

روى ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى عن ابن عباس ، وابن جرير وابن أبى حاتم وابن الأنبارى فى المصاحف عن سعيد بن مينا ، وعبد الرزاق عن وهب ، و[1] عن ابن إسحاق قالوا :

اعترض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسودُ بن المطَّلب والوليدُ ابن المغيرة وأمية بن خلف والعاصى بن وائل السهمى . وكانوا ذوِى أسنان فى قومهم فدَعوه إلى أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا : هذا لك يا محمد وكُفَّ عن شَتْم آلهتنا ولا تذكرها بسوء فإن لم تفعل فإنا نَعْرض عليك خَصْلةً واحدة فيها صَلاحٌ . قال ما هى ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة ونَعْبد إلٰهك سنةً . وفى لفظ : هلمّ يا محمد فلنَعْبد ما تعبد وتَعْبد ما نَعْبد فنشترك نحن وأنت فى الأمر ، فإن كان الذى نعبده خيرا مما تعبد كنت قد أخذت منه بحظك ، وإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا منه بحظِّنا .

فأنزل الله تعالى : « قل يا أيها الكافرون . لا أعبدُ » فى الحال « ما تعبدون » من الأصنام « ولا أنتم عابدون » فى الحال « ما أعْبدُ » وهو الله تعالى وحده « ولا أنا عابدٌ » فى الاستقبال « ما عَبَدتم ولا أنتم عابدون » فى الاستقبال « ما أعبد » علم الله تعالى منهم أنهم لا يؤمنون وإطلاق « ما » على الله تعالى على جهة المقابلة « لكم دِينكم » الشِّرْك « ولِىَ دِين » الإسلام ، وهذا قبل أن يُؤْمر بالحرب ، وحذف ياء الإضافة السبعةُ ، وقفاً ووصلا وأثبتها يعقوب فى الحالين[2].

---

(١) بياض بالأصول . والخبر فى سيرة ابن هشام ٣٦٢/١ .

(٢) تفسير الطبرى: ٢١٤/٣٠ (ط الأميرية) .

الباب السابع والعشرون

فى سبب نزول أول سورة الروم

روى الإمام أحمد والترمذى وحسَّنه ، والنسائى والبيهقى والضياء المقدسى عن ابن عباس وابن جرير والبيهقى من وجهٍ آخر عنه ، وابن جرير عن ابن مسعود وأبو يعلى وابن أبى حاتم عن البرَاء بن عازب ، والترمذىُّ وصححه والطبرانى عن نِيار – بنون مكسورة فمثناة تحتية مخففة – ابن مُكْرَم – بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء – وابنُ عبد الحكَم فى فتوح مصر ، وابن أبى حاتم عن ابن شهاب ، وابن جرير عن عكرمة : أن الروم وفارس اقتتلوا فى أدنى الأَرض ، وأَدنى الأَرض يومئذ أَذْرعات بها التقوا ، فهُزمت الرومُ ، فبلَغ ذالك النبى صلى الله عليه وسلم وأَصحابَه وهو بمكة ، فشقَّ ذلك عليهم ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره أَن يظهر الأُميُّون من المجوس على أَهل الكتاب من الروم ، وفرح الكفارُ بمكة وشمتوا ، فلقوا أَصحابَ النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : إنكم أَهلُ كتاب وقد ظهر إخواننا من أَهل فارس على إخوانكم من أَهل الكتاب ، وإنكم إذا قاتلتمونا لنَظهرنَّ عليكم .

فأَنزل الله تعالى : « أَلم[1] » الله أَعلم بمراده به « غُلبت الرومُ » وهم أَهل كتاب غلبَتها فارس وليسوا أَهل كتاب بل يعبدون الأَوثان « فى أَدْنَى الأَرض » أَى أَقرب أَرض الروم إلى فارس بالجزيرة ، التقى فيها الجيشان والبادىء بالغزو الفُرْس .

« وهم » أَى الروم « من بعد غَلَبهم » أَضيف المصدر إلى المفعول ، أَى غلبة أَهل فارس إياهم « سيَغْلبون » فارسَ « فى بِضْع سنين » هو ما بين الثلاث إلى التسع أَو العشر ، فالتقى الجيشان فى السنة السابعة من الالتقاء الأَول وغلبت الرومُ فارسَ .

« لله الأَمرُ من قَبْلُ ومن بعدُ » من قبل غلَب الروم ومن بعده . المعنى أَن غلبة فارس أَولا وغلبة الروم ثانيا بأَمر الله أَى بإرادته « ويومئذ » أَى يوم يَغْلب الرومُ « يفْرح

---

(١) سورة الروم ١ – ٦

المؤمنون بنصر الله » إياهم على فارس ، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يومَ وقوعه يومَ بَدْر ونزول جبريل بذلك مع فَرحهم بنصرهم على المشركين فيه « يَنْصر من يشاء » نُصْرتَه « وهو العزيزُ » الغالب « الرحيم » بالمؤمنين « وَعْدَ الله » مصدر بدل من اللفظ بفعله والأصل وعَدهم الله النصرَ « لا يُخْلف الله وَعْدَه » به « ولكنّ أكثر الناسِ » كفار مكة « لا يعلمون » وعده تعالى بذلك .

فلما نزلت هذه الآيات قال المشركون لأبي بكر : ألا ترى إلى ما يقول صاحبك ؟ يزعم أن الروم تغلب فارس . قال : صدَق صاحبي . وفي رواية : فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ؟ فلا تفرحوا ولا يُقرّ الله عَيْنكم فوالله ليَظهرنّ الرومُ على فارس أخبرنا بذلك نبينا فقام إليه أُبَيُّ بن خَلف فقال : كذَبْتَ . فقال أبو بكر : أنت أكْذَب يا عدو الله . قال : أُنَاحبك عَشْر قَلائص منّي وعَشْر قلائص منك ، فإن ظهرت الرومُ على فارس غرمتُ وإن ظهرت فارسُ غرمتَ إلى ثلاث سنينَ . ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايِدْه في الخَطَر[1] ومادّه في الأجل . فخرج أبو بكر فلقي أُبَيًّا فقال : لعلك ندمتَ ؟ قال : لا . قال تعالَ أزيدك في الخَطَر وأمادّك في الأجل فأجعلها مائة قَلُوص بمائة قلوص إلى تسع سنين . قال فعلت . وذلك قبل تحريم الرِّهَان ، فلما خشي أُبَيٌّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال : إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم كفيلاً فكفَله ابنه عبدُ الله . فلما أراد أُبَيُّ بن خَلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله ابن أبي بكر وقال له : لا والله لا أدَعك تخرج حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا . فخرج إلى أُحُد ثم رجع إلى مكة وبه جراحةٌ جَرحه النبيُّ صلى الله عليه وسلم حين بارزه يوم أُحد فمات منها بمكة ، وظهرت الرومُ على فارس فغلب أبو بكر أُبيًّا وأخذ الخطر

---

(١) الخطر : السبق يتراهن عليه .

من ورثته ، فجاء يحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا سُحْت تصدَّق به .

أُنَاجِبُك : بالحاء المهملة والباء الموحدة : أي أراهنك .

القَلَائص : بقاف فلام مفتوحتين فهمزة مكسورة فضاد مهملة : مفرده قَلُوص وهى الناقة الشابة .

الباب الثامن والعشرون

فى وفاة أبى طالب ومَشْى قريش

إليه ليكفَّ عنهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

قال الحافظ عماد الدين بن كثير المشهور أنه مات قبل موت خديجة وكان موتهما فى عام واحد قبل مهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنين[1] .

وقال صاعد فى كتاب « الفُصوص » : بعد ثمانية وعشرين يوماً من خروجهم من الشِّعْب .

وقال ابن حزم : توفى أبو طالب فى شوال فى النصف منه .

وروى ابنِ أَبى شيبة والإمام أحمد والترمذى وصححه عن ابن عباس ، وابنُ جرير وابن أَبى حاتم عن السُّدِّى ، والبخارى والبيهقى عن سعيد بن المسيّب عن أَبيه ، ومسلم والبيهقى عن أَبى هريرة : أن أَبا طالب لما اشتكى وبلغ قريشٌ ثِقَلَه قال بعضها لبعض : إن حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أَمرُ محمد فى قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أَبى طالب فليأْخذ لنا على ابن أَخيه وليعطه منا فإنا والله ما نأْمن أن يبتزُّونا أَمْرَنا .

فمشوا إلى أَبى طالب فكلَّموه ، وهم أَشرافُ قومه ، عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو جهل ابن هشام ، وأُمية بن خلَف ، وأبو سفيان بن حرب ، فى رجال من أَشرافهم فقالوا : يا أَبا طالب إنك منا حيث قد علمتَ وقد حضَرك ما ترى وتخوَّفْنا عليك وقد علمتَ الذى بيننا وبين ابن أَخيك ، فادْعه وخُذْ له منا وخذ لنا منه ليكفَّ عنا ونكفَّ عنه ، ولِيَدعَنا ودِينَنا وندعَه ودينَه .

فبعث إليه أَبو طالب ، فجاء النبيُّ صلى الله عليه وسلم فدخل البيتَ وبينهم وبين أَبى طالب قَدْر مَجْلس رَجُل ، فخشى أَبو جهل إن جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أَبى

---

(١) سيرة ابن كثير ٢/١٢٢ .

طالب أن يكون أرقَّ عليه ، فوثب أبو جهل فجلس فى ذلك المجلس ، فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا قُرْب عمِّه ، فجلس عند الباب . فقال : يابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليعطوك وليأْخذوا منك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم كلمة واحدة يُعْطونيها يَمْلكون بها العربَ وتدين لهم بها العَجمُ . وفى رواية : تدين لهم بها العربُ وتؤدِّى إليهم بها العجمُ الجزيةَ . ففزعوا لكلمته ولقوله . فقال القوم : كلمة واحدة ؟ قال : نعم . فقال أبو جهل : نعم وأبيك عشر كلمات . قال : تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه . فصفَّقوا بأَيديهم ثم قالوا : يا محمد تريد أن تجعل الآلهة إلهـا واحدا ؟ إن أمرك لعَجب .

ثم قال بعضهم لبعض : ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دينكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا .

فأنزل الله فيهم أول سورة « صٓ » .

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يابن أخى ما رأيتك سألتهم شَحْطًا . فلما قالهـا طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فجعل يقول : أىْ عم فأنت فقلها أستحلُّ لك بها الشفاعةَ يوم القيامة فلما رأى حرصَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك قال : لولا مخافة السُّبة عليك وعلى بنى أبيك من بَعْدى وأن تظن قريشٌ أنى إنما قلتها جزَعًا من الموت لقلتها لا أقولهـا إلا لأسرَّك بها .

وذكر ابن الكَلْبى أن أبا طالب لمـا حضرتْه الوفاةُ جمع إليه وجوهَ قريش فأوصاهم فقال : يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا إلا أحرزتموه ولا شرفا إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم إلْب ، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البَنِيَّة فإن فيها مرضاة للرب وقِوَاما للمعاش وثباتا للوطأة ، صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن فى صلة الرحم مَنْسَأَة فى الأَجل وزيادة فى العدد ، واتركوا البغىَ والعقوقَ ففيها هلكت القرونُ قبلكم ، أجيبوا الداعى وأَعطوا السائِل فإن فيها شرف الحياة والممات ، عليكم بصدق الحديث وأداء الأَمانة فإن فيهما محبة فى الخاص ومَكْرمة فى العامّ ، وإنى أوصيكم بمحمد

خيرا فإنه الأمين فى قريش والصدِّيق فى العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به ، وايم الله كأنى أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البَرّ فى الأَطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدَّقوا كلمته وعظَّموا أمره فخاض بهم غمراتِ الموت فصارت رؤَساء قريش وصناديدها أذناباً ودُورها خراباً وضعافها أَرباباً وأَعظمهم عليه أَحوجهم إليه وأَبعدهم منه أَحْظاهم عنده ، قد مَحضَتْه العربُ ودَادها وأَصفت له فؤادها وأَعطته قيَادها ، دونكم يا معشر قريش ابنَ أَبيكم كونوا له ولاة ، ولحربه حُمَاة ، والله لا يَسْلك أَحدٌ منكم سبيلَه إلا رَشد ولا يأْخذ أَحدٌ بهديه إلا سعد ولو كان لنفسى مدة ولأَجلى تأْخير لكفيت عنه الهزَاهزَ ولدافعت عنه الدواهى .

ثم إن أَبا طالب مات بعد ذلك .

وروى الشيخان عن المسيّب بن حَزْن رضى الله عنه قال : لما حضرت أَبا طالب الوفاةُ جاءه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أَبا جهل وعبدَ الله بن المغيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أَشهد – وفى لفظ : أُحَاجّ – لك بها عند الله فقال أَبو جهل وعبد الله بن أُمية : يا أَبا طالب أَتَرْغب عن مِلَّة عبد المطلب ؟ فلم يزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَعْرضها عليه ويعودان لتلك المقالة حتى قال أَبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب . وأَبَىَ أَن يقول : لا إله إلا الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أَمَا والله لأَستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك . فأَنزل الله بعد ذلك : « ما كان للنبىِّ والذين آمنوا أَن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولى قُرْبَىَ من بعد ما تبيَّن لهم أَنهم أَصحابُ الجحيم »[1] ونزل فى أَبىطالب : « إنك لاتَهْدى من أَحْبَبْت ولكنّ الله يَهْدى من يشاء وهو أَعْلَم بالمهتدين[2] » .

ورويا أَيضا عن العباس رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إن أَبا طالب كان يَحُوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك ؟ قال : نعم وجدته فى غمرات من النار فأَخرجتُهُ إلى ضَحْضاح منها[3] .

---

(١) سورة التوبة ١١٣ .

(٢) سورة القصص ٥٦ . والحديث فى صحيح البخارى كتاب المناقب ، وكتاب التفسير (سورة التوبة) وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٩ . (٣) صحيح البخارى كتاب المناقب . وصحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٥٨ .

وفى لفظ : « ولولا أنا لكان فى الدَّرْك الأَسفل من النار » .

وروى البخارى عن أَبىْ سعيد رضى الله عنه أنه سمع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول ، وذُكر عنده عمُّه ، فقال : « لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيُجعل فى ضَحْضاح من النار يبلغ كعْبَيه يغلى منه دماغُه .

وفى لفظ : أمّ دماغه » .

وروى الشيخان وابن إسحاق عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أَهْوَنَ أَهلِ النارِ عذاباً يوم القيامة لَرجلٌ يوضع فى إخمص قدميه جَمْرة – وفى لفظ على إخمص قدميه جمرتان .

وفى لفظ عند مسلم : له نَعْلان وشِرَاكان من نار يَغْلى منهما دماغه . وفى لفظ : يغلى دماغه من حرارة نَعْله .

وفى لفظ عند ابن إسحاق : حتى يسيل على قدميه . وفى لفظ عند البخارى : لا يرى أن أحدًا أَشدّ عذابا منه وإنه لَأَهْونهم[1] .

وروى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهون أَهل النار عذابا أَبو طالب وهو مُنْتعل بنعلين يَغْلى منهما دماغُه » .

وهذه الأَحاديث الصحيحة تبين بُطْلان ما نقل عن العباس أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أَخى لقد قال أَخى الكلمة التى أَمرته أن يقولها .

قال البيهقى وأَبو الفتح والذهبى : وقد أَسلم العباسُ بعد وسأَل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن حال أَبى طالب ، أَى كما تقدم قريبا .

ولو كانت هذه الشهادة عنده لأَدَّاها بعد إسلامه وعلم حال أَبى طالب ولم يسأَل عنه ، والمعتبَر حالة الأَداء دون التحمّل .

وقال الحافظ : لو كان أَبو طالب قال كلمة التوحيد ما نَهى الله تعالى نبيَّه عن الاستغفار له .

---

(١) صحيح البخارى كتاب الرقاق ، وصحيح مسلم حديث رقم ٣٦٢ – ٣٦٤ .

وروى عبد الرازق والفِرْيابى والحاكم وصححه عنْ ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : « وهم يَنْهون عنه ويَنْأَوْن عنه وإن يُهْلكون إلاَّ أنْفُسَهم »[1]. نزلت فى أَبى طالب كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ويَنْأَى عما جاء به .

وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائى وابن خزيمة فى صحيحه عن علىّ رضى الله عنه قال : لما مات أبو طالب أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله مات عمُّك الضالّ . وفى لفظ أن أبا طالب مات فقال النبى – صلى الله عليه وسلم : اذهب فوارِه . قال : فلما واريْتُه جئت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . قال اغتسل[2] .

وبما ذكر أيضا تبين بطلان ما نقله المسعودى المؤرخ أنه أسلم ، لأن مثل ذلك لا يعارض الأحاديثَ الصحيحة .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال السهيلىُّ : الحكمة فى كون أبى طالب منتعلا بنعلين من نار أن أبا طالب كان مع النبى صلى الله عليه وسلم بجملته إلا أنه كان مثبِّتا لقدمَيْه على مِلَّة عبد المطلب حتى قال عند الموت : هو على ملة عبد المطلب فسلِّط العذابُ على قدميه خاصةً لتثبيته إياهما على ملة آبائه .

الثانى : قال الحافظ : الآية التى فيها النهىُ عن الاستغفار نزلت بعد موت أبى طالب بمدة وهى عامة فى حقه وحق غيره ، ويوضح ذلك ما عند البخارى فى كتاب التفسير بلفظ : فأنزل الله بعد ذلك . إلى آخره .

الثالث : إنما عَرض عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الإسلام أن يقول لا إله إلا الله . ولم يقل فيها : محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الكلمتين صارتا كالكلمة الواحدة . ويحتمل أن يكون أبو طالب كان يتحقق أنه رسول الله ، ولكن كان لا يقرّ بتوحيد الله تعالى ولهذا قال فى أبياته النونية :

---

(١) سورة الأنعام ٢٦ .

(٢) مسند أحمد ١/٩٧ ، ١٠٣ ، ١٣٠ ، ١٣١ . وسنن النسائى كتاب الجنائز .

ودعَوْتنى وعلمتُ أنك صـــادقٌ ولقد صدقت وكنتَ ثمَّ أمِينَا

فاقتصر على أمره له بقول : لا إله إلا الله ، فإذا أقر بالتوحيد لم يتوقف عن الشهادة بالرسالة له .

الرابع : من عجيب الاتفاق أن الذين أدركهم الإسلامُ من أعمام النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وهم : أبو طالب واسمه عبد مناف ، وأبو لهب واسمه عبد العُزَّى بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس رضى الله عنهما .

الخامس : زعم بعض غُلاَة الرافضة أن أبا طالب أسلم ، واستدل بأخبارٍ واهية ردَّها الحافظ فى الإصابة فى القسم الرابع من الكنى .

السادس : قوله : « لعله تنفعه شفاعتى » . ظهر من حديث العباس وقوعُ هذا الترجِّى واستشكل قوله : « تنفعه شفاعتى » بقوله تعالى : « فما تَنْفعهم شفاعةُ الشافعين[1] » وأُجيب بأنه خُصَّ ولذلك عدُّوه فى خصائص النبى صلى الله عليه وسلم . وقيل : معنى المنفعة فى الآية يخالف معنى المنفعة فى الحديث ، والمراد بها فى الآية الإخراج من النار ، وفى الحديث المنفعة بالتخفيف وبهذا الجواب جَزم القرطبىُّ .

وقال البيهقى فى البعث : صحت الرواية فى شأن أبى طالب فلا معنى للإنكار من حيث صحة الرواية .

ووجْهُه عندى أن الشفاعة فى الكفار إنما امتنعت لوجود الخبر الصادق فى أنه لا يَشْفع فيهم أحد ، وهو عامٌّ فى حق كل كافر ، فيجوز أن يُخَص منه من ثبتَ الخبرُ بتخصيصه .

قال : وحمله بعض أهل النظر على أن جزاء الكافر من العذاب يقع على كفره وعلى معاصيه ، فيجوز أن يضع الله تعالى عن بعض الكفار بعضَ جزاء معاصيهم تطييباً لقلب الشافع لا ثوابا للكفر ، لأن إحسانه صار بموته على الكفر هباءً .

وقال القرطبى فى المُفْهِم : اختلف فى هذه الشفاعة هل هى بلسان قولىّ أو بلسان حالىّ ،

---

(١) سورة المدثر ٤٨ .

والأول يُشْكل بالآية ، وجوابه جواز التخصيص . والثانى أن يكون معناه أن أبا طالب لما بالَغ فى إكرام النبى صلى الله عليه وسلم والذبِّ عنه جُوزِى على ذلك بالتخفيف فأطلق على ذلك شفاعة لكونها سببَه .

ويجاب عنه أيضا : أن المخفَّف عنه لم يجد أمر التخفيف ، فكأنه لم ينتفع بذلك .

ويؤيد ذلك ما تقدم من أنه يَعْتقد أنه ليس فى النار أشدُّ عذابا منه ، وذلك أن القليل من عذاب جهنم لا تطيقه الجبال ، فالمعذَّب لاشتغاله بما هو فيه يَصْدُق عليه أنه لم يحصل له انتفاع بالتخفيف .

السابع : فى بيان غريب ما سبق :

يدين : أى يطيع ويخضع .

يبتزُّونا أمرَنا : بفتح التحتية فباء موحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة فزاى مشددة مضمومة ، يقال ابتزَّه يبتزُّه أى استلبه وبزَّه يبزُّه أى سلَبه . ومنه : من عَزَّ بَزَّ أى من غلَب أخذ السَّلَب .

شخْطًا : بشين معجمة فخاء ساكنة فطاء مهملتين : أى بعدًا . يقال شحط يشحط شحطًا وشحوطا ويقال شحط المزارُ وأشحطتُه أبعدتُه ، ومعنى الكلام : ما سألتهم شيئا بعيدا عليهم التماسُه وتناوله ، بل هو أمرٌ قريب .

السُّبة بسين مهملة مضمومة فباء موحدة مشددة مفتوحة فتاء تأنيث : العار الذى يُسبُّ به . ورجل سبّة أى تسبه الناس .

خرَعًا : بخاء معجمة فراء فعين مهملتين : وهو الخَور والضعف ، وتروى بالجيم والزاى وهو الخوف .

أمَا والله : قال النووى : فى كثير من الأصول أو أكثرها بالألف وغيرها : أم والله بلا ألف ، وكلاهما صحيح قال ابن الشجرىّ فى أماليه : «ما» المزيدة للتوكيد ركّبوها مع همزة الاستفهام واستعملوا مجموعهما على وجهين : أحدهما : أن يراد به معنى حقا فى قولهم: أمَا والله لأفعلن . والآخر : أن تكون افتتاحًا للكلام بمنزلة ألاَ كقولك أمَا إن زيدًا منطلق وأكثر ما تحذف الألف إذا وقع بعدها القسم ليدلُّوا على شدة اتصال الثانى بالأول ، لأن

الكلمة إذا بقيت على حرف لم تقم بنفسها ، فعُلم بحذف ألف – « ما » افتقارُها إلى الاتصال بالهمز .

الضَّحْضَاح : بضادين معجمتين الأُولى مفتوحة وحاءين مهملتين الأُولى ساكنة ، وهو فى الأَصل مارقَّ من الماء على وجه الأَرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار :

المِرْجَل بكسر الميم وسكون الراء وفتح الجيم : قِدْر من نحاس . وقيل يطلق على كل قِدْر يطبخ فيها .

الباب التاسع والعشرون

فى وفاة السيدة خديجة رضى الله عنها

روى البخارى عن عروة قال : توفيت خديجة قبل مَخْرج النبى صلى الله عليه وسلم وروى البلاذرىّ عنه قال : توفيت قبلَ الهجرة بسنتين أو قريب من ذلك[1].

وقال بعضهم : ماتت قبل الهجرة بخمس سنين . قال البلاذرى : وهو غلط

وروى ابن الجوزى عن حكيم بن حِزَام وثعلبة بن صُعَيْر ـ بصاد فعين مهملتين مصغرا ـ أنه كان بين وفاة أبى طالب ووفاة خديجة شهر وخمسة أيام[2]

وروى الحاكم أن موتها بعد موت أبى طالب بثلاثة أيام .

وقال محمد بن عمر الأَسلمى : توفيت لعشرٍ خلَوْن من رمضان وهى بنت خمس وستين سنة .

ثم روى عن حكيم بن حزام أنها توفيت سنة عشر من البعثة بعد خروج بنى هاشم من الشِّعْب ودفنت بالحجون ، ونزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبرها ، ولم تكن الصلاة على الجنازة شُرِعت .

وروى يعقوب بن سفيان عن عائشة رضى الله عنها قالت : ماتت خديجةُ قبلَ أن تُفْرض الصلاةُ .

وكانت خديجة رضى الله عنها وزيرَةَ صِدْق للنبى صلى الله عليه وسلم على الإسلام وكان يَسْكن إليها ، وكانت تدْعَى فى الجاهلية الطاهرة ،وستأْتى ترجمتها وبعض مناقبها فى أبواب أزواجه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) أنساب الأشراف ٤٠٦/١ .

(٢) الوفا لابن الجوزى ٢١٠/١ . وطبقات ابن سعد ٢١١/١ (ط بيروت) .

الباب الثلاثون

فى بعض ما لاقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قريش بعد موت أبى طالب

قال ابن إسحاق : فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تطمع فيه فى حياة أبى طالب .

وروى ابن إسحاق عن عبد الله بن جعفر قال : لما مات أبو طالب اعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم سفيهٌ من سفهاء قريش فنثَر على رأْسه تراباً فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بيتَه والترابُ على رأْسه فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه وهى تبكى . ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تبكى فإن الله مانعٌ أباك . ويقول بين ذلك . ما نالت قريش منِّى شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب[1] .

وروى الطبرانى وأبو نعيم عن أبى هريرة رضوان الله عنه قال : لما مات أبو طالب تجهَّمُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عمّ ما أسْرَع ما وجدتُ فَقْدَك .

وروى البيهقى عن عروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما زالت قريش كاعِّين حتى مات أبو طالب[2] .

ورواه الطبرانى والبيهقى من طريق آخر عن عائشة مرفوعا .

وروى ابن سعد عن حكيم بن حزام وثعلبة بن صُعَيْر قالا : لما توفى أبو طالب وخديجة اجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبتان ، فلزم بيتَه وأقلَّ الخروجَ ، ونالت قريش منه ما لم تكن تنال ولا تطمع فيه ، فبلغ ذلك أبا لهب فجاء فقال : يا محمد امضِ لما أردت وما كنت صانعًا إذ كان أبو طالب حيًّا فاصنعه لا واللات والعزّى لا يوصَل إليك حتى أموت .

(١) سيرة ابن هشام ٤١٦/١ .

(٢) سيرة ابن كثير ١٤٦/١ عن البيهقى .

وسبَّ ابنُ الغَيْطلة النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأقبل عليه أبو لهب فنَال منه فولَّى وهو يصيح يا معشر قريش صبَأ أبو عتبة : فأقبلت قريشٌ حتى وقفوا على أبي لهب فقال : ما فارقتُ دِينَ عبد المطلب ولكن أمنع ابنَ أخي أن يُضَام حتى يمضي لما يريد . قالوا : قد أحسنت وأجْملْت ووصلْتَ الرحم .

فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على ذلك أيامًا يذهب ويأْتي لا يعترض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب ، إلى أن جاء عُقْبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام إلى أبي لهب فقالا له : أخبرَك ابنُ أخيك أين مُدْخَل أبيك ؟ فقال له أبو لهب : يا محمد أين مُدْخَل عبد المطلب ؟ قال : مع قومه فخرج أبو لهب إليهما فقال : قد سألته فقال : مع قومه فقالا : يزعم أنه فى النار . فقال : يا محمد أيدخل عبد المطلب النار ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ومن مات على مثلِ ما مات عليه عبدُ المطلب دخل النارَ . فقال أبو لهب : لا برِحْتُ لك عدوًّا وأنت تزعم أن عبد المطلب فى النار .

فاشتد عليه هو وسائر قريش[1] .

قال ابن إسحاق وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته : أبو لهب والحكَم بن أبي العاصى بن أمية ، وعقْبة بن أبي مُعَيط وعديّ بن الحمراء ، وابن الأصدَاء الهُذَلى ، وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحدٌ إلا الحكم بن أبي العاصى ، وكان أحدهم ، فيما ذُكر لى ، يطرح عليه رَحِم الشاة وهو يصلِّى ، وكان أحدهم يطرحها فى بُرمته إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حِجرًا يستتر به منهم إذا صلى[2].

وروى البخارى وابن المنذر وأبو يعلى والطبرانى عن عروة قال : سألت عمرو بن العاصى فقلت : أخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى حِجْر الكعبة إذ أقبل عليه عقبةُ بن أبي مُعَيْط فوضع ثوبَه على عنقه ، فخنقه خنقًا شديدا ، فأقبل أبو بكر رضى الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه

---

(١) طبقات ابن سعد ١/٢١١ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٤١٥ ، ٤١٦ .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « أَتَقْتلون رَجُلاً أن يقولَ ربِّى اللهُ وقد جاءكم بالبيِّنات من ربكم[1] » الآية .

زاد الأخيران : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته مرَّ بهم وهم جلوس فى ظل الكعبة فقال : يا معشر قريش أمَا والذى نفسى بيده ما أُرسلت إليكم إلا بالذَّبح وأشار بيده إلى حَلْقه فقال أبو جهل : يا محمد ما كنت جَهُولا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت منهم .

وروى البزار وأبو يعلى[2] برجال الصحيح عن أنس رضى الله عنه : لقد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة حتى غُشِى عليه فقام أبو بكر ينادى : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله . فقالوا : من هذا ؟ فقالوا : أبو بكر المجنون .

وروى الشيخان والبزار والطبرانى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال « مارأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا على قريش غير يوم واحد ، فإنه كان يصلى ورَهْطٌ من قريش جلوس وسلاَ جزور نُحرت بالأمس قريبا فقالوا – وفى رواية فقال أبو جهل – من يأْخذ سَلاَ هذا الجزور فيضعه على كتفى محمد إذا سجد فانبعث أشقاهم عقبة بن أبى معيط فجاء به فقذفه على ظهره صلى الله عليه وسلم ، فضحكوا وجعل بعضهم يميل إلى بعض والنبىُّ صلى الله عليه وسلم ما يرفع رأْسه ، وجاءت فاطمة رضى الله عنها فطرحته عن ظهره ودعت على من صنع ذلك . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته رفع رأْسه فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم دعا عليهم وكان إذا دعا دعا ثلاثا وإذا سأَل سأَل ثلاثا ثم قال : اللهم عليك بالملإ من قريش ، اللهم عليك بأَبى جهل وعُتْبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عقبة وأُمية بن خلف وعُقْبة بن أبى معيط » . وذكر السابع فلم أحفظه . فوالذى بعثه بالحق لقد رأيت الذين سمَّى صَرعى ببدر ثم سُحبوا إلى القَلِيب قليب بدر غير أمية بن خلف فإنه كان رجلا بادنا فتقطع قبل أن يبلغ به إليه » .

زاد البزار والطبرانى فى الأوسط : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد

---

(١) صحيح البخارى كتاب فضائل الصحابة ، وكتاب التفسير (سورة غافر) ومسند أحمد ٢/٢٠٤ .
(٢) ت : وأبو نعيم .

فلقيه أبو البخترى ومع أبى البخترى سوط يتخصَّر به فلما رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنكر وجهه فقال : مالك ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خلِّ عنى قال : عَلِم الله لا أُخلِّى عنك أو تخبرنى ما شأْنك فلقد أصابك شىء . فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غير مُخَلٍّ عنه أخبره قال : إن أبا جهل أمر فطرح علىّ فَرْث . قال أبو البَخترى : هلم إلى المسجد . فأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو البَخْترى فدخلا المسجد ثم أقبل أبو البَخْترى على أبى جهل فقال يا أبا الحكم أنت الذى أمرتَ بمحمد فطُرِح عليه الفرث ؟ فقال : نعم . فرفع السَّوْط . فضُرب به رأسه فثار الرجال بعضها إلى بعض وصاح أبو جهل : ويحكم إنما أراد محمد أن يلقى بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه .

وروى ابن مردويه عن أنس رضى الله عنه قال : لقد ضربوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حتى غُشى عليه ، فقام أبو بكر رضى الله عنه فجعل ينادى : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله .

وروى البزار وأبو نعيم فى الفضائل عن على رضى الله عنه أنه قال : أيها الناس أخبرونى بأشجع الناس . قالوا : لا نعلم ، فمن ؟ قال : أبو بكر ، لقد رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش ، هذا يجأه وهذا يُتَلْتله وهم يقولون : أنت الذى جعلت الآلهة إلها واحدا . قال : والله مادنا منه منَّا أحدٌ إلا أبو بكر يضرب هذا ويجالِدُ[1] هذا ويتلتل هذا ويقول : ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ! ثم رفع علىٌّ بردةً كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم ، فقال : ألا تجيبوننى ؟ فوالله لسَاعة من أبى بكر خير من مثلى[2] مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم بإيمانه وهذا رجل أعلن إيمانه .

وروى الدارقطنى فى الأفراد عن عمرو بن عثمان بن عفان عن أبيه قال : أكثر ما نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبى طالب

يجأه : بالمثناة التحتية والجيم والهمزة : أى يضربه .

يتلتله : بمثناة تحتية ففوقية فلامين بينهما مثناة ثم هاء : أى يَخيسه ويذلله ، وخاسه : راضَه والله تعالى أعلم .

---

(١) ت : ويجـط .

(٢) ط : من مثل .

الباب الحادى والثلاثون

فى سفر النبى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

قال موسى بن عقبة وابن إسحاق وغيرهما : ولما هلك أبو طالب ونالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم تكن تنال منه فى حياته خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف وحده ماشيا .

وفى حديث جبير بن مطعم عند ابن سعد : أن زيد بن حارثة كان معه[1] ، فى ليال من شوال سنة عشر يلتمس النصرَ من ثقيف والمَنَعة بهم من قومه ، ورجا أن يَقْبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى .

فلما انتهى إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب : بنو عمرو بن عمير بن عوف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بنى جُمَح ، وهى صفية بنت مَعْمَر بن حبيب بن قدامة بن جمح ، وهى أم صفوان بن أمية .

فجلس إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما جاء به من نصرته على الإسلام والقيام على من خالَفه من قومه .

فقال له أحدهم : هو يَمْرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ! .

وقال الآخر : أما وجد الله أحدًا يُرْسله غيرك .

وقال الثالث : والله لا أُكلِّمك أبدا ، لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أن أردّ عليك الكلام ، ولئن كنت تَكْذب على الله ما ينبغى لى أن أُكلمك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خَيْر ثَقِيف .

---

(١) طبقات ابن سعد ٢١١/١ (ط بيروت) .

وقد قال لهم : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ . وكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه .

فأقام بالطائف عشرة أيام وقيل شهرا لا يَدع أحدًا من أشرافهم إلا جاء إليه وكلّمه ، فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا : يا محمد اخرج من بلدنا . وأغرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم يسبُّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس .

قال ابن عقبة : وقفوا[1] له صفّين على طريقه ، فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدمَوْا رجليه .

زاد سليمان التيمى : أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أذْلَقتْه الحجارة يقعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه ويقيمونه فإذا مشى رجَموه وهم يضحكون .

قال ابن سعد : وزيدُ بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شُجَّ فى رأسه شجَاجًا[2].

قال ابن عقبة : فخلص منهم ورِجْلاه تسيلان دما فعمد إلى حائط من حوائطهم فاستظل فى ظل حُبْلة منه وهو مكروب مُوجَع وإذا فى الحائط عتبة وشيبة ابنا ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لِمَا يعلم من عداوتهما لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فلما اطمأن فى ظل الحُبْلة قال ما سيأتى .

وروى الطبرانى برجال ثقات عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم أتى ظلَّ شجرة فصلى ركعتين ثم قال : « اللهم إنى أشكو إليك ضَعْف قوّتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى إلى من تَكِلنى إلى بعيد يتجهّمنى أو إلى عدوٍّ ملكته أمرى إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصَلُح عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنزل بى غضبَك أو تحلَّ على سَخَطك لك العُتْبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » .

فلما رآه ابنا ربيعة وما لقى تحركت له رَحِمهما فدعوا غلامًا لهما يقال له عَدّاس – فقالا

---

(١) ط : وقعدوا .

(٢) طبقات ابن سعد ١/٢١٢ (ط بيروت)

له : خذ له هذا القطْف من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأْكل منه . ففعل عدَّاس ثم أَقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له : كل . فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله . ثم أَكل . فنظر عدَّاس فى وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أَهلُ هذه البلاد . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومِن أَىِّ البلاد أَنت يا عدَّاس وما دِينك ؟ قال : نصرانى وأَنا من أَهل نِينَوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس ابن مَتَّى . قال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ والله لقد خرجت منها – يعنى من أَهل نينوى – وما فيها عشرة يعرفون ما يونُس بن مَتّى فمن أَين عرفت أَنت يونَس ابن متى وأَنت أُمّىّ وفى أُمّة أُمِّيّة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أَخى كان نبيا وأَنا نبى . فأَكبَّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأْسه ويديه وقدميه فقال ابنا ربيعة أَحدهما لصاحبه : أَمّا غلامك فقدْ أَفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك ! مالك تقبِّل رأْسَ هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدى ما فى الأَرض خير من هذا الرجل ، لقد أَعلمنى بأَمر لا يعلمه إلا نبى . قال : ويحك يا عداس لا يَصْرفنك عن دِينك فإن دينك خير من دينه .

وقال عداس لسيديه لما أَرادا الخروج إلى بدر وأَمراه بالخروج معهما فقال لهما : قِتَال ذلك الرجل الذى رأَيتُ فى حائطكما تريدان ؟ فوالله ما تقوم له الجبال . فقالا : ويحك يا عداس قد سَحرك بلسانه .

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وهو مَحْزُون لم يستجب له رجل واحد ولا امرأَة .

وقال خالد العدوانى : إنه أَبصر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى سوق ثقيف وهو قائم على قوس أَو عصا حين أَتاهم يبتغى عندهم النصر فسمعته يقول : « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعَيْتها فى الجاهلية وأَنا مُشْرِك ثم قرأْتها فى الإِسلام .

قال فدعتنى ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل فقرأْتها عليهم . فقال من معهم من قريش : نحن أَعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقوله حقا لاتبعناه .

رواه الإمام أحمد[1] والبخارى فى تاريخه .

وقالت عائشة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ عليك من يوم أحد ؟ فقال : لقد لقيتُ من قومكِ وكان أشدَّ ما لقيت منهم يومُ العقبة ، إذ عرضتُ نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلاَل فلم يجبنى إلى ما أردتُ أحدٌ ، فانطلقت على وجهى وأنا مَهْموم فلم أستفِقْ إلا وأنا بقَرْن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلَّتنى فنظرت فإذا فيها جبريل ، فنادانى وقال : إن الله تعالى قد سمع قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال فتأْمره بما شئت فيهم . فنادانى ملَك الجبال فسلَّم علىَّ ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك وأنا ملَك الجِبال قد بعثنى الله عز وجل لتأْمرنى بما شئت ، إن شئت أن أُطْبق عليهم الأَخْشبَيْن . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يُخْرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله عز وجل ولا يُشْرك به شيئا .

رواه الإمام أحمد والشيخان[2] .

وقال عكرمة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «جاءنى جبريل فقال يا محمد إن ربك يُقْرئك السلام وهذا ملَك الجبال قد أرسله وأمره ألاَّ يفعل شيئا إلا بأمرك . فقال له ملَك الجبال : إن شئتَ رمهت عليهم الجبال ، وإن شئت خسفتُ بهم الأَرضَ فقال : يا ملَك الجبال : فإنى آنَى بهم لعلهم أن يخرج منهم ذريةٌ يقولون لا إله إلا الله . فقال ملك الجبال : أنت كما سمَّاك ربك رءُوف رحيم .

رواه ابن أبى حاتم مرسَلا .

وذكر الأموى وابن هشام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه إلى ما دعاهم إليه من تصديقه ونُصْرته أقام بنخلة أيامًا وأراد الرجوعَ إلى مكة فقال له زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك ؟ فقال : يا زيد إن الله جاعلٌ لما ترى فرَجا ومَخْرَجا وإن الله مُظْهِر دِينه وناصرُ نبيه . ثم انتهى إلى حِرَاء وبعث

(١) مسند أحمد ٤/٣٣٥ .

(٢) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق .

وصحيح مسلم كتاب الجهاد حديث رقم ١١١ .

عبدَ الله بن أُرَيْقط إلى الأَخْنس بن شَرِيق – وأسلم بعد ذلك فيما يقال – ليجيره فقال : أنا حليفٌ والحليف لا يُجير على الصَّرِيح . فبعث إلى سُهَيْل بن عمرو – وأسلم بعد ذلك – فقال : إن بني عامر بن لؤى لا تجير على بني كعب . فبعث إلى المطْعِم ابن عدى – ومات كافرًا – فأجابه إلى ذلك وقال : نعم قل له فليأْت . فرجع إليه فأَخبره فدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فبات عنده تلك الليلة ، فلما أَصبح خرج المطعِم بن عدىّ وقد لبس سلاحه هو وبنوه ستّة أَو سبعة . فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طُفْ . واحتَبوْا بحمائل سيوفهم بالمطاف فأَقبل أَبو سفيان إلى المطْعِم بن عدىّ فقال : أَمُجيرٌ أَم تابع ؟ قال : بل مُجِير . قال : إذن لا تُخْفَر قد أَجَرْنا من أَجَرْتَ . فجلس معه حتى قضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم طوافَه ، فلما انصرف إلى بيته انصرفوا معه ، فذهب أَبو سفيان إلى مجلسه .

فمكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَياما ثم أَذِن له الله عز وجل فى الهجرة ، فلما هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم توفى المطْعِم ابن عدىّ بعده ، ولأَجل هذه السابقة التى سبقتْ للمطعِم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لو كان المطْعِم ابن عدى حيًّا ثم كلمنى فى هؤلاء النَّتْنَى – يعنى أَسارى بدر لأَطْلقتهم له»[1] .

تنبيهات

الأول : قال ابن الجوزى : ربما عرض للمحد قليل الإيمان فقال: ما وَجْه احتياج رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى أن يَدْخل فى خَفَارة كافر وأن يقول فى المواسم : من يُؤْوِينى حتى أبلِّغ رسالةَ ربى .

فيقال له : قد ثبت أن الإله القادر لا يفعل شيئا إلا لحكمة ، فإذا خَفِيت حكمةُ فِعْله علينا وجب علينا التسليم . وما جرى لِرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صَدَر عن الحكيم الذى أقام قوانين الكلِّيات وأدارَ الأَفلاكَ وأَجْرَى المياهَ والرياح ، كلُّ ذلك بتدبير الحكيم القادر ، فإذا رأَينا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يشدُّ الحجرَ من الجوع ويُقْهَر ويُؤْذَى

(١) سيرة ابن كثير ١/١٥٣ – ١٥٤ عن الأموى فى مغازيه .
وليس فى سيرة ابن هشام إلا صدر هذا الخبر ، ثم قصة استماع الجن لقراءة النبى صلى الله عليه وسلم بنخلة .

علمنا أن تحت ذلك حِكَما إن تَلَمَّحْنا بعضها لاحَتْ من خلال سُجُف البلاء حكمتان .

إحداهما : اختيار المبْتَلَى ليَسْكُن قلبُه إلى الرضا بالبلاء فيؤدِّى القلبُ ما كلِّف من ذلك **والثانية** : أن تُبَثَّ الشبهةُ فى خلال الحُجَج ليُثَاب المجتهِد فى دَفْع الشبهة[1] .

الثانى : فى بيان غريب ما سبق .

المنعَة : بفتح النون : النُّصْرة والحماية .

عَمَد : بعين مهملة فميم مفتوحة فى الماضى وفى المستقبل بكسرها : وعن النِّيلى[2] كسرها أيضاً فى الماضى . يَمْرط : يمزِّق .

أَمَا وحقّ : بفتح الهمزة وتخفيف الميم : حرف تنبيه واستفتاح .

خطرا : بخاء معجمة مفتوحة فطاء مهملة فراء : القَدْر والمنزلة .

أغروا : سلَّطوا . رضَخوهما : شَدخوهما .

أَذْلَقَتْه : بذال معجمة وقاف أى وجد أَلَمها ومسَّها .

شجَّ فى رأسه : الضمير عائد على زيد .

الحائط : البستان إذا كان عليه حائِط ، وهو الجدار ، وجمعه حوائِط .

حَبَلة بحاء مهملة فموحدة مفتوحتين وربما سكنت الباء وهى الأَصل أو القضيب من شجر العنب .

يتجهَّمنى : يَلْقانى بالغِلْظة والوجه الكريه .

العُتْبَى : بضم العين : الرضا .

عَدَّاس ونينوى تقدم الكلام عليهما فى شرح بدء الوحى .

مَتَّى بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية مقصور .

يا سيِّدىّ بتشديد الياء تثنية سَيد .

ويحك : كلمة يتعجب بها العرب ولا يريدون بها الذمَّ .

ابن عبد ياليل بمثناة تحتية فألف فلام مكسورة فمثناة تحتية ساكنة فلام واسمه كنانة ويقال مسعود .

---

(١) الوفا لابن الجوزى ١/٢١٦ .

(٢) كذا فى ط ، ص . وفى ت : النيــلى .

ابن عبد كُلاَل : بضم الكاف وتخفيف اللام .

كذا فى الحديث ابن عبد ياليل والذى ذكره أهل المغازى أن الذى كلّمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه قاله الحافظ .

قَرْن الثعالب : بفتح القاف وسكون الراء وهو قَرْن المنازل ميقات نجد تلقاء مكة على يوم وليلة منها ، وأصله الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير .

الأَخشَبَيْن[1] : تثنية أخشب بفتح الهمزة فخاء فشين معجمتين فموحدة : الجبلان[1] .

(١) كذا على الحكاية فى الأخشبين وعلى تقدير مبتدأ أى : هما الجبلان .

الباب الثانى والثلاثون

فى إسلام الجن

قد تقدم فى أبواب البعثة استماعهم لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال الحافظ ابن كثير وابن حَجر : وقول من قال إن وفودهم كان بعد رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف ليس صريحا فى أولية قدوم بعضهم ، والذى يظهر من سياق الحديث الذى فيه المبالغة فى رَمْى الشهب لحراسة السماء عن استراق السمع دالٌّ على أن ذلك كانَ بعد المبْعَث ، وإنزال الوحى إلى الأَرض ، فكَشفوا عن ذلك إلى أن وقفوا على السبب فرجعوا إلى قومهم .

ولما انتشرت الدعوة وأَسْلَم من أسلم قدِموا فسمعوا فأَسلموا وكان ذلك بين الهجرتين ، ثم تعدَّد مجيئهم حتى فى المدينة[1] انتهى .

وروى محمد بن عمر الأَسلمى ، وأَبو نعيم ، عن أَبى جعفر رضى الله عنه وعن آبائه قال : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنُّ فى ربيع الأَول سنة إحدى عشرة من النبوة .

قال ابن إسحاق وابن سعد وغيرهما : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف راجعًا إلى مكة حين يئس من خَيْر ثَقيف ، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلِّى فمر به النفرُ من الجن الذين ذكرهم الله تعالى .

قال ابن إسحاق : وهم فيما ذُكر لى سبعة نفرٍ من جن أَهل نَصِيبين ، فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولَّوا إلى قومهم مُنْذرين قد آمنوا وأَجابوا إلى ما سمعوا . فقصَّ الله تعالى خبرَهم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال :

« و » اذكر « إذ صَرَفْنا » أَمَلْنا « إليك نفرًا من الجن » جن نصيبين أَو جن نِينَوى ،

---

(١) تفسير ابن كثير (سورة الأحقاف) .

وفتح البارى ١٧٢/٨ (ط الحلبى) .

وكانوا سبعة أو تسعة ، وكان صلى الله عليه وسلم ببطن نَخْلة يصلى بأصحابه الفجر . رواه الشيخان .

«يَسْتمعون القرآن فلما حَضَرُوه قالوا» أى قال بعضهم لبعض : «أنصِتوا» لاستماعه فلَّما قُضِى» فرَغ من قراءته «ولَّوا» رجعوا «إلى قَوْمهم مُنْذِرين» مخَوِّفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا وكانوا يهودًا .

«قالوا يا قومَنا إنَّا سمِعْنا كتاباً» هو القرآن «أُنْزِل مِنْ بَعْد مُوسَى مُصَدِّقا لما بَيْن يَديْه» أى تقدَّمه كالتوراة . «يَهْدِى إلى الحقِّ» الإسلام «وإلى طريق مستقيم» أى طريقه «يا قومَنا أَجيبوا داعِىَ الله» محمدًا صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان «وآمِنُوا به يَغْفر» الله «لكم من ذنوبكم» أى بعضِها لأن منها المظالم ولا تُغْفَر إلا برضا أَربابها . الآيات[1] .

وروى ابن أَبى شَيْبة وأحمد بن مَنِيع والحاكم وصححه وأبو نُعيم والبيهقى ، عن ابن مسعود قال : هبطوا على النبىِّ صلى الله عليه وسلم وهو يقرأُ القرآن ببطن نخلة ، فلما سمعوه قالوا أنصتوا . قالوا صَهْ وكانوا تسعة أحدهم زَوْبعة فأَنزل الله تعالى : «وإذ صرَفْنا إليك نفرًا من الجن» الآيات .

وروى ابن جرير والطبرانى عن ابن عباس قالوا كانوا تسعة نفر من أَهل نصيبين ، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رُسُلا إلى قومهم .

وروى الشيخان عن مَسْروق قال : قلت لابن مسعود : من آذَن النبىَّ صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟ قال : آذنَتْه بهم شجرةٌ وفى لفظ : سَمُرة[2] .

وروى محمد بن عمر الأَسلمى وأَبو نعيم عن كَعْب الأَحبار قال : لما انصرف النفر التسعة[3] من أَهل نصيبين من بطن نخلة وهم فلان وفلان[4] والأَحْقَب جاءوا قومَهم مُنْذرين فخرجوا بعدُ وافدين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ثلاثمائة فانتهوا إلى

---

(١) سورة الأحقاف ٢٩ - ٣١ .

والخبر فى طبقات ابن سعد ١/٢١٢ (ط بيروت) وسيرة ابن هشام ١/٤٢١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب عبد الله بن مسعود وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٥٣ .

(٣) ت : السبعة .

(٤) بعدها بياض فى الأصول .

الحَجُون فجاء الأحقب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن قومنا قد حضروا الحجونَ يَلْقونك . فوعدَه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ساعةً من الليل بالحجون .

وروى الإمام أحمد ومسلم والترمذى عن عَلْقَمة قال : قلت لابن مسعود : هل صَحِب النبيَّ صلى الله عليه وسلم ليلةَ الجنِّ منكم أحدٌ . قال : ما صحبه منا أحدٌ ولكنا فقدْناه ذاتَ ليلة فقلنا استُطِير أو اغتيل فبِتْنا بشرِّ ليلةٍ باتها قومٌ ، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قِبَل حِرَاء فقلنا يا رسول الله إنا فقدناك فطلبناك فلم نجدْك فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم . فقال : إنه أتانى داعِى الجنِّ فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآنَ . فانطلقَ فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم[1] .

وقال ابنُ مسعود أيضاً : سمعت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : بتُّ الليلَ أقرأُ على الجن رفقا – وفى لفظٍ : واقفًا – بالحَجُون .

رواه ابن جرير[2].

قلت : تبيَّن من الأحاديث السابقة أن الجن سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بنخلة فأسلموا ، فأرسلهم إلى قومهم مُنْذِرين ، ثم أتوه وهم ثلاثمائة[3]، فقرأ عليهم القرآن وهذه المرّة لم يحضرها ابنُ مسعود ، بل حضر فى مرة بعدها .

وروى ابنُ جرير والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى وغيرهم من طرق ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة : من أحبَّ منكم أن يحضر الليلة أمْرَ الجن فليفعلْ . فلم يحضر منهم أحد غيرى ، فانطلقنا فقال : إن بنى إخوة وبنى عمّ يأتونى الليلة فأقرأ عليهم القرآن . فسِرْنا حتى إذا كنا بأعلى مكةَ خطَّ لى برجله خطًّا ثم أمرنى أن أجلس فيه وقال : لا تبرح منه حتى آتيك . ثم انطلق حتى إذا قام فافتتح القرآن فغشِيَه أسْوِدَةٌ كثيرة . وفى رواية فذكر هيئة كأنهم الزطُّ ليس عليهم ثياب ، ولا أرى سَوْأتهم طِوَالا قليلا ، فجئتهم فرأيت الرجالَ ينحدرون عليه من الجبال ، فازدحموا

---

(١) صحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٥٠ وصحيح الترمذى كتاب التفسير (سورة الأحقـاف) .

(٢) تفسير الطبرى ٢١/٢٦ (ط الأميرية) ونصه :

« بت الليلة أقرأ على الجن ربعا بالحجـون » .

(٣) ت : ثلاثمائة نفر .

عليه فقال سيدٌ لهم يقال له وردان : أنا أرحلهم عنك . فقال : إنى لن يُجيرنى من الله أحدٌ فحالُوا بينى وبينه حتى ما أسمع صوته فانطلقوا فطفقوا يتقطّعون مثلَ السحاب ذاهبين حتى بقى رَهْطٌ ، ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الفجر ، فنزل ثم أتانى فقال : أُرْسلتُ إلى الجن . فقلت : فما هذه الأَصواتُ التى سمعتُها قال : هذه أصواتهم حين ودّعونى وسلّموا علىّ . ما فعل الرهطُ ؟ فقلت : هم أُولئك يا رسول الله . فسألوه الزادَ فأخذ عَظْما ورَوْثًا فأعطاهم إياهما . فقال : لكم كلُّ عظم عَراق ولكم كل روثة خضرة . قالوا : يا رسول الله يَقْذِرهما الناسُ علينا . قلت : يا رسول الله وما يُغْنى ذلك عنهم ؟ فقال : إنهم لا يجدون عظما إلا وجدوا عليه لحمه يومَ أُكل ، ولا رَوْثة إلا وجدوا فيها حَبَّها يوم أُكلت ، فلا يَتَنَقَّيَنَّ أحدُكم إذا خرج من الخَلاء بعظم ولا بَعْرة ولا رَوْثة . فلما أصبحتُ رأيت مَبْرك ستين بعيرا[1] .

قصة أُخرى

روى ابن أبي حاتم عن عكرمة فى الآية قال : هم اثنا عشر ألفا جاءوا من جزيرة المَوْصِل .

وذكر أبو حمزة الثمالىّ قال : إن هذا الحىّ من الجن كان يقال لهم بنو الشَّيْصَبان ، وكانوا أكثر الجن عَددا وأشْرَفهم وكانوا عامةَ جُنْدِ إبليس .

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : روى سفيانُ الثَّوْرى عن عاصم عن زِرّ عن ابن مسعود قال : كانوا تسعة أحدهم زوبعة أتوه فى أصل نخلة . وتقدم عنه أنهم كانوا خمسةَ عشر . وفى رواية أنهم كانوا على ستين راحلة وتقدم أن اسم سيدهم وردان . وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثنى عشر ألفا . ففى هذا الاختلاف دليل على تكْرار وِفَادَتهم على النبى صلى الله عليه وسلم بمكة والمدينة كما سيأْتى بيان ذلك هناك .

---

(١) تفسير الطبرى ٢٦/٢١ والخصائص الكبرى ١/٣٤٢ .

الثانى : فى من وقفت على اسمه من الجن الذين اجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم أن اسم النفر السبعة أو التسعة على الاختلاف . فقال مجاهد كانوا سبعة ثلاثة من أهل حَرَّان وأربعة من نصيبين وكانت أسماؤهم حسى ومنسى وشاصر وما صر والأرد وإينان والأَحْقَب .

رواه ابن أبى حاتم .

وقال إسماعيل ابن أبى زياد : هم تسعة : سليط وشاصر وخاضر وحسا ومسا[1] والأرقم والأدرس وحاصر[1] .

وروى البيهقى عن أبى مَعْمَر الأنصارى قال : بينا عمر بن عبد العزيز يمشى إلى مكة بفَلَاة من الأرض إذ رأى حية ميتة فقال على بمِحْفار . فحفرَ له ولفَّه فى خِرْقة ودفنه ، وإذا بهاتف يهتف لا يرونه : رحمةُ الله عليك ياسرق فأشهد لَسمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : تَموت ياسرق فى فلاة من الأرض فيدفنك خيرُ أُمّتى . فقال عمر : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا رجل من الجن ، وهذا سرق ولم يبق ممن بايعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أَحدٌ من الجن غيرى وغيره ، وأشهدُ لَسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تموت ياسرق بفلاة من الأرض ويدفنك خير أُمتى[2].

وذكر ابن سلَّام من طريق أبى إسحاق السَّبِيعىّ - بسين مهملة مفتوحة فموحدة فمثناة تحتية - عن أشياخه عن ابن مسعود أنه كان فى نفر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يمشون فرُفع لهم إعصار ثم جاء إعصار أعظم منه ثم انقشع فإذا حية قتيلة ، فعَمد رجلٌ منا إلى ردائه فشقَّه وكفَّن الحية ببعضه ودفنها ، فلما جَنَّ الليلُ إذا امرأتان تسألان : أيكما دفنَ عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى ما عمرو بن جابر قالتا : إن كنتم ابتغيتم الأجر فقد وجدتموه ، إن فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين فقتل عمرو بن جابر وهو الحية التى رأيتم ، وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم[3] .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا محمد بن عَبَّاد بن موسى ، العُكلىّ ، حدثنا المطلب ابن

---

(١) بياض بالأصول .

(٢) الخصائص ١/٣٥٣ .

(٣) الخصائص ١/٣٥٠ بنحوه .

زياد الثقفى ، حدثنا أبو إسحاق أن ناسًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا فى مَسِير لهم وإن حيتين اقتتلتا فقتلت إحداهما الأُخرى فعجبوا من طيب ريحها وحسنها ، فقام بعضهم فلفَّها فى خرقة ثم دفنها ، فإذا قوم يقولون السلام عليكم - لا يرونهم - إنكم دفنتم عَمْرًا إن مُسْلمتنا وكفارنا اقتتلوا فقتل الكافرُ المسلمَ الذى دفنتم ، وهو من الرهط الذين أسلموا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائد المسند والطبرانى والحاكم عن صفوان بن المعَطّل نحوه ، وفيه : أنه كان آخر السبعة[1] الذين أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا الحسن بن جهور ، حدثنا ابن أبى إياس ، وعن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عمه ، عن معاذ بن عبد الله ابن مَعْمَر قال : كنت جالسًا عند عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاء رجلٌ فقال : ألا أُخبرك يا أمير المؤمنين عجبًا ؟ بَيْنا أنا بفلاة كذا وكذا إذ إعْصاران قد أقبلاَ أحدهما من هاهنا والآخر من هاهنا فالتقيا فتعاركا ثم تفرَّقا وإذا أحدهما أكبر من الآخر فجئت معتركهما : فإذا من الحيات شىءٌ ما رأت عيناى مثله قط ، وإذا ريحُ المِسْك من بعضها ، وإذا حية صفراء ميتة فقمت فقلبت الحيات كما أنظر من أيها هو فإذا ذلك من حية صفراء دقيقة ، فظننت أن ذلك خيرٍ فيها فلففتها بعمامتى ودفنتها . فبينا أنا أمشى نادانى منادٍ ولا أراه : يا عبد الله ماهذا الذى صنعت فأخبرته بالذى رأيت ووجدت ، فقال : إنك قد هُدِيت ، ذانك حَيّان من الجن بنو شيبان[2] وبنو أُقَيْش ، التقوا فاقتتلوا وكان بينهم ما قد رأيتَ واستُشهد الذى رأيت ، وكان أحدَ الذين استمعوا الوحىَ من النبى صلى الله عليه وسلم[2].

وروى ابن أبى الدنيا وأبو نعيم من طريق بشر ابن الوليد الكِنْدى حدثنا كثير بن عبد الله أبو هاشم الناجى ، قال دخلنا على أبى رجاء العُطَارِدى فسأَلناه : هل عندك علمٌ من الجن ممن بايع النبى صلى الله عليه وسلم ؟ فتبسَّم فقال : أُخبركم بالذى رأيت وبالذى سمعت ، كنا فى سفر حتى إذا نزلنا على الماء فضربنا أخْبيتنا وذهبت أَقِيل ، فإذا أنا

---

(١) ط : التسعة .

(٢) ط : بنوشعيبان .

بحية دخلت الخباء وهى تضطرب فعمدت إلى إداوتى فنضحتُ عليها من الماء فسكنتْ ، فلما صلينا العصر ماتت ، فعمدت إلى عَيْبتى فأخرجت منها خرقة بيضاء فلففتها فيها وحفرت لها ودفنتها ،وسِرْنا بقية يومنا وليلتنا ، حتى إذا أصبحنا ونزلنا على الماء وضربنا أخبيتنا وذهبتُ أَقِيل فإذا أنا بأصوات : السلام عليكم . مرتين لا واحد ولا عشرة ولامائة ولا ألف أكثر من ذلك ، فقلت : من أنتم ؟ قالوا : الجن بارك الله عليك قد صنعتَ مالا نستطيع أن نجازيك . قلت : ما صنعتُ إليكم ؟ قالوا : إن الحية التى ماتت عندك كان آخر من بقى ممن بايع النبى صلى الله عليه وسلم من الجن[1].

ورواه الباوردى – بالموحدة – فى معرفة الصحابة من طريق آخر وفيه أنه آخر من بقى من النفر الذين كانوا يستمعون القرآن . قال الحافظ فى الإصابة : هذه القصة مغايرة لما قَبْلها وقد أثبت لكل منها الآخِريَّة ، فيمكن أن الأول مقيَّد بالتسعة ، والثانى بمن استمع بناء على أن الاستماع كان من طائفتين مثلا .

قال : وقد وقع فى قصة سرق أنه آخر من بايع ، فتكون آخريَّتُه مقيدة بالمبايعة[2] .

وروى أبو نعيم فى الدلائل عن إبراهيم النَّخَعى قال : خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى إذا كانوا ببعض الطريق إذا هم بحية تتثنَّى على الطريق ، أبيض يَنْفح منه ريحُ المسك ، فقلت لأصحابى امضوا فلست ببارح حتى أنظر إلى ما يصير أمر هذه الحية . فما لبثت أن ماتت ، فعمدْتُ إلى خرقة بيضاء فلففتها فيها ، ثم نحَّيتها عن الطريق فدفنتها ، ثم أدركت أصحابى . فوالله إنا لَقُعود إذ أقبل أربع نسوة من قِبَل المغرب فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عَمْرًا ؟ قلنا : ومن عمرو ؟ قالت : أيكم دفن الحية ؟ قلت : أنا . قالت : أمَا والله لقد دفنت صَوَّاما قوَّاما يأمر بما أنزل الله ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته فى السماء قبل أن يُبْعَث بأربعمائة سنة . فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجَّنا ، ثم مررت بعمر ابن الخطاب بالمدينة فأنبأْته بأمر الحية فقال : صدقتَ ، سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : لقد آمن بى قبل أن أُبْعث بأربعمائة سنة[3].

---

(١) الخصائص ١/٣٤٧ .

(٢) الإصابة ٢/٢٠ بمعناه .

(٣) الخصائص ١/٣٤٩ .

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا محمد بن عباد حدثني محمد بن زياد ، حدثني أبو مُصْلح الأسدى ، حدثني يحيي بن صالح ، عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي الجَهْم ، عن حذيفة العدَوى قال : خرج حاطب بن أبي بَلْتعة من حائط له يريد النبيَّ صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان بالمسحاء التفت إليه عجاجتان ثم أجْلَتا عن حيّة كيف الحوار ، يعني الجلد ، فنزل ففحص له بِسيَة قَوْسه ثم واراه ، فلما كان الليل إذا هاتف يهتف به :

يا أيها الراكب المزْجى مَطِيَّته ... ارْبَعْ عليك سلامُ الواحدِ الصمدِ

رأيت عَمْرًا وقد ألْقَى كَلاكَله ... دون العشيرة كالضِّرغامة الأَسدِ

فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال : ذاك عمرو بن الجوماية وافد نصيبين لقيه مِحْصَن بن جَوْشن النصرانى فقتله ، أمَا إني قد رأيتها - يعني نصيبين - فرفعها إلىّ جبريل ، فسألت الله تعالى أن يُعْذب نَهْرَها ويُطيب ثمرَها ويكثر مطرها .

والآثار في هذا المعنى كثيرة ذكر طرفا منها الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه «لقط المرجان في أخبار الجان»[1]

* * *

الثالث : أنكر ابنُ عباس رضى الله عنهما اجتماعَ النبي صلى الله عليه وسلم بالجن . ففي الصحيحين عنه قال : ما قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم ، انطلق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامِدين إلى سوق عكَاظ وقد حِيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأُرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : مالكم ؟ قالوا : قد حيل بيننا وبين خبر السماء وأُرسلت علينا الشُّهب . قالوا : ما ذاك إلا من شيء قد حَدَث فاضربوا مشارقَ الأرض ومغاربها . فمر النفر الذين أخذوا نحو تِهامة بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامد إلى سوق عُكَاظ وهو يصلى بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم فقالوا : «يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عَجَبًا يَهْدى إلى الرُّشْد» فأنزل الله تعالى على نبيه : «قل أُوحي إلىَّ أنه استمع نفر من الجن» وإنما أُوحي إليه قول الجن[2] .

---

(١) وأكثرها واه لا سند له.

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير سورة الجن ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة حديث رقم ١٤٩ .

قال الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله تعالى : وهذا الذى حكاه ابن عباس إنما هو فى أول ما سمعت الجنُّ قراءةَ النبي صلى الله عليه وسلم وعلمتْ بحاله ولم يرهم ، ثم أتاه داعى الجن مرة أُخرى فذهب معهم وقرأ عليهم القرآن كما رواه مسلم عن ابن مسعود .

ويؤيد قولَ البيهقي أثر كعب السابق أول الباب .

قال البيهقي : وابنُ مسعود قد حفظ القصتين فرواهما .

وقال غيره : أثر ابن مسعود أثبَت أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الجن ورآهم ، فكان ذلك مقدَّماً على نَفْى ابن عباس .

وقد جاء عن ابن عباس ما يوافق ابنَ مسعود . فروى ابنُ جرير بسند جيد قوى عن ابن عباس فى قوله تعالى : «وإذ صرفْنا إليك نفرا من الجن» الآية . قال : كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رُسلاً إلى قومهم ..

فهذا يدل على أن ابن عباس روى القصتين كابن مسعود .

* * *

الرابع : قال الحافظ : لا يعكر على قولنا حديثُ ابن عباس كان فى أول البعثة ، كما تقرر قوله إنهم رأوه يصلى بأصحابه صلاة الفجر ، فيحتمل أن يكون ذلك بعد[1] فرض الصلوات ليلة الإسراء لأنه صلى الله عليه وسلم كان قبل الإسراء يصلى قطعا وكذلك أصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا فيصح هذا على قول من قال إن الفرض كان أولاً صلاةً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحجة فيه قوله تعالى «وسبح بحَمْد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» ونحوها من الآيات . فيكون إطلاق صلاة الفجر فى هذا الحديث باعتبار الزمان لا لكونها إحدى الخمس المفترضة ليلة الإسراء فتكون قصة الجن متقدمة من أول البعثة[2].

وقد أخرج الترمذى والطبرى هذا الحديث بسياق سالم عن الإشكال الذى ذكرته من

---

(١) ط : قبل فرض .

(لا يعكر على قولنا حديث ابن عباس) « ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن »

(٢) فتح البارى ١٧١/٨ .

طريق أبي إسحاق السَّبِيعى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت الجن تصعد إلى السماء يستمعون الوحى . الحديث . وتقدم هو وأحاديث أُخر تدل على أن هذه القصة وقعت أول البعثة وهو الذى تظافرت به الأخبار وهو المعتمد .

الخامس فى بيان غريب ما سبق .

الإعصار : قال فى الصحاح ريح تثير الغبار ويرتفع إلى السماء كأنّه عمود .

العُكْلى : بضم العين المهملة وسكون الكاف . الإداوة بالكسر : المِطْهرة .

أقيل : أنام وقت القيلولة وهى نصف النهار .

العَيْبة بفتح العين المهملة زنْبيل من جِلْد وما يجعل فيه الثياب .

تتثنّى : تتقلب .

المطية : المطا ، وزان العصا : الظهر ومنه قيل للبعير مطيّة فعيلة بمعنى مفعولة لأنه يركب مَطاه ذكرا كان أو أُنثى ويجمع على مطى ومطَايا

المُزْجى مطيته : السائقها .

ارْبَعْ : فعل أمر ، أى ارفق .

نصيبين : بلد معروف بأرض الجزيرة .

الباب الثالث والثلاثون

فى عرض النبى صلى الله عليه وسلم نفسه الكريمة
على القبائل ليؤووه وينصروه ودعائه الناس إلى التوحيد

قال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرض نفسه بالموقف ، فيقول : ألا رجلٌ يحملنى إلى قومه فإن قريشا منعونى أن أبلغ كلامَ ربى .

رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح(1).

قال محمد بن عمر الأسلمى : مكث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين من أول نبوته مُسْتخفيا ثم أعلن فى الرابعة فدعا الناسَ إلى الإسلام عشر سنين ، يوافى الموسمَ كلَّ عام يتبع الحاج فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه ولهم الجنة ، فلا يجد أحدًا ينصره ولا يجيبه حتى إنه سأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا العرب وتذل لكم العجم وإذا آمنتم كنتم ملوكا فى الجنة . وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابىء كاذب ، فيردون عليه أقبح الرد ويؤذونه ويقولون : قومُك بك أعْلَم .

وقال ابن اسحاق : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أى من الطائِف وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعْرِض نفسه فى المواسم إذا كانت ، على قبائِل العرب يدعوهم إلى الله عز وجل ويخبرهم أنه نبىّ مُرْسَل ويسألهم أن يصدِّقون ويمنعوه حتى يبيِّن عن الله عز وجل ما بعثه به(2).

وروى ابن اسحاق والبيهقى والإمام أحمد وابنه عبد الله والطبرانى برجال ثقات ، عن ربيعة بن عِبَاد ـ بكسر العين المهملة وتخفيف الباء الموحدة ـ قال : إنى لَغلام شاب مع أبى بمنًى ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقف على القبائل من العرب فيقول : يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، وأن تَخْلعوا ما تعبدون من

---

(1) سنن أبى داود كتاب السنة باب رقم ٢٠ .
وصحيح الترمذى كتاب ثواب القرآن باب ٢٤ – وسنن ابن ماجه المقدمة باب رقم ١٣ . (٢) سيرة ابن هشام ٤٢٢/١ .

دونه من هذه الأَنْداد ، وأن تؤمنوا بى وتصدِّقونى وتمنعونى حتى أُبيِّن عن الله عز وجل ما بعثنى به . والناسُ مُتقصِّفون عليه ما رأيت أحدا يقول شيئا وهو لا يسكت . قال : وخلفه رجل أَحْوَل وضِيء له غَدِيرتان عليه حُلَّة عدَنية فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل : يا بنى فلان إن هذا الرجل إنما يدعوكم إلى أن تَسْلخوا اللات والعُزَّى من أعناقكم وحلفاءهم من الجن وبنى مالك بن أُقَيْش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . فقلت لأَبى : يا أبت من هذا الرجل الذى يردُّ عليه ما يقول يتبعه حيث ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفرُّ منه ؟ قال : هذا عمه عبد العُزَّى بن عبد المطلب أَبو لهب[1] .

وروى الطبرانى عن طارق بن عبد الله قال : إنى بسوق ذى المجاز إذ مرّ رجلٌ بى[2] عليه حُلَّة من بُرْد أحمر وهو يقول : يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تُفْلحوا . ورجل خَلْفه قد أَدْمَى عرقوبَيْه وساقيه يقول : يا أيها الناس إنه كذاب فلا تطيعوه . فقلت : من هذا ؟ قالوا: غلام بنى هاشم الذى يزعم أنه رسول الله وهذا عمه عبد العزى .

وروى الطبرانى برجال ثقات عن مُدْرك بن [منيب[3]] رضى الله عنه قال : حجَجْتُ مع أَبى فلما نزلنا منًى إذا نحن بجماعة فقلت لأَبى : ما هذه الجماعة ؟ قال : هذا الصابئ . وإذا رسول الله[4] صلى الله عليه وسلم يقول : يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .

وروى البخارى فى تاريخه والطبرانى فى الكبير واللفظ له عن مُدْرك بن مُنيب ـ بضم أوله وكسر النون وآخره موحدة ـ العامرىّ عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية وهو يقول : يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تُفْلحوا . فمنهم من تَفَل فى وجهه ومنهم من حثَا[5] عليه التراب ، ومنهم من سبَّه ، حتى انتصف النهار فأَقبلت جارية بعُسٍّ من ماء فغسل وجهه ويديه وقال : يابنية لا تخشَىْ على أَبيك غلَبَةً ولا ذلة . فقلت : من هذه ؟ قالوا : زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهى جارية وَضِيئة[6] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٤٢٣ . ومسند أحمد ٣/٤٩٢ . (٢) ط : إذ مر رجل شاب .
(٣) بياض بالأصل ، وما أثبته مما ذكره المؤلف فى الرواية التالية . (٤) ط : وإذا برسول الله .
(٥) ط : من حفن . (٦) الذى فى التاريخ الكبير للبخارى الجزء الرابع من القسم الثانى جـ ٢ : مدرك بن منيب الأزدى عن أبيه روى عنه ابنه منيب .

وروى الطبرانى برجال ثقات نحوه عن الحارث بن الحارث .

وروى الإمام أحمد والبيهقى عن الأشعث بن سليم عن رجل من كنانة قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذى المجَاز وهو يقول : يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا . وإذا رجل خلفه يَسْفِى عليه الترابَ ، وإذا هو أبو جهل ، وإذا هو يقول : يا أيها الناس لا يغرّنكم هذا عن دِينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللاتِ والعزى يتبعه حيث ذهبَ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يفرّ منه، وما يلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه.

قال الحافظ عماد الدين بن كثير : المحفوظ : أبو لهب . وقد يكون أبو جهل وَهْمًا ، ويحتمل أن يكون ذا تارةً وذا تارة ، وأنهما يتناوبان على أذيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

قلت : وهذا هو الظاهر .

* * *

وذكر ابن اسحاق عَرْضَه صلى الله عليه وسلم نفسَه الكريمة على كِنْدة وكلب وبنى عامر بن صَعْصَعة وبنى حنيفة . قال : ولم يكن أحدٌ من العرب أقبح ردًّا عليه منهم .

زاد الواقدى : وعلى بنى عَبْس وغَسَّان وبنى مُحَارِب وبنى فَزَارة وبنى مُرَّة وبنى سُلَيْم وبنى نَصْر بن هوازن وبنى ثعلبة بن عُكَابة - بضم العين المهملة وفتح الباء الموحدة - وبنى الحارث بن كعب وبنى عُذْرة وقيس بن الخَطِيم . وساق أخبارهم .

وروى محمد بن عمر الأسْلمى عن عامر بن سلمة الحنفى وكان قد أسلم فى آخر عُمْر النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : نسأل الله أن لا يَحْرمنا الجنة ، لقد رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جاءنا ثلاثة أعوام بعكاظ ومجنّة وبذى المجَاز ، يدعونا إلى الله - عز وجل - وأن نمنع له ظهره حتى يبلِّغ رسالات ربه ، ويَشْرط لنا الجنَّة ، فما استجبنا له ولا رَدَدْنا عليه ردًّا جميلا فخشنّا عليه وحَلُم عنا . قال عامر : فرجعت إلى هَجَر فى أول عام فقال لى هَوْدة بن على : هل كان فى موسمكم هذا خبر ؟ قلت : رجل من قريش يطوف

---

(١) سيرة ابن كثير ٢/١٥٦ - ١٥٧ .

على القبائل يدعوهم إلى الله تعالى وحده وأن يمنعوا ظَهْره حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة . فقال هَوْدَة : من أى قريش هو ؟ قلت : هو من أوْسَطهم نسبًا من بنى عبد المطلب . قال هودة: أهو محمد بن عبد المطلب ؟ قلت : هو هو . قال: أمَا إن أمره سيظهر على ما هاهنا . فقلت : هنا قط من بين البلدان ؟ قال : وغير ما ها هنا . ثم وافيت السنة الثانية هَجر فقال : ما فعل الرجل ؟ فقلت : والله رأيته على حاله فى العام الماضى . قال : ثم وافيت فى السنة الثالثة وهى آخر ما رأيته وإذا بأمره قد أمِرَ وإذا ذِكْره كَثُر فى الناس . الحديث .

وروى الحاكم والبيهقى وأبو نعيم وقاسم بن ثابت عن على رضى الله عنه قال : لما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يَعْرض نفسَه على قبائل العرب خرج وأنا معه . فذكر الحديث إلى أن قال : ثم دفَعْنا إلى مجلس آخر عليهم السَّكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر فسلَّم فقال: من القومُ ؟ قالوا: مِنْ شَيْبان بن ثعلبة. فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : بأبى وأمى هؤلاء غُرَر الناس وفيهم مَغْروق بن عمرو وهانئ ابن قَبِيصة والمثنّى بن حارثة والنعمان بن شَرِيك ، وكان مفروق قد غَلبهم لساناً وجمالا وكانت له غَدِيرتان تسقطان على تَرِيبته ، وكان أدْنَى القوم مجلساً من أبى بكر فقال أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لا نزيد على الألف ولن تغلب ألف من قِلة . فقال أبو بكر : وكيف المنَعة فيكم ؟ فقال مفروق : إنا لأشد ما نكون غضبا حين نَلْقى ،وأشد ما نكون لقاء حين نَغْضب، وإنا لنُؤْثر الجِيَاد على الأولاد، والسلاحَ على اللِّقاح ، والنصر من عند الله يُديلنا مرةً ويديل علينا أخرى ، لعلك أخا قريش ؟ فقال أبو بكر : إن كان بلَغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا . فقال مفروق إلامَ تدعونا يا أخا قريش ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى عبد الله ورسوله ، وإلى أن تُؤْوونى وتَنْصُرونى فإن قريشًا قد تظاهرتْ على الله وكذَّبت رسولَه واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنىُّ الحميد .

فقال مفروق وإلامَ تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما سمعتُ كلاما أحسن من هذا .

فتلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « قل تعالَوْا أتْلُ ما حرَّم ربُّكم عليكم : أن لا تشركوا

به شيئا وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نَرْزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطَن ولا تقتلوا النفسَ التى حرَّم الله إلا بالحق ذلكم وصَّاكم به لعلكم تَعْقلون » [1]

فقال مفروق : دعوتَ ــ والله ــ إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أَفَك[2] قومٌ كذَّبوك وظاهروا عليك .

ثم رد الأمر إلى هانئ بن قَبِيصة فقال : وهذا هانئ شيخُنا وصاحبُ دِيننا .

فقال هانئ : قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش وإنى أرى تَرْكَنا ديننا وإتباعنا دينَك لِمَجلسٍ جلستَ إلينا لا أول له ولا آخر لَذلٌّ فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة ، إن الزلَّة مع العَجلة وإنا نكره أن نعْقد على من وراءنا عَقْدًا ولكن نرجع وترجع ونَنْظر وتنظر .

ثم كأنه أحب أن يَشْرَكه المثنَّى بن حارثة فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحب حَرْبنا .

فقال المثنَّى ــ وأسلم بعد ذلك ــ قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريش والجواب فيه جوابُ هانئ بن قبيصة فى تَرْكنا ديننا ومتابعتنا دِينَك وإنا إنما نزلنا بين صِرْيين : أحدهما اليمامة والآخر السمامة .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما هذان الصريان . ؟ قال : أنهار كسرى ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى فذَنْبُ صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول ، وأما ما كان مما يلى مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وإنا إنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نُحْدِث حَدَثًا ولا نُؤْوِىَ مُحْدِثا وإنى أرى هذا الأمر الذى تدعونا إليه يا أخا قريش مما تكرهه الملوك ، فإنْ أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياهَ العرب فعَلْنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم فى الرد إذ أَفْصَحْتم بالصدق . وإن دِينَ الله عز وجل لن ينصره إلا من حاطَه من جميع جوانبه ، أرأيتم إن لم تلبثوا إلا قليلا

---

(١) سورة الأنعام ١٥١ .

(٢) كذا ضبطها المؤلف فى تنبيهاته الآتية بعد .

حتى يورّثكم الله تعالى أرضهم وديارَهم وأموالهم ويُفرِشكم نساءهم أتستحبُّون الله تعالى وتقدِّسونه ؟ .

فقال النعمان : اللهم فلك ذاك .

فتلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشِّرا ونَذِيرا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا »[1] .

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

وروى سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى مغازيه عن أبيه ، وأبو نعيم عن عبدالرحمن العامرى عن أشياخ من قومه قالوا : أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونحن بسوق عكاظ فقال : مَنِ القومُ ؟ قلنا : من بنى عامر بن صعصعة بنو كعب بن ربيعة ؟ فقال : إنى رسول الله إليكم وأتيتكم لتمنعونى حتى أبلِّغ رسالَة ربى ولا أُكْره أحدًا منكم على شىء .

قالوا : لا نؤمن بك وسنمنعك حتى تبلغ رسالةَ ربك .

فأتاهم بيْحرة بن فراس[3] القُشَيْرى فقال : من هذا الرجل الذى أراه عندكم أُنكره ؟ قالوا : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . قال : فما لكم وله ؟ قالوا : زعم أنه رسول الله فطلب إلينا أن نمنعه حتى يبلغ رسالة ربه . قال : ما ردَدْتم عليه ؟ قالوا : بالرُّحْب والسعة نُخْرجك إلى بلادنا ونمنعك مما نمنع منه أنفسنَا . فقال بَيْحرة : ما أعلم أحدا من أهل هذه السوق يرجع بشىء أشرَّ من شىء ترجعون به ! أتعمدون إلى رَهِيق قوم طردوه وكذَّبوه فتُؤْوُوه وتنصروه تُنَابذوا العربَ عن قوس واحدة ، قومُه أعْلَم به فبئس الرأى رأيكم . ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قم فالحق بقومك فوالله لولا أنك عند قومى لضربتُ عنقك .

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ناقته ليركبها فغمز الخبيث بَيْحرة شاكِلَتها فقمصتْ برسول الله صلى الله عليه وسلم فألْقَتْه . وعند بنى عامر يومئذ ضباعة بنت عامر

---

(١) سورة الأحزاب ٤٥ .

(٢) دلائل النبوة لأبى نعيم ٢٣٧ .

(٣) ط : ابن فارس .

ابن حَوْط كانت من النسوة اللاتى أسلمن بمكة جاءت زائرة إلى بنى عمها فقالت : يا لَعامر ولا عامر لى ، أَيُصْنع هذا برسول الله صلى الله عليه وسلم بين أَظْهركم ولا يمنعه أَحدٌ منكم . ؟

فقام ثلاثة نفر من بنى عمها إلى بَيْحرة واثنين أعاناه فأَخذ كل رجل منهم رجلا فجلد به الأَرض ، ثم جلس على صدره ثم علَوْا وجوههم لطما .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك على هؤلاء والعن هؤلاء . فأَسلم الثلاثة الذين نصَروه وقُتلوا شهداء ، وهم غطيف وغطفان ابنا سهل وعروة أو عزرة بن عبد الله ، وهلَك الآخرون[1] .

فلما صدَر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم أَدركته السِّنُّ حتى لا يقدر أَن يوافى معهم موسمهم ، فكانوا إذا رجعوا إليه حدَّثوه بما يكون فى ذلك فى الموسم، فلما قدموا عليه ذلك العام سأَلهم عما كان فى موسمهم فقالوا : جاءنا فتى من قريش ثم أَحد بنى عبد المطلب يزعم أَنه نبى يدعونا إلى أَن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ، ثم قال : يا بنى عامر هل لها من تَلاف هل لذنا بها من مَطْلَب ! والذى نفسى بيده ما تقوَّلها إسماعيلىٌّ قط كاذبا وإنه[2] لَحقّ ، فأَين رأْيكم كان عنكم[3] .

وروى أَبو نعيم عن خالد بن سعيد عن أَبيه عن جده أَن بكر بن وائِل قدِم مكة فى الحج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأَبى بكر : إيتهم واعرض عليهم . فأَتاهم فعرض عليهم . فقالوا : حتى يجىء شيخنا حارثة. فلما جاء قال : إن بيننا وبين الفُرْس حربًا فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم عُدْنا فنظرْنا فيما تقول فلما التقوا بذى قارهم والفُرْس قال لهم شيخهم : ما اسم الرجل الذى دعاكم إلى ما دعاكم إليه ؟ قالوا : محمد . قال : فهو شعاركم . فنُصروا على الفُرْس . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : بِى نُصِروا .

وروى محمد بن عمر الأَسلمى عن جَهْم بن أَبى جهم أَن رسول الله صلى الله عليه سلم وَقف على بنى عامر يدعوهم إلى الله تعالى ، فقام رجل منهم فقال له : عجبا لك والله قد

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم ص ٢٤٣ . وسيرة ابن كثير ١/١٦٠ . ثم قال ابن كثير : وهذا أثر غريب كتبناه لغرابته .

(٢) ط : وإنها .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٤٢٥ .

أَعْيَاكَ قومُكَ ثم أَعياك أحياء العرب كلها حتى تأْتينا وتتردَّد علينا مرةً بعد مرة ؟ والله لأَجعلنك حديثا لأَهل الموسم . ونهض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جالسا فكسر الله ساقَ الخبيث ، فجعل يصيح من رِجْله وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى أَبو نعيم عن عبد الله بن وابصة العَبْسى عن أَبيه عن جده قال : جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمِنى فدعانا فاستجبنا له ، وكان معنا مَيْسرة بن مسروق العَبْسى فقال لنا : أَحلف بالله لو صدَّقنا هذا الرجلَ وحملناه حتى نحلَّ به وسطَ رِحَالنا لكان الرأْى ، فأَحلف بالله لَيظهرَن أمره حتى يَبْلغ كلَّ مَبْلَغ فأَبَى القومُ وانصرفوا . فقال لهم ميسرة : مِيلوا بنا إلى فَدَك فإن بها يهودَ نسأَلهم عن هذا الرجل . فمالوا إلى يهود فأَخرجوا سِفْرهم فوضعوه ثم دَرسوا ذِكْر رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى الأُمى العربى يَرْكب الحمارَ ويَجْتزئ بالكِسْرة ، وليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالجعد ولا بالسَّبْط فى عينيه حُمْرة مُشْرب اللون . قالوا : فإن كان هو الذى دعاكم فأَجيبوه وادخلوا فى دينه فإنا نحسده ولا نتبعه ولنا منه فى مواطن بلاءٌ عظيم ، ولا يبقى أحدٌ من العرب إلا اتبعه أَو قتله . فقال ميسرة : يا قوم إن هذا الأَمر بيِّن فأَسْلَم ميسرة[1].

وروى أَبو نعيم عن ابن رُومان وعبد الله بن أَبى بكر وغيرهما قالوا : جاء النبى صلى الله عليه وسلم كِنْدة فى منازلهم فعرض نفسه عليهم فأَبَوْا . فقال أَصغر القوم : يا قوم اسبقوا إلى هذا الرجل قبل تُسْبقوا إليه ، فوالله إن أَهل الكتاب ليحدثونا أن نبيًّا يخرج من الحرَم قد أَظلَّ زمانه فأَبوا .

وروى البيهقى عن عاصم بن عمر بن قَتادة عن أَشياخ من قومه قالوا : قدِم سُوَيْدُ ابن الصامت أَخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجًّا أَو معتمرا، وكان سويد إنما يسميه قومُه الكاملَ لجَلده وشِعره وشرفه ونسبه ، وهو الذى يقول :

أَلاربَّ من تدعو صديقا ولو ترى مقالَته بالغَيْب ساءك ما يَفْرى
مقالتُه كالشَّهْد ما كان شاهدا وبالغيب مأْثور على ثغرة النحر

---

(١) سيرة ابن كثير ١/١٧٠ عن الواقدى .

يسرُّك بادِيه وتحت أديمـــه تميمةُ غِش تَبْترى عَقِب الظُّهرِ
تُبين لك العَيْنان ما هـو كـاتِمٌ من الغلِّ والبغضاء بالنظَر الشَّزْر
فرِشْنى بخيرٍ طـالَ ما قـد برَيْتَـــنى وخيرُ الموالى من يَريش ولايَبْرِى[1]

فتصدَّى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله تعالى وإلى الاسلام . فقال له سُوَيد : لعل الذى معك مثلَ الذى معى . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال مَجلَّة لُقْمان . يعنى حكمته

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىَّ . فعرضها عليه . فقال : هـذا كلامٌ حسن والذى معى أفضل من هذا : قرآن أنزله الله تعالى هو هُدًى ونور . فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه القرآن ودعاه إلى الإيمان فلم يَبْعُد منه وقال : إن هذا القول حسن . ثم انصرف عنه فقدِم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلتْه الخزرج ، فإنْ كان رجالٌ قومه ليقولون إنا لَنراه قد قُتل وهو مُسْلم . وكان قَتْله قَبْل بُعَاث[2] .

تنبيـه

[فى بيان غريب ما سبق]

عُكَاظ ـ بضم العين المهملة : سوق بقرب مكة وراءَ قَرْن المنازل ، يُصْرف ويُمْنع.

ذى المجَاز ـ بالجيم والزاى : سوق كانت تقام فى الجاهلية على فرسخ من عرفة .

مَجَنَّة ـ بفتح الميم والجيم والنون المشددة : سوق أُخرى .

مَفْروق ـ بفتح الميم ففاء ساكنة فراء مضمومة فواو ساكنة .

هانئ ـ بالهمزة فى آخره .

قَبِيصة ـ بفتح القاف وكسر الباء الموحدة ومثناة تحتية آخره صاد مهملة .

---

(١) الروض الأنف ١/٢٦٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٤٢٥ ، وسيرة ابن كثير ١/١٧٣ .

منى بن حارثة – بالحاء المهملة والثاء المثلثة : أَسْلَم المثنى بعد ذلك ، وكان سببا فى فتح العراقِ وأَبْلَى فيه بلاء حسنا . رضى الله عنه .

هَوْدَة – بفتح الهاء وسكون الواو وفتح الدال المهملة .

قطّ : أى حَسْب .

التَّرِيبة – بفتح المثناة الفوقية وكسر الراء : واحدة الترائِب وهى عظام الصدر .

رَهِيق قوم : أى سفيههم .

ذو قار – بالقاف والراء : موضع به ماء معروف .

من تَلَاف [1] .

لِذُنَاباها من مَطْلب : الذنابى : وزان الخُزَامى فى الأَصل لغة فى الذَّنَب ويقال هو فى الطائِر أَفصح من الذَّنَب ، ثم استعارها هنا للقصة .

تقَوَّلها : أَدعاها .

الشِّعَار – بكسر الشين المعجمة : العلامة فى الحرب وهو ما ينادون به ليعرف بعضهم بعضا .

أَدْنى : أَقْرَب .

المَنَعة – بفتح الميم والنون : قال فى التقريب : أَى فى قوم يمنعونه ويحمونه جمع مانع ، ككاتب وكَتبة ويسكَّن على معنى مَنْعة واحدة والسكون عامىّ . وقال الزمخشرى : يسكن فى الشعر لا فى غيره .

الجَهْد – بفتح الجيم وضمها : الطاقة .

الجَدّ – بفتح الجيم : الحظ والسعادة . والمعنى أَن علينا أَن نجهد وليس علينا أَن يكون لنا الظفر والنصر إنما هو من عند الله .

لحين : الأَكثر جَرّ حين هنا ، وهو ظرف زمان .

نَلْقَى – بفتح النون وإسكان اللام وفتح القاف : مبنى للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول فيكون مضموم النون .

---

(١) بياض بالأصول . والمراد : من تدارك .

الجِيَاد : جمع جواد ، يقال جاد الفرس جوادا بالفتح وجودة بالضم صار جواد بالجرى .

اللِّقاح ـ بكسر اللام المشددة وبالقاف والحاء المهملة : جمع لقحة وهى هنا ذوات الدَّرِّ من الإبل بعد الولادة بشهر أو شهرين ثم هىَ ذات لَبُون .

يُديلنا ـ بضم المثناة التحتية وكسر الدال المهملة : أى ينصرنا .

أخو قريش : أى الذى هو منهم .

أوَقد بَلَغكم ـ بفتح الواو على الاستفهام .

ظاهرت : عاونت .

أَفَك ـ بفتح الهمزة والفاء : صَرف عن الحق ومَنع منه .

أن يشركه ـ بفتح أوله وثالثه ويقال رباعى أيضاً : أى يجعله شريكه .

الصَّرَيَّيْن : بصاد مهملة فراء مفتوحتين فمثناتين تحتيتين الأُولى مفتوحة مشددة[1] والثانية ساكنة تثنية صرى ـ وفى بعض نسخ العيون صِيرين تثنية صِير ـ بكسر الصاد . قال فى المصباح والتقريب : صَرى الماءُ صَرًى من باب تَعِب : طال مُكْثه وتغيرُه ويقال طال استنقاعه فهو صَرًى وصف بالمصدر. وقال فى النهاية : الصير الماء الذى يحضره الناس وقد صار القوم يصيّرون إذا حضروا الماء .

اليَمامة ـ بفتح المثناة التحتية : مدينة من اليمن على مِرحلتين من الطائف وأربع من مكة .

السِّمامة ـ بكسر السين المهملة وميمين مفتوحتين: ولم أر لها ذكرا فى معجم البَكْرى ولا فى معجم البلدان لياقوت ، ولا فى كتاب الزمخشرى فى الأماكن ولا فى كتاب نصر ، ولا فى القاموس الذى وقفت عليه .

يَفْرى : يقطع فى عرضك .

المأثور : السيف الموشّى .

---

(١) كذا بالأصول ، وهو سهو ، والصواب تخفيف الياء الأولى وسكون الياء الثانية . وانظر اللسان ١٩/١٩٢ .

الثُّغْرة : الحفرة التي في الصدر.

تَبْتَرى – بتاء مثناة فوقية فموحدة ساكنة فمثناة فوقية مفتوحة.

العقب : عصب الظهر.

الشزر : هو نظرة العدو.

فِرشني : قوّني.

بَرَيْتني : أضعفتني.

المجلة – بفتح الميم والجيم واللام : الصحيفة هذا هو أصلها.

بُعَاث – بالعين المهملة ويقال بإعجامها : اسم موضع.

حاطَه : كلأه ورعاه.

يُفْرشكم – بضم المثناة التحتية وكسر الراء.

الباب الرابع والثلاثون

فى خبر بعض المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف كان هلاكهم

قال اللهُ سبحانه وتعالى : « ولقد استهزئ برسل من قبلك » كما استهزئ بك . وهذه تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم « فأَمْلَيْتُ » أمهلت « للذين كَفروا ثم أَخَذْتُهم » بالعُقوبة « فكيف كان عقاب[1] » أى فكيف رأيت ما صنعتُ بهم فكذلك أَصنعُ بمن استهزأ بك .

وقال تبارك وتعالى : « إنا كفَيْناك المستهزئين » بأَن أَهلكناهم بآفة « الذين يجْعلون مع الله إلهً آخَر »[2] صفة وقيل مبتدأ ولتضمّنه معنى الشرط دخلت الفاء فى خبره وهو فسوف يعلمون عاقبة أمرهم « ولقد » للتحقيق « نَعلم أَنك يَضِيق صَدْرُك بما يقولون » من الاستهزاء والكذب « فسَبِّحْ » متلبسا « بَحَمْد ربِّك » أى قل سبحان الله وبحمده « وكن من الساجدين » المصلِّين « واعبد ربَّك حتى يأْتيك اليقين »[3] الموت .

قال الجمهور ومنهم ابن عباس فى أكثر الروايات عنه : كانوا خمسة . وقال فى رواية : كانوا ثمانية وصححه فى الغُرَر وجزم به أبو عمرو العراقى فى الدُّرَر .

الأول : الأَسودبن عبد يغوث بن وهب بن زُهْرة ، وهو ابن خال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال البلَاذُرى : كان إذا رأَى المسلمين قال لأَصحابه : قد جاءكم ملوكُ الأَرض الذين يرثون مُلْك كسرى وقَيْصر . ويقول للنبى صلى الله عليه وسلم : أَمَا كلِّمت اليومَ من السماء يا محمد . وما أَشْبه هذا القول . فخرج من عند أهله فأَصابته السَّمُوم فاسودَّ وَجْهُه حتى صار حبشيًّا ، فأَتى أهلَه فلم يعرفوه وأَغلقوا دونه الباب ، فرجع متلدِّدا حتى مات عطشا.

ويقال إن جبريل صلى الله عليه وسلم أَومأَ إلى رأْسه فضربته الأَكلة فامتخض رأْسُه قيحًا ويقال أَومأً إلى بطنه فسَقى بطنه ومات حَبَنًا . ويقال إنه عطش فشرب الماء حتى انشق بطنه[4] .

---

(١) سورة الرعـد ٣٢ .
(٢) سورة الحجـر ٩٥ .
(٣) سورة الحجر ٩٧ – ٩٩ .
(٤) أنساب الأشراف ١/١٣١ ، ١٣٢ .

قلت : والقول الأول رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس ، ورواه أيضا عن الربيع بن أنس . وزاد : وكان رجلا أبيض حسَن الجسم . والقول الثانى رواه الطبرانى والبيهقى والضياء بسند صحيح . والقول الثالث رواه أبو نعيم[1] من طريقين ضعيفين . والقول الرابع رواه[2].

وروى ابن أبى حاتم والبلاذرى بسند صحيح عن عِكْرمة أن جبريل حنَى ظَهْر الأسود حتى احقَوْقَفَ صدرُه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالى خالى . فقال : دَعْه عنك يا محمد فقد كُفِيته[3].

ولا تَخَالُف بين هذه الروايات لاحتمال أن جميعها حصل له .

امتَخَضَ : بالخاء والضاد المعجمتين أى تحرك .

احقوقف : انحنى .

الحبَن – بحاء مهملة فموحدة مفتوحتين : عِظَم البطن .

* * *

الثانى : الحارث بن قيس السهمى وهو ابن العَنْطِلة يُنسب إلى أمه ، وكان يأخذ حجرا يعبده فإذا رأى أحسنَ منه تركه وأخذ الأحسن .

وفيه نزلت : «أرأيتَ من اتخذَ إلٰهه هَواه» أى مَهْوِيَّه قدّم المفعول الثانى لأنه أهم وجملة «من» مفعول أول لأرأيت . «أفأنت تكون عليه وكيلا[4]» حافظا تحفظه من اتباع هواه لا .

وكان يقول : لقد غرَّ محمد نفسَه وأصحابَه أنْ وعدهم أن يحيَوْا بعد الموت ، والله ما يُهْلكنا إلا الدهرُ ومرور الأيام والأحداث . فأكل حوتًا مَملوحا فلم يزل يشرب عليه الماء حتى انقدَّ بطنه . ويقال إنه أصابته الذبحة . وقال بعضهم : امتخضَ رأسُه قيحا .

قلت : القول الأول رواه عبد الرازق وابن جرير وغيرهما عن قتادة ومِقْسَم مولَى ابن عباس .

* * *

---

(١) ط : رواه الطبرانى .

(٢) بياض بالأصول .

(٣) أنساب الأشراف ١/ ١٣٢ .

(٤) سورة الفرقان ٤٣ .

الثالث : الأَسود بن المطَّلب بن أسد بن عبد العزى .

قال البلاذُرىّ رحمه الله : كان هو وأَصحابه يتغامزون بالنبى صلى الله عليه وسلم وأَصحابه ويقولون : قد جاءكم ملوك الأَرض ومن يغلب على كنوز كسرى وقيصر ثم يمكُّون ويصفِّرون . وكلَّم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بكلام شقَّ عليه فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أَن يُعْمى الله بصرَه ويُثْكله ولدَه فخرج يستقبل ابنه وقد قدِم من الشام ، فلما كان ببعض الطريق جلس فى ظل شجرة فجعل جبريل صلى الله عليه وسلم يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها خضراء وبشوك من شوكها حتّى عمى فجعل يستغيث بغلامه . فقال له غلامه : ما أَرى أَحدا يصنع بك شيئًا غير نفسك . ويقال إن جبريل صلى الله عليه وسلم أَوْمأَ إلى عينيه فعمى فشغل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما كان يوم بدر قتل ابنه زمعة بن الأَسود ، قتله أَبو دُجانة ويقال قتله ثابت [بن] [1] الجذع ، قُتل ابنُه عقيل أَيضا ، قتله حمزة بن عبد المطلب وعلى رضى الله عنهما اشتركا فيه . وقيل قتله علىٌّ وحده رضى الله عنه[2] .

* * *

الرابع : مالك بن الطُّلاَطِلة ـ بطائين مهملتين الأُولى مضمومة والثانية مكسورة ـ بن عمرو بن غُبشان ـ بضم الغين المعجمة وسكون الباء الموحدة بعدها شين معجمة ـ ذكره فيهم ابن الكلبى والبلاذرى ، وكان سفيها فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعاذ بالله من شره فعصر جبريل بطنه حتّى خرج خلاؤه من بطنه[3] فمات .

وقال البلاذرى وقال غير ابن الكلبى ؛ أَشار جبريلُ إليه فامتخضَ رأْسُه قيحا[3] وقال آخر : هو عمر بن الطلاطل . وذلك باطل .

* * *

الخامس : العاصى بن وائل السَّهْمى . قال البلاَذرى : ركب حمارا[4] له ويقال بغلة

---

(١) من أنساب الأشراف .

(٢) أنساب الأشراف ١/١٤٨ – ١٤٩ .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٥٤ : من فـيه .

(٤) غير ط : جملا . وما هنا موافق للبلاذرى فى أنساب الأشراف ١/١٣٩ .

بيضاء فلما نزل شِعْبا من تلك الشعاب وهو يريد الطائف ربَض به الحمارُ أو البغلة على شِبْرِقةٍ فأصابت رجله شوكةٌ منها فانتفخت حتى صارت كعنق البعير ومات . ويقال إنه لما ربض به حماره أو البغلة لُدِغَ فمات مكانه قلت : القول الأول رواه [البلاذرى] [1] والقول الثانى رواه أبو نعيم بسند ضعيف عن ابن عباس .

الشِّبْرِقة - بكسر الشين المعجمة والراء : رَطْب الضَّرِيع .

وروى الشيخان وابن إسحاق عن خَبَّاب بن الأرتّ قال : كنت قَيْنا . أى حدَّادًا - فى الجاهلية فعملت للعاصى بن وائل سيوفا - وفى رواية سيفا- فجئته أتقاضاه فقال : لا أُعطيك حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم . فقلت : لا أكفر حتى يُميتك الله ثم تُبْعث . قال : وإنى لَميت ثم مبعوث ؟! قلت : بلى . قال: دعنى أموت وأُبْعَث فنُؤتى مالا وولدا فأُعطيك هنالك حقك ووالله لا تكون أنت وصاحبك يا خبَّاب آثرَ عند الله منى ولا أعظم حظًّا [2] . فأنزل الله تعالى فيه « أفرأيْتَ الذى كفر بآياتنا » العاصى بن وائل وقال لخباب بن الأرت القائِل له : تُبعث بعد الموت والمطالب له بمال : « لأُوتينَّ » على تقدير البعث « مالاً وولدا » فأقضيك . قال تعالى : « أطّلع الغيب » أى أعَلِمه وأن يوتى ما قاله ، واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحذفت « أم اتخذَ عند الرحمن عَهْدا » بأن يوتى ما قاله « كَلاَّ » أى لا يوتى ذلك « سَنكْتب » نأْمر بكتب « ما يقول ونمدُّ له من العذاب مَدًّا » نزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره « ونَرِثه ما يقول » من المال والولد « ويأْتينا يومَ القيامة فَرْدًا [3] » لا مال له ولا ولد .

* * *

السادس : الحكم بن أبى العاصى بن أمية .

قال البلاذرى : كان ممن يؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يشتمه ويُسْمعه ما يكره ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى ذات يوم وهو خلفه يَخْلج بأنفه وفمه فبقى على ذلك ، وأظهر الإسلام يوم الفَتْح وكان مغموصًا عليه فى دينه ، - فاطَّلع يومًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى بعض حُجَر نسائه فخرج إليه بِعَنزة وقال : من

---

(١) بياض بالأصل . وقد رواه البلاذرى فى أنساب الأشراف ١/١٣٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة مريم) ، وكتاب الإجــارة .

(٣) سورة مريم ٧٧ - ٨٠ .

عَذِيرى من هذا[١] الوزَغَة ؟ لو أدركته لفقأت عينه أو كما قال صلى الله عليه وسلم . ولعنه وما ولَد وغرّبه من المدينة فلم يزل خارجًا منها إلى أن مات عمر بن الخطاب رضى الله عنه[٢] .

قلت : وروى أبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان رجل خلف النبي صلى الله عليه وسلم يحاكيه ويَلْمِض فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال كذلك كن . فرجع إلى أهله فلُبط به مغشيًا عليه شهرا ثم أفاق حين أفاق وهو كما يحاكي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . وهذا المُبْهَم الظاهر أنه الحَكَم .

* * *

السابع : الوليد بن المغيرة :

قال البلاذرى فمرَّ الوليد برجل يقال له حَرَّاث - بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين ابن عامر بن خزاعة ، وهو الثَّبْت - وبعضهم يقول حَرَّاب بالحاء المهملة والباء الموحدة ، وهو يَرِيش نَبْلا له ويصلحها فوطئ على سهم منها فخدَشته خَدْشا يسيرا ، ويقال عَلِق بإزاره فخدش ساقه خدشا خفيفا فأهوى إليه جبريل فانتفض الخدش وضربته الأَكلة في رجله أو ساقه فمات[٣] .

* * *

الثامن : أبو لهب ، وكان من أشد الناس[٤] عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم .

قال البلاذُرِيّ : وكان يَطْرح القَذَر والنتن على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرآه حمزة بن عبد المطلب وقد طرح من ذلك شيئا فأخذه وطرحه على رأسه ، فجعل أبو لهب ينفض رأسه ويقول : صابئٌ أحمق . فأقصرَ عما كان يفعل ، لكنه كان يدسّ من يفعله[٥] .

قال : وروى ابن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت بين شرِّ جارين ، بين أبي لهب وعُقْبة بن أبي مُعَيْط ، إن كانا ليأْتيان بالفُروث فيطرحانها على بابي .

---

(١) البلاذرى : من هذه الوزغة .
(٢) أنساب الأشراف ١/١٥١ .
(٣) أنساب الأشراف ١/١٣٤ .
(٤) ط : من أشد المشركين
(٥) أنساب الأشراف ١/١٣١ .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا بنى عبد مناف أىّ جِوَار هذا ؟ ثم يُميطه عن بابه .

قالوا : وبعث أبو لهب ابنه عتبة بشىء يؤذى به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ « والنجم إذا هوى » فقال : أنا كافر بربِ النجم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلط الله عليك كلبا من كلابه ، فخرج فى تجارة فجاء الأَسد وهو بين أصحابه نائِم بحُوران من أرض الشام فجعل يهمس ويشمّ حتى انتهى إليه فمضغه مضغة أتتْ عليه ، فجعل يقول وهو بآخر رمق : ألم أقل لكم إن محمدا أَصْدَق الناس ؟! ثم مات .

قلت : صوابه عُتَيْبة بالتصغير كما سيأْتى بسط ذلك فى أبواب إجابة دعواته .

ومات أبو لهب بداء يعرف – بالعَدَسة ، كانت العرب تتشاءم به وتفرّ ممن ظهر به[1] ، فلما أصاب أبا لهب تركه أهلُه حتى مات ومكث مدة لا يُدْفن حتى خافوا العار فحفروا له حفرة فرموه فيها . كما سيأْتى بيان ذلك .

وكانت امرأته أم جميل ابنة حرب تؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كثيرا وهى حَمَّالة الحطب ، وإنما سماها الله تعالى بذلك لأَنها كانت تحمل الشوكَ فتطرحه بالليل على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمرّ هو وأصحابه لتعْقرهم بذلك ، فبينا هى ذات يوم تحمل حزمةً أعْيَتْ فقعدت على حَجر تستريح أتاها ملك فجذَبها مِن خلفها بالحبل الذى فى عنقها فخنقها به .

وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت « وأَنذر عشيرتك الأَقربين » صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فِهْر ، يا بنى عدى لبطون من قريش ، حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا ينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مُصَدِّقىَّ ؟ قالوا : نعم ما جرَّبْنا عليك إلا صدقا قال : فإنى لكم نذير بين يدى عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبًّا لك سائِرَ اليوم ألهذا جمعتنا[2] !

---

(1) العدسة : بثرة تخرج بالبدن فتقتل . وقد هلك أبو لهب بعد غزوة بدر .

(2) صحيح البخارى كتاب التفسير (سورة المسد) وصحيح مسلم كتاب الفتن حديث رقم ٩١ .

فأنزل الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم « تَبَّتْ » خَسِرت . والتباب : الخسران المفضِى إلى الهلاك « يدا أبي لهب » جُمْلته ، وعبر عنها باليدين مجازا لأن أكثر الأفعال تُدَاول بهما ، وكنى بأبي لهب لحسنه وجماله وإنما كناه لأنه كان مشتهرا بكنيته دون اسمه وقيل لأن اسمه عبد العزى فلا يناسب فى القرآن عَبْدِيّة شخص إلى غير الله تعالى وهذه الجملة دعاء « وتَبَّ » : خسر هو ، وهذه خبر كقولهم أهْلَكه الله وقد أهْلَكه .

ولمّا خوَّفه النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال : إن كان ما يقول ابن أخى حقاً فإنى أفتدى منه بمالى وولدى . نزل « ما أغْنَىَ عنه مالُه وما كَسَب » وكسبه : أى ولده وأغْنَى بمعنى يُغْنى « سَيَصلَى نارًا ذاتَ لهب » أى تلهَّب وتوقد فهى مآل تكنيته « وامرأتُه » : عطف على ضمير يصلى سَوَّغه الفصل بالمفعول وصفته وهى أم جميل « حَمَّالةُ » بالرفع « الحطب » الشوك والسعدان تلقيه فى طريق النبي صلى الله عليه وسلم « فى جِيدها » : عنقها « حَبْلٌ من مسَد » أى ليف وهذه الجملة حال من حمالة الحطب الذى هو نعت لامرأته أو خبر مبتدأ مقدر .

ولهذا مزيد بيان - فى المعجزات .

• • •

وذكر البلاذرى ممن كان يؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم : أبو[1] الأصْدَاء[2] وكان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يعلمك أهلُ الكتاب أساطيرهم ويقول الناس هو معلَّم مجنون فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لَعلَى جبل إذ اجتمعت عليه الأرْوَى[3] فنطحَتْه حتى قتلته[4] .

• • •

وذكر ابن اسحاق فيهم : أُميةَ بن خَلَف الجمحي .

---

(١) كذا بالرفع ، وإن كانت مفعول « ذكر » فحقها النصب بالألف . وفى أنساب الأشراف : ابن الأصداء وفى الهامش أثبت المحقق : خ : أبو .

(٢) الأصل : الأصدى . وما أثبته من أنساب الأشراف .

(٣) الأروى : أنثى الوعل .

(٤) أنساب الأشراف ١/ ١٥٠ .

قال ابن إسحاق : وكان إذا رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم همَزه ولمَزه فأنزل الله سبحانه وتعالى : « ويلٌ لكلِّ همزة لُمَزة الذى جَمع مالاً وعَدَّدَه » .

قال ابن هشام : الهُمَزة : الذى يشتم الرَّجُلَ علانيةً ويَكْسِر عينَه عليه ويغمز به وجمعه هُمَزات . واللُّمَزة : الذى يعيب الناس سرًّا ويؤذيهم[1] .

والنضرَ بن الحارث .

قال ابن إسحاق : بن كَلدة بن عَلْقَمة .

قال الخُشَنى : والصواب علقمة بن كلدة .

كان إذا جلس رسول الله مجلسا فدعا فيه إلى الله وتلاَ عليهم القرآن وحذَّر قريشا ما أصاب الأُممَ الماضية[2] خَلَفه فى مجلسه إذا قام فحدَّثهم عن ملوك الفُرْس ، ثم يقول : والله ما محمدٌ بأحسن حديثا منِّى ، وما أحاديثه إلا أساطير الأَولين اكتتبها كما اكتتبتُها فأنزل الله : « وقالوا أساطير الأَوَّلين » أكاذيبهم ، جمع أُسْطورة بالضم « اكْتَتَبها » انتسخَها من القوم بغيره « فهى تُمْلَى » تُقْرأ « عليه » ليحفظها « بُكْرَةً وأَصِيلا » غُدْوَة وعشيا .

قال تعالى ردا عليهم : « قل أنزله الذى يَعْلم السرَّ » الغيبَ « فى السموات والأَرضِ إنه كان غفورا » للمؤمنين « رحيما » بهم .

قال ابن إسحاق : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فيما بلغنى مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النَّضْر فكلَّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم : « إنكم » يا أهل مكة « وما تَعْبدون مِنْ دُون الله » أى غيره من الأَوثان « حَصَبُ جهنم » وقودها « أنتم لها وارِدُون » داخلون فيها « لو كان هؤلاء » الأَوثان « آلهةً » كما زعمتم « ما وَرَدُوها » دخلوها « وكُلٌّ » من العابدين والمعبودين « فيها خالدون » لا خلاص لهم عنها « لهم » للعابدين « فيها زَفِير » صياح « وهم فيها لايَسْمعون »[3]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٥٦ .

(٢) ط : الخالية .

(٣) سورة الأنبياء ٩٨ - ١٠٠ .

ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزِّبِعْرَى – بزاى فباء موحدة مكسورتين[1] فعين مهملة ساكنة فراء فألف مقصورة – وأسلم بعد ذلك ، حتى جلس إليهم فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفًا وما قعد وقد زعم محمد أَنَّا وما نَعْبد من – آلهتنا هذه حَصَبُ جهنم . فقال عبد الله : أَمَا والله لو وجدتُه لَخَصَمْتُه فسَلُوا محمدا أَكُلُّ ما يُعْبَد من دون الله في جهنم مع مَن عَبَده ؟ فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عُزيْرًا والنصارى تعبد عيسى بن مريم . فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله ورأَوا أنه قد احتجَّ وخاصَم .

فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلُّ من أَحبَّ أَن يُعْبَد من دون الله فهو مع من عَبَده ، إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أَمرتْهم بعبادته .

فأنزل الله تعالى : « إنّ الذين سبَقَتْ لهم منَّا » المنزلةُ « الحُسْنَى » وهى السعادة أو التوفيق للطاعة أو البشرى بالجنة ومنهم من ذُكر « أولئك عنها مُبْعَدون » لأَنهم يُرْفَعون إلى أعلى علِّيين « لا يَسْمعون حَسِيسها » صوتها : « وهم فيما اشتَهتْ أنفسُهم » من النعيم « خالدون » دائمون « لا يَحْزُنهم الفَزَعُ الأَكْبَرُ » وهو أن يُؤمَر بالعبد إلى النار « وتتَلَقَّاهم » تستقبلهم « الملائكة » عند خروجهم من القبور يقولون لهم « هذا يومُكم الذى كنتم توعدون[2] » فى الدنيا[3] .

تنبيه

قال السُّهَيْلى : لو تأمل ابن الزِّبَعْرى وغيره من كفار قريش الآية لرأى أن اعتراضه غير لازم من وجهين :

أحدهما : أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش عبَدة الأَصنام ، وقوله « إنا نعبد الملائكة » حَيْدة ، وإنما وقع الكلامُ والمحاجَّة فى اللات والعُزَّى وهُبَل وغير ذلك من أَصنامهم .

والثانى : أن لفظ التلاوة : « إنكم وما تَعْبدون » ولم يقل « ومن تعبدون » فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعُزَيْر والملائكة ، وهم يَعْقِلون والأَصنام لا تَعْقل ؟ ومن ثم جاءت الآية بلفظ ما الواقعة على ما لا يعقل[4]. انتهى .

(١) الذى فى القاموس : بكسر الزاى وفتح الباء .

(٢) سورة الأنبياء ١٠١ – ١٠٣ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٣٥٨ – ٣٦٠ .

(٤) الروض الأنف ١/٢٢٥ .

وقال بعض العلماء : ان ابن الزبعرى من فصحاء العرب لا يخفى عليه موضع « مَنْ » مِن « ما » وإنما إيراده من جهة القياس والعموم المعنوى الذى يعمّ الحُكْمُ فيه لعموم علته أى إن كان كونه معبودا يوجب أن يكون حصَب جهنم فهذا المعنى موجود فى الملائكة والمسيح وعُزَيْر .

وأُجيب بالفارق من وجوه :

الأول : الآية المتقدمة[1] ، لأن عزيراً والمسيح ممن سبقت لهم الحسنى فالتسوية بين الملائكة والأنبياء وبين الأصنام والشياطين من جنس التسوية بين البَيْع والرِّبا وهو شأن أهل الباطل يُسَوُّون بين ما فرَّق الشرعُ والعقلُ والفِطْرةُ بَيْنه ، ويفرِّقون بين ما سَوَّى الله عز وجل ورسوله بَيْنه .

الثانى : الأَوثان حجارة غير مكلَّفة ولا ناطقة ، فإذا حُصِب بها جهنم إهانة لها ولعابِديها ـ لم يكن فى ذلك تعذيب من لا يستحق العذاب .

الثالث : أن من عبد هؤلاء بزَعْمه فإنهم لم يَدْعوا إلى أنفسهم ، وإنما عبد المشركون الشياطين وتوهموا أن العبادة لهؤلاء ، وقد برَّأ الله تعالى الملائكةَ والمسيح وعُزَيْرًا من ذلك ، فما غَيْر الله إلا الشياطين .

وهذه كلها منتزعه من قوله تعالى : « إن الذين سبقَتْ لهم مِنَّا الحُسْنَى » وإذا تأمل قوله تعالى : « وَقُودها الناسُ والحجارة[2] » خرج من خِلاَله أن معبودهم مُعَذَّبهم المشتعل عليهم ، فهو أبْلَغ فى النَّكال وقَطْع الآمال .

الحَيْدة[3] : بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة التحتية وهى العُدُول .

* * *

ومنهم الأَخْنَس بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح النون فسين مهملة ، ابن شَرِيق ـ بفتح الشين المعجمة وبالقاف ـ الثقفى واسمه أُبَىّ وذكر غير واحد أنه أَسلم بعد ذلك .

---

(١) وهى قوله سبحانه : « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى » .

(٢) سورة التحريم ٦ .

(٣) الواردة فى كلام السهيل آنفـا

قال ابن إسحاق : وكان من أشراف القوم وممن يستمع منه وكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويردّ عليه ، فأنزل الله تعالى : « ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ » كثير الحَلفِ بالباطل « مَهِين » حقير « هَمَّاز » عَيَّاب أى مغتاب « مَشَّاءٍ بنَمِيم » أى ساعٍ بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم .

« مَنَّاع للخير » يمنع الناس من الخير من الإيمان والإنفاق والعمل الصالح « مُعْتَدٍ » ظالم « أثيم » كثير الإثم « عُتُلٍّ » غليظ جافٍ « بعد ذلك » بعد ما عُدَّ من مَثَالِبه « زَنِيم » دَعِيّ فى قريش قاله ابنُ عباس وأنشد على ذلك قول الشاعر :

زَنِيم تَدَاعـاه الرجالُ زيـادة كما زِيد فى عَرْض الأَدِيم أكارعهُ[1]

رواه عبد بن حميد وابن عساكر وبه قال عكرمة وأنشد قول الشاعر :

زَنيم ليس يُعْرَف مَن أبـوه بغيّ الأم ذو حَسَبٍ لئـيم

وقيل إنه كان له زَنَمتان[2] حقيقة .

وروى البخارى والنسائى وابنُ أبى حاتم عن ابن عباس قال : هو رجل من قريش نَعِت فلم يُعْرف حتى قيل زنيم وكانت له زَنَمة زائدة فى عُنقه يُعرف بها[3] .

تنبيه

ما جزم به ابن إسحاق من أن هذه الآيات أُنزلت فى حق الأخنس رواه ابن أبى حاتم عن السُّدِّى وابن سعد وعبد بن حميد عن الشعبي وعبد الرازق، وابن المنذر عن الكلبي وقيل أُنزلت فى حق الأسود بن عبد يغوث . رواه ابن مردويه عن ابن عباس وابن أبى حاتم عن مجاهد وقيل أُنزلت فى الوليد بن المغيرة . ذكره يحيى بن سلام فى تفسيره وجزم به غير واحد .

* * *

ومنهم[4] أُبَىّ بن خَلَف وعُقْبة بن أبى مُعَيط .

(١) سيرة ابن هشام ١/٣٦٠ - ٤٦١ . والبيت كما قال السهيلى : الأعرف أنه لحسان الروض ١/٢٢٦ .

(٢) الزنمتان : هنتان تليان الشحمة وتقابلان الوترة فى الأذنين .

(٣) صحيح البخارى كتاب التفسير « سورة ن » .

(٤) من المستهزئين بالرسول صلوات الله عليه .

قال ابن إسحاق : وكانا متصافيَيْن حَسَنًا ما بينهما .

روى ابن مردويه وأبو نعيم فى الدلائل بسند صحيح من طريق سعيد بن جُبَيْر وعبد الرزَّاق فى المصنَّف وابن جرير وابن المنذر عن مِقْسَم مولى ابن عباس كلاهما عنه ، أن أبا مُعيط وفى رواية عقبة بن أبى معيط كان يجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولا يؤذيه وكان رجلًا حليمًا ، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذَوْه وكان لأبى مُعيط خليل غائب عنه بالشام . وفى رواية أنه أُمية بن خَلَف فقالت قريش : صبأَ أبو مُعَيْط . وفى رواية وكان لا يَقْدُم من سفر إلا صنع طعاما فدعا أهلَ مكة كلهم فصنع طعاما ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طعامه فقال : ما أنا بالذى آكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . فقال : اطْعَمْ يابن أخى . فقال : ما أنا بالذى أفعل حتى تقول . فشهد بذلك وطَعِم من طعامه . وقدِم خليلُه من الشام لَيْلاً فقال لامرأته ما فعل محمد مما كان عليه ؟ فقالت : أَشَدّ ما كان أَمْرًا . فقال : ما فعل خليلى أبو معيط ؟ فقالت : صَبَأَ . فبات بليلة سُوء فلما أصبح أتاه أبو معيط فحيَّاه فلم يردّ عليه التحية فقال : مالَك لا تردّ علىَّ تحيتى . فقال : كيف أردّ عليك تحيتك وقد صبأْتَ . قال : أَوَقَدْ فَعَلَتْها قريش ؟ لا والله ما صبأْت ولكن دخلَ علىَّ رجلٌ فأَبى أن يأْكل من طعامى إلا أن أشهد له . فاستحييتُ أن يخرج من بيتى قبل أن يَطْعَم ، فشهدتُ له قال : ما أنا بالذى أَرضى عنك حتى تأْتيه فتَبْزُق فى وجهه . وفى رواية : فقال : ما يبرئُ صدورهم إن أنا فعلت ؟ قال : تأْتيه فى مجلسه فتبزق فى وجهه وتشتمه بأَخبث ما تعلم من الشتم . ففعل فلم يزد النبى صلى الله عليه وسلم أن مسَح وجهه من البزاق .

ونقل جماعة منهم أبو ذر الخُشَنى عن أبى بكر النقَّاش أن عقبة لما تَفل فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم رجع ما خرج منه إلى وجهه فصار برَصًا . انتهى .

ثم التفت إليه النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن وجدتُك خارجًا من جبال مكة ضربت عنقك صَبْرًا .

وقال أُبَىّ بن خَلف : والله لأَقتلن محمدا . فبلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال : بل أنا أقتله إن شاء الله . فلما بلغ أُبَيًّا ذلك أَفْزَعه لأَنهم لم يسمعوا من النبى صلى الله عليه وسلم قولاً إلا كان حقا .

فلما كان يوم بدر ، وخرج أصحابُ عُقْبة ، أَبَى أَن يخرج فقال له أصحابه : اخرج معنا . فقال : قد وعدنى هذا الرجل إن وجدنى خارجا من جبال مكة أن يضرب عنق صَبْرا . فقالوا : لك جمل أحمر لا يُدْرَك فلو كانت الهزيمة طِرْتَ عليه . فخرج معهم ، فلما هزم الله المشركين وحل به جمله فى أُخْدُود من الأرض فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا فى سبعين من قريش وقدِّم إليه أبو معيط فقال : أتقتلنى بَيْن هؤلاء ؟ قال : نعم . فقام إليه على بن أبى طالب فضرب عنقه . ولم يقتل من الأسارى يومئذ غيره .

فلما كان يوم أحد خرج أُبَىّ مع المشركين فجعل يلتمس غفلةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليَحْمِل عليه فيَحُول رجلٌ بَيْن النبى صلى الله عليه وسلم وبينه ، فلما رأى ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : خَلُّوا عنه . فأخذ الحَرْبة ورماه بها فوقعت فى تَرْقُوَته فلم يخرج منه دم كثير واحتقن الدم فى جوفه ، فجعل يَخُور كما يخور الثَّوْر فاحتمله أصحابه وهو يخور فقالوا : ما هذا الذى بك ! فوالله ما بك إلا خَدْش . فقال : والله لو لم يُصِبْنى إلا بِريقه لقتلنى ! أليس قد قال : أنا أقتله . والله لو كان الذى بى بأهل ذى المجاز لقتلهم . فما لبث إلا يومًا حتى مات .

وأنزل الله تعالى فى أبى مُعَيْط : « ويوم يَعَضُّ الظالمُ على يديه » ندَما وتحسُّرا فى القيامة . قال سفيان الثورى : يأْكل يديه ثم تَنْبت . رواه ابن أبى حاتم . وقال أبو عمران الجَوْنى : بلَغنى أنه يعضهما حتى ينكسر العظم ثم يعود .

يقول : « يا » للتنبيه « ليتنى اتخذتُ مع الرسول » محمد صلى الله عليه وسلم « سبيلا » طريقا إلى الهدى « يا وَيْلتا » الألف عِوَض عن ياء الإضافة أى وَيْلتى ومعناه هَلكتى « ليتنى لم أتخذْ فلانًا خَلِيلا . لقد أَضَلَّنى عن الذِّكر » القرآن « بعد إذ جاءَنى » بأن ردنى عن الإيمان به . قال تعالى : « وكان الشيطانُ للإِنسَان » الكافر « خَذُولا » بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء

تَنْبِيهَاتٌ

الأول : قال ابن سعد : قلت للواقدى قال الله تعالى : « إنا كفيناك المستهزئين » وهذه السورة مكية ؟ فقال : سألت مالكا وابن أبى ذئب عن هذا فقال : كفاه إياهم فبعضهم عَمِى وبعضهم مات فشغل عنه وبعضهم كفاه إياه إذ هيأ الله له من أسباب مفارقته بالهجرة ما هيأه له [1] .

وقال غيرهما : كفاه أمرهم فلم يضروه بشىء .

الثانى : قال البلاذرى ذكر غير الواقدى أن المستهزئين جميعا هلكوا فى وقت واحد وقول الواقدى أثبت [2] .

الثالث : أكثر الروايات على أن عُقْبة بن أَبى مُعيط هو الذى أَسْلَم وأَن أُبَيًّا هو الذى ردَّه . وفى بعضها ضد ذلك . فالله أعلم .

* * *

ومنهم أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

قال البَلاَذُرِىّ : وغيره : كناه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بذلك وكان يُكْنى قبل ذلك أبا الحكم .

قال : وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من قال لأبى جهل أبا الحكم فقد أخطأ خطيئة يستغفر الله منها .

وروى عنه أنه قال : لكل نبىّ فرعون وفرعون هذه الأُمة أبو جهل [3] .

قال ابن إسحاق : ولقى أبو جهل بن هشام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ــ فيما بلّغنى ــ فقال له : والله يا محمد لتتركن سبّ آلهتنا أو لَنُسبَّنَّ إلهك الذى تَعبد . فأنزل الله تعالى :

---

(١) أنساب الأشراف ١/١٥٥ .

(٢) أنساب الأشراف ١/١٥٤ .

(٣) أنساب الأشراف ١/١٢٥ .

« ولا تَسُبُّوا الذين يَدْعون من دون الله فيسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغير عِلْم[1] » فذُكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَفَّ عن سَبِّ آلِهَتِهِمْ وجعل يدعوهم إلى الله عز وجل .

ولما أنزل الله عز وجل : « إن شَجرة الزَّقُّوم »[2] تخويفا لهم بها قال أبو جهل : يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التى يخوِّفكم بها محمد ؟ قالوا : لا . قال : عجوة يثرب بالزُّبد ! والله لئن استمكنّا منها لَنتزقّمنّ منها . فأنزل الله تعالى : « إنَّ شجرة الزقوم » هى من أخبث الشجر المرّ بتهامة نَبتُها فى الجحيم « طعامُ الأثيم » أى أبى جهل وأصحابه ذوى الإثم الكثير « كالمُهْل » أى كدُرْدِىّ الزيت الأسود خبرثان « يَغْلى فى البطون » بالفوقانية خبر ثان وبالتحتانية حال من المهل « كغَلْى الحميم » الماء الحار الشديد الحرارة . الآيات[3]

انتهى هذا الجزء

---

(١) سورة الأنعام ١٠٨ .

(٢) كذا بالأصول . وفى ابن هشام : ولما ذكر الله عز وجل شجرة الزقوم تخويفا بها لهم .

(٣) سورة الدخان الآيات ٤٣ — ٤٧ والخبر فى سيرة ابن هشام ٣٦٢/١ .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

مطابع الأهرام بكورنيش النيل